امرأة الكاتب

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: امرأة الكاتب

تأليف: تحسين كرمياني

الطبعة الأولى: 2011م

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: 00963- 944628570

Email: akramaleshi@gmail.com

تحسين كرمياني

امرأة الكاتب

مقالات

الإهداء..

إلى من يحمل قلمه من أجل الإنسانية المنهارة

إلى من نهى النفس عن مغريات الدنيا وأبحر

صوب قلاع الظلم للمشاركة في تفكيكها..

إلى من مات من أجل الكلمة الصادقة..

إلى كل باحث عن ظل كلمات ينجيه من جحيم الحياة وكوابيسها..

إلى كل إنسان يتمزق ألماً من أجل شمس الحقيقة المصادرة..

أهدي هذا الكتاب..!!

* * *

أبـواب الكتاب

[الباب الأوّل.. باب الرحيل]

- بعد رحيله المفاجئ. 11
- بجلطة شعرية مات بطل رواية.. (نافذة العنكبوت) . 17
- اغتيال حلم.. أو.. شاعر آخر يتوارى 25

[الباب الثاني..باب الواقع]

- الرقيب الداخلي والإبداع 34
- امرأة الكاتب 39
- دروس في تواضع المبدعين 52
- من أجل سلّة رغيف 58
- هل لي أن أتكلم قليلاً بوضوح 70
- من كتاب اللعنات 77

[الباب الثالث..باب المكتبة]

- سحر النص وأسراره 84
- ما الشعر 97
- حين يفضح النقد أسرار السرد 105
- سيرة مبدع بقلم مبدع 115
- أصل الكورد والبحث عن الهوية 125

- جمال الغيطاني في (حرّاس البوابة الشرقية) . . . 143
- اندحار قلاع الصبر.قراءة في (جولة في مملكة السيدة هاء)177
-تحقيق الرغبة في رواية(غسق الكراكي) لسعد محمد رحيم190
- موت الواقع في رواية (موت الأب) لأحمد خلف . . 207

[الباب الرابع..باب وجهات النظر]
-الفواصل المتلاحقة في قصة/أحماض الخوف/لجليلي القيسي225
- مسرحيات مفخخة.. حين يكون الكاتب المبدع أداة مجابهة232
- تحليل الخطاب المسرحي وصلته بالواقع 248

[الباب الخامس..باب الفكر]
لغة السياسة ولغة الثقافة.. تاريخ شائك بالتحديات . 261

كلمة

كلكم في القلب والذاكرة.
كلكم سائحون في مهجتي.
كلكم حاضرون في يقظتي ومنامي.
كلكم متساوون في الحضور والغيّاب.
مدرك أنا..
ترتيب مواد كتابي هذا قد ـ هذا ما لا أرجوه طبعاً ـ يثير بعض غيرة أو عتاب وربما الحساسية المفرطة لديكم، أقولها بصراحة من غير لف أو دوران..لولا حبكم ـ يا سادتي ـ لما أبحر قلمي في بداية رحلتي صوب ينابيعكم الدافئة، الزاخرة بلآلئ الموهبة، المضيئة..!!
هناك حيث سفن أحلامكم رست، شربت عصير منجزاتكم حتى ارتويت واكتويت بنار الرغبة للسباحة في بحوركم المغرية..!!

* * *

أخوتي..
أضع بكل تواضع هذا الكتاب بين يدي القارئ، المثابر، الراغب بتطهير جسده من ظاهراتية الحياة، الباحث عن أفياء تظلله من قسوة الواقع..
هي رحلة (سياحقلمية..أو قلمسياحية) ـ قد لا تكون

ممتعة ـ في متاهات ـ نصوص وكتب ورؤى ـ حصيلة تجربة شخصية متواضعة، إسقاطات فرض محض، تحررت في لحظات سامية، أرتقت فيها الذاكرة صهوة السرور، وأتت بغنائم سدّت أود جوعي المتسع لعالم الخيال الفسيح..!!

عالم الأدب.. عالم جميل، كونه ميزان عادل، ما بين حرائق القراءة.. وقسوة الكتابة..!!

بعد رحيله المفاجئ..

هل من جائزة. محي الدين زنكنة. للمسرح..!!

4آب2010..

كان يوماً حافلاً بالوداع، مع تصاعد موجات الحر، وتوارد أخبار موت أدباء العالم من كل حدب وصوب، كنّا أنا و(سعد محمد رحيم) في طريقنا إلى (محي الدين زنكنة)، كنت أقود سيارتي بلهفة غريبة، شيء ما، مفرح ومقلق، سكنني منذ أكثر من ثلاثة أشهر، مذ أتصل بي مرتين يسأل عني، أرادني زيارته كما دأبت سابقاً، حتى أنني قلت لـ(سعد) أشعر أن المسافة التي تفصلنا عن (السليمانية) قد تقلصت أم أنني أقود مركبتي بجنون، قال (سعد): أخذنا الحديث عن الرواية حتى نسينا الوقت..!!، ما أن دخلنا مؤسسة (سردم) لمحته بهدوئه المعتاد، بقيافته المتواضعة، يودع (السليمانية) بوقع خطوات غاضبة، بعينين دامعتين، فهو لا يعطي المظاهر إلاّ عين ملؤها الأسف، بدا محتجاً على حياة تجردت من سربال الثقافة، حياة عادت لأنوثتها وباتت في لواحق أيامها، تتسكع بحثاً عن بعل تائه، دخل وعانقنا، كنت مشدوداً لحرارة (سعد)

وهو بكامل الرغبة يقبل رأسه الملغوم بديناميت الأدب، فالأدب مذ ولد سلاح فتّاك تهابه الملوك والرؤساء، بعين دامعة، وقلب توقف إكراماً لقامته، قادنا إلى غرفة تحرير (سردم) العربي، كان الزميل (نوزاد) الذي هاتفته غائباً هذه الزيارة التي لن تتكرر، مشغولاً كما حدثني بأمور حياته التي لن تنتهي لأنه تورط بالأدب في عالم يهذي، بدأ (أبو آزاد) بروعة الخجل الذي يسكنه، يسرد همومه الشخصية، معاناته من متاعب (عينية) باتت تهدده بترك عالمه، متذمراً يبحث عن منقذ يمنحه (فيزا) إلى (أسبانيا)، بعدما أقرّت لجنة طبية في (أربيل) ضرورة سفره، لمعالجة التلف الحاصل في شبكية عينيه، (فيزا) تعطى لجرذان الحياة وفئرانها، تعطى لكل (قوّاد وعاهرة) لكل (حمار) تسيس في ظلمة الحياة وخلف كواليسها، ولا تعطى لأديب نذر حياته من أجل الكلمة الشريفة، من أجل أن تبقى البلاد صاحية لا تهتز عند النوائب، راح يحكي لنا عذابه الهادئ، ووعود أصحاب النفوذ، كلهم عرضوا عليه خدمات (لسانية) لا تسمن من جوع، كلهم فشل من أجل الحصول على (فيزا) له، في زمن هم سادتها، وهم المتحكمون بمصائر الناس، أعناقهم وأرزاقهم.

* * *

خرجنا.. خرجت غرفته معنا.. إلى حياة تلهث صوب السراب، كان كرسيه يمشي وراءنا ناحباً، يمشي ببطء، يسترق كلمات (أبو آزاد)، توقف الكرسي، عاد إلى (سردم) ليشارك (صورة أدونيس) ومرثيته (مسافر زاده الخيال)، بعدما هجس أنّ نديمه لن يعود إليه مرة

أخرى، فهو ليس بملكٍ كي يوصي بجلوس نجله عليه، أو رئيسٍ يدفع شعبه قرباناً من أجله، وجدنا ناس بلا رحمة يتقاطعون، سوّاق مركبات بعضهم يقود بلا (فن.. ذوق.. أخلاق).

قال: (كاك تحسين سائق ماهر..!!) قلت له: (عندما تكون سائقاً ماهراً للكلمات، يفترض أن تكون سائقاً ماهراً للمركبات) نظر نظرة عميقة فيّ وراح يبحث عن شخوص يستحقون التخليد.

بدأت أتصفح وجوه الناس، لا أحد يعرف هذا الرجل الوديع، أي محيطات أفكار تسكن رأسه، أي سفن مسرحية هيأ لإنقاذ المجتمع من الغرق، رغم جملة أمراض تعشعش فيه، قرر أن يزور صديق أديب أصابه الشلل (محمد الملا عبد الكريم المدرس)، أنزلته ومضينا نشق أحشاء المدينة، هاتفني، دقيق هو (محي الدين زنكنة)، منضبط، يعرف قيمة الزمن، يعرف قيمة الوعد، الدقائق العشرة التي تواعدنا عليها لم تكفني كي أتجول، عدنا بعدما صرف وقتاً وهو ينتظرنا، لمحته من بين المركبات المتقاطعة يقف، لا أحد يعبه به، لا أحد يعرفه، بينما الكل يحفظ وجوه وحركات وملابس الفنانات، يحفظون عن ظهر قلب كل تفاصيل حياتهن، صعد إلى المركبة، صعد الرصيف معه، كان الرصيف متذمراً من أقدام لا تستحق الحياة، أقدام تضربها بلا رحمة، وحين شعر بأن الرجل الذي كان واقفاً عليه، قدماً يمضي لتوديع العالم، ذرف الرصيف دموعه وترجل ليواصل صراخه بوجه المارين عليه..

رافقناه إلى المنزل، قال: (عانيت كثيراً قبل الحصول على هذا المنزل).. قال أيضاً: (استأجرت منزلاً من صديق

دراسة وطفولة لم يرحمني قط، كان يعاملني بالدولار وبالسعر القديم الثابت، كان يأخذ منّي بدل إيجار **$1000** شهرياً..).. عبر سرداب منزله، انتقلنا إلى غرفة الضيوف، كان الزقاق (مفلشاً) كما هي حياتنا مذ ولدنا وإلى الأبد، تحت صيانة طويلة الأمد، بحيث أصبح باب المنزل معلقاً في الهواء، في صالة الضيوف، بلا كهرباء، تحدث عن سر تعلقه (بهاملت) وعشقه الشديد للمسرحية، حتى تولدت لدي فكرة الكتابة عن (هاملت في مسرح محي الدين زنكنة)، لا أعرف هل بوسعي تكملة هذا المشروع، أم أنني أطرح هذه الفكرة على نقّاد المسرح، للكتابة عن هذا الفاصل الحيوي في مسرحياته ، سأل عن (ديالى)، عن أدباء (ديالى) عن (بغداد) عن أدباءها، متذمراً غير راضياً من أوضاعنا، متحسراً عن تلك الأيام التي كانت مليئة باللقاءات والمهرجانات الأدبية المتواصلة، رفع كتاب (هاملت) قال: كل عام أعيد قراءته..!! ثم عرض علينا تماثيل برونزية لـ(مكسيم غركي وغوغول وبوشكين) قال: اقتنيتها من روسيا..!!، تحدث عن (ستالين)، من خلال الفلم الذي رآه، قال: أشعر بكثير من الأرق، منعني الطبيب من القراءة وحتى رؤية التلفاز، أية حياة نعيش..!!، قال له (سعد): لم يجرى معك أي لقاء..!!قال: لا أحبذ وضع الأسئلة على الورق وعرضها علي للإجابة عليها، أحب اللقاءات المباشرة..!! رفع بند ورق منضد..قال: كتاب جديد، مجموعة مقالات عنّي من تجميع وتحرير الدكتور (غنّام محمد خضر)..!!، وعند الغداء كنت صائماً (يوم الخميس) صيام الدهر الذي أواصله برغبة لا توصف سعادتها، أديت صلاتي والتقطت صوراً للمأدبة التي كانت

ممدودة بينه وبين (سعد)، قال ضاحكاً: سنطلب من (كاك تحسين) شبراً في الجنة..!!عندها عرفت أننا في جلسة وداع، لأن المحكوم بالموت غالباً ما يضعف أمام الآخرين، يبوح بكل ما لديه من أسرار، ينطق بأجله من غير شعور، بعد نصف ساعة أخذنا إلى سرداب بيته، وجدنا مكتبة تحوي مئات الكتب والمجلدات، طاولات منتظمة، كومبيوتر، معرض يحوي أكثر من مئة كاسيت مسجل، رف عليه أحدث الإصدارات التي أصدرتها المطابع من مؤلفاته، فتح لنا دولابين خشبيين مغلفان بمشمع (مجنزر)، عرض علينا (مئة كيلو غرام) من الورق المرزوم بدقة وعناية، قال: هذه كلها مشاريع أدبية وأفكار متراكمة منذ بداية عهدي بالكتابة..!!، قال أيضاً: طلب مني (فخري كريم) إعادة طبع جميع مؤلفاتي..!!

* * *

مكان عمله يشبه أمكنة كبار الكتاب الروس، حيث الهدوء المطلوب والنظام الصارم، لم يبحث (أبو آزاد) عن الشهرة في يوماً ما، بل كانت الشهرة تتصيده، تراقبه، تبحث عنه، تمطره بالجوائز، قال أيضاً: هناك مشروع تواقيع ستنشر على المنظمات الإنسانية من أجل الحصول على (فيزا) لي، من بين الموقعين ذكر (كاظم حبيب..ياسين النصير وآخرون) ..!!لم أحفظ أسماءهم يا لسوء حظي بسبب تلك اللهفة العارمة التي ظلّت تسكنني لرؤيته..!!

* * *

مات (محي الدين زنكة)، تاركاً حسرة كبيرة في قلبه، حسرة عدم إعطاءه (فيزا) كي يعالج شبكية عينية.

السؤال المطروح:

أمام وزارة الثقافة..

أمام الحكومة العراقية..

أمام حكومة إقليم (كوردستان)..

بعد العجز الذي حصل لتلبية رغبة كاتب بوزن (محي الدين زنكنة).. هل من الممكن تخليده في جائزة سنوية، عالمية في المسرح، أسوة بكتّاب بلدان العالم المتحضرة..؟؟

أعتقد أنه يستحق هذا المطلب البسيط..!!

يستحق أن يخلد أسمه بإطلاقه على أحد الشوارع أيضاً..!!

يستحق تصنيف مؤلفاته، المسرحية، الروائية، القصصية، مقالاته الأدبية، ضمن مقررات الدراسات الجامعية..

يستحق جناحاً خاصاً في المتحف توضع فيه مؤلفاته، أوراقه، مقتنياته، جوائزه الأدبية، أسوة بأدباء العالم المشاهير..!!

* * *

تغمده الله برحمته.. وأسكنه فسيح جناته..!!

بجلطة شعرية..

مات بطل رواية (نافذة العنكبوت)*

مثلما كان الفقر يترصده، مثلما كان الحرمان دليله، مذ قذفته اللذة في رحم الحياة كائناً حالماً كبقية الكائنات، كانت آخر قصيدة تتسكع أمامه، عارية، غاوية، ومثلما كان رغيف (تنور الطين) وليمة حياته الدائمة، أغوته القصيدة المتراقصة على رصيف شارع منسي لبلدتنا العزيزة المتهالكة (جلبلاء)، سحبته القصيدة إلى فيء شجرة يابسة، أغصانها مضت حطباً في يوم أسود، هدهدته القصيدة وأقفلت خط الرجوع بوجهه، كائن متعب، ليس بوسعه المشي كثيراً، يداهمه التعرق وصوت اللهاث يسبقه، لكنه يمتلك قدرة نادرة في مطاردة الحروف والكلمات لأيام متتالية، دونما تثقل كاهله بعبء السهر، ذاب لحم جسده، بعدما قهرته ظروف البلاد، لم يعد يمتلك شيئاً بعدما نزف كيانه كاملة، عبر قلم الروائي (شاكر نوري) في رواية (نافذة العنكبوت) ..!!

* * *

ظلّ (رحمن زنكابادي) أحياناً (رحمن وردة) الأخ الصغير للشاعر والباحث والمترجم الكوردي الكبير (جلال زنكابادي)، عاشقاً للشعر الحديث، الشعر الخالي من القيود العتيقة، الشعر المتكون من جمل لها دلالات، عبر لوحات تفرضها الضرورة المرحلية، راح سراً يدّون

أرق الليالي الطويلة جرّاء مرارة العوز والحرمان والجوع، فوق علب السجائر ومهملات أوراق يجمعها ويقوم بخياطتها ليحصل على (دفيتر) يستوعب ما ينزف، من آلام وأحلام ورغبات وهواجس، فرحاً يطير ما أن تهل شمس الحياة خجولة على البلدة، يبحث عن زملاء يجدونه شاعراً يستحق الثناء، في زمن يتقوقع، يعطيهم (الدفيتر) الضاج بخربشات الليل الموسقة على إيقاعات فرقعات البطن الخاوية، لم يمل أو يكل من زراعة هواجسه النثرية، في زمن كان يضمحل ويتناثر والثقافة تسورها حراب وعيون لا ترحم، رغم جووووووووووووووه الدائم، لم يسمح لقلمه الانزلاق إلى آبار الرذيلة، وما أسهل الكلام المباع وسرعة تشكله، لم يخط جملة خارج سياقات صبره وتمرده، في زمن كانت القصيدة (الكاذبة) تغني وتسمن من جوع وتؤمن حياة خالية من الملاحقات والسجون، وصل به العشق الجنوني للشعر، أن يصدر (مجلة) أدبية، يقوم بتجميع الورق، هو المحرر /المنضد/ الرسّام/ الموّزع، نسخة واحدة طبعاً، يحملها سراً، خوفاً من عيون رجال الأمن، يأخذها إلى زملاءه، فئة لم تجد في البلدة سوى (أشعار رحمن) متنفساً عن الاختناق الثقافي، كلمات صادمة، لوحات تؤرخ سيرة أيامه، كل ما يقتنصه من مشاهد واقعية، يقولبها وفق درجة استيعابه للكينونة الشعرية، قصائد وفق إيقاع عصف الغضب المتنامي فيه، داوم (رحمن) على إصدار (مجلته) لعشرين عاماً، لم تقف عن الظهور السرّي، رغم أن الوشاية في البلدة كانت مثل شرب الماء، أو كانت الشهيق الذي يحيا به

أزلام المرحلة الورقية، داهموه وأخذوا كل ذلك الركام الورقي الحائل اللّون، بقت ستة أشهر تلك (الدفيترات) في دائرة الأمن، لم يفكوا رموزها، مثلما كانوا يفكون رموز الشباب بسياط (الظلاملوجيا)، أعادوا له (مجلاته) قبل أن تزحف قاطرة الحرب القذرة، ويجد نفسه مكرهاً خارج بلدته الأثيرة، فهو يحتمل آلام الشعر ونيران الحياة البائسة، بيد أنه لا يحتمل تلك الحياة الرتيبة، في صحاري البلد الكبرى، حيث الرمال تتشكل مثل دهاليز لخنق أحلام الشباب، قرر الهرب، أسوة بكبار أدباء العالم الذين رفضوا الانخراط مع قرابين الساسة، وانزوى ردحاً من الزمن في مكان ما، مكان منسي، في قرية صغيرة، من هناك كان يبعث رسائله (الشوقية) لأصدقائه، ويزودهم بآخر إرهاصاته الشعرية، وكل نهاية شهر تتسلل أمه إلى البلدة وهي تخبئ تلك النسخة من مجلته، داخل روحها خوفاً من (سيطرات التفتيش)، المتواجدة في كل نصف كيلومتر طريق، كانت أمّه الرائعة، توصل رسائل الابن اللائذ في مكان أمين إلى زميل موثوق، يقوم هو بدوره، تمريرها على زملاء الثقافة..!!

* * *

حلم حياته الكبير لم يتحقق، ذلك الحلم الذي يؤرق كل كاتب في بداية مشواره، حلم إصدار الكتاب الأوّل، رغم أن (رحمن) كانت الكتابة الشعرية عنده (سيلان)، أوراقه في جيب بنطاله، قلم الرصاص بيده، عيناه تطاردان الأشباح الهائمة من حوله، لديه مخطوطات كثيرة تحمل عنوانات مثيرة، عاشقاً للسوريالية كان، لكنه كان صبوراً غير مستعجلاً لنشر ديوان شعري يمنحه راحة

بـال، ويقنـع نفسـه إنّـه وصـل الجبـل المؤرق، جبـل الشـعر النبيل..!!

* * *

مات (رحمن) بطل رواية (نافذة العنكبوت)، مـات موتـاً شـعرياً، هكذا تلهـج الألسـنة فـي (جلبلاء)، وجـدوه بـاكراً يتصـفح بلدتـه، يسـير بخطـوات خجولـة، يريـد أن (يمتـع النظر) لتلك الطالبات وهن ينثرن مراهقتهن إلـى جـانبي الشارع الرئيس، تلك هـي من مفتتحـات البوابـات الشـعرية لـه، يغـزلهن فـي ذاكرتـه المتورمـة برغبـات فـوق العـادة، كـان يمشـي والقلـم متحفـز فـي يـده، يـرص الجمـل، وتلـك الكلمـات المتنـاثرة مـن أفـواه العـابرين فـي الفجـر، إلـى أبـواب السـماء بحثـاً عـن أقـواتهم، كـان يلـتقط الضـحكات المنفلتـة، ضـحكات خاويـة، خاليـة مـن نبـرات السـعادة فـي بـلاد تمقـت الفـرح، لأنهـا مـن وسوسـات الشـيطان، أو الفرح كمـا يزعمـون (عبـث)، مثلمـا تلـتقط منـاقير الطيـور فـي بكـرة الصـباح، حبـوب الحنطـة والشـعير المنفلتـة مـن ثقـوب أكيـاس الفلاّحـين وهـم ينقلـون محاصـيلهم الفقيـرة، لأن الـبلاد لهـا خصـومة مزمنـة مـع الغيـوم، كـان يمشـي ويتعثر بالحفر التي خلّفتها (بمبـات) لا ترعوي من حراثـة النفـوس الحالمـة دائمـاً وأبـداً، كـان يجمـع تلـك الكلمـات ويغزلها (مسبحات) شعرية ليوم كان علـى أقصـى درجـات الصبر على مجيئه، مذ تم طرده من دائرتـه (موزع بريـد) لأنـه رفض بكل تواضـع أن يتجحفل أو يتعسكر مـع زمـر الظـلام التـي أشـاعت الفوضـى فـي أزمنـة (البعثلوجيـا)، ومثلمـا فعـل الشـجعان، تنكـب قلمـه ودسّ رصـيداً ممتـازاً

من أوراق فائضة عن الحاجة، وعلب سجائر متنوعة في حقيبته، ناسياً أو تاركاً بعض ما يملك من ملابس قديمة..

قلت له يوم فراره:

[..يا رحمانوف..

إذا بردت أجعل من قصائدك غطاءً بهياً..

وإذا جاءك القيظ..

أجعل الشعر كلّه لك

..مروحة كونية..!]..

هكذا هم أصحاب المواهب المطمورة، في زوايا قصية من بلاد لولا الشعر لما دامت، لما بقت متواجدة متحدية، لكل إشكالات الغزو، منذ فجر السلالات البشرية..!!

* * *

مرت سنوات الألم والظلام بتثاقل، حصدت النفوس وخربت الأذواق، مات من مات، ضاع من ضاع، تعوق من تعوق، أسّر من أسّر، عاد (رحمن) من جديد إلى بلدته، من غير مصدر رزق، رفضته دائرته، ولم يجد سوى (جمبراً) أمام باب مرآب (جلبلاء) واقفاً مذ يهل الفجر وحتى منتصف الظهيرة، عين تبيع، وعين تطارد الشعر، يكتب ويدس في جيب معطفه قصائده، رافقته موهبة أخرى، الجانب الآخر من الشعر، موهبة الرسم، في لوحاته يبدو الألم واضحاً، المكابدة والتفاعل المتواصل من أجل البقاء، يرسم تخطيطات بقلم الرصاص، لناس وجد الشعر غير مستوعباً آلامهم..!!

* * *

مات (رحمن) وهو يترك زوجة تقاسمت معه شخصية البطل في رواية (نافذة العنكبوت) وحفنة مجاميع من القصائد، ورواية واحدة وقصص قصيرة ولوحات فنّية وحوارات أجراها مع ناس من البلدة، ومجلاته، وعشرات المقطوعات الشعرية التي نثرها على صفحات الصحف والمجلات، التي كانت مخصصة للأقلام الجديدة (البراعم) من غير شكوى أو تذمر، وبعض الترجمات من الكوردية إلى العربية..!!

* * *

ربما يجد البعض في هذه الكلمات ما هو مخالف للواقع، أو خروج عن مألوف العادة، كوونني كتبت عن شاعرٍ غير معروف، سأقول قولي هذا، لم أجد من يحمل حرصه، ومثابرته، وعشقه للشعر، ولم ينقصه سوى القراءة الجادة، لتهذيب كتاباته، أو تشذيبها من الصور المرعبة، ومن يدري ربما سيكون الزمن القادم زمن (الشعر المرعب)، هكذا استقبلوا (أوراق العشب) يومها، والتاريخ الأدبي حافل بكل أنواع الإستهجانات، التي استقبلت كتابات فوق العادة، أو خارج نطاق الأذواق، لأدباء تسيدوا فيما بعد الرفوف العالية من الثقافة الإنسانية، فالزمن غالباً ما يخبئ النتائج الحاسمة، والشعراء الذين صاروا كباراً ماتوا صغاراً لأن.. (الأرض لم تعد تحتمل طيبتهم) كما ذهب (نيتشة) في وصفهم..!!

* * *

من رأى (رحمن) أو أستشرف حياته، لابد أنه يجهر

بالقول، (يا له من شخصية روائية من الطراز النادر)، شكله، مكابداته، سيرة حياته، كلها فقرات أستغلها الروائي العراقي المغترب (شاكر نوري) في رواية (نافذة العنكبوت) الرواية التي قالت كل شيء جرى في البلاد، بعين ناقدة وساخرة، كان بطل الرواية (رحمن) وزوجته (.....) كائنان جمعتهما القسمة، كان زواجهما، أو بالأحرى ليلة زواجهما ليلة مثيرة، أستغلها (شاكر نوري) وأضاف إليها الكثير من أمراض الواقع لتأتي رواية (صادمة) لم ترتح لها نفوس السلطة، لقد تنبأ الروائي بموت بطل روايته مبكراً، تاركاً الزوجة أسيرة تقوقع قبل أن تغدو فريسة لخيوط العناكب، وهي تنهال لتتحد مع أغوارها، لقد مات (رحمن) باكراً لتأتي نبوءة (شاكر نوري) مدهشة، وكان الفارق الزمني بين موته الروائي، وموته الحياتي لم تتعد عشر سنوات..!!

* * *

(رحمن وردة): شاعر شاب مات بجلطة دماغية..هو شقيق الأديب الكوردي الكبير، الشاعر والباحث والناقد والمترجم (جلال وردة أو زنكابادي) الذي يترجم من أكثر من سبع لغات عالمية..أتخذ حياته الدراماتيكية الروائي العراقي (شاكر نوري) عالماً روائياً في روايته المثيرة (نافذة العنكبوت) ..كان يبيع السكائر في كراج (جلولاء) وكان يصدر مجلة أدبية من نسخة واحدة، يحررها ويخرجها فنياً وكتابياً وقوم بتمريره على الزملاء محبي القراءة.تم طرده من دائرته موزع بريد بسبب رفضه أداء الخدمة العسكرية أبّان فترة الحرب غير المقدسة..!!

* * *

اغتيال حلم ..أو
شاعر آخر يتوارى

(أن مهنة الشاعر هي زلزلة الواقع).. ـ أدونيس ـ
على ما يبدو..
هذه العبارة بحاجة إلى إضافة، هي واقع حال مفروض..
على ما يبدو..
(أدونيس) قد غاب من باله مقولة (نيتشه)../النوابغ يموتون شباناً لأنهم طيبون أكثر مما تستطيع الأرض تحمله/ يمكننا أن نظيف لعبارة ـ أدونيس ـ (بعد موته). ولنا أسماء ليس بوسعنا في هذه المساحة القلمية المحددة، بحكم المساحات الممنوحة من على الصفحات الثقافية للصحف المحلية، لنستذكر (شيلي، لوركا، بوشكين، رامبو، أبو لينير، بودلير، السياب).. أسماء ما تزال تهيمن على الذاكرة الشعرية في كل عصر ومصر..هؤلاء وأن توزعت أشلاءهم على توابيت العصور الطاحنة، بصراعات سياسية، وحروب أممية، كانوا القناديل المتوهجة بين بسطاء الناس، وسط حمى

الفوضى، وغليان الحياة، لقد ضاقت بهم الأرض ولفظتهم، تعروا، جاعوا، طوردوا، لم يتخلوا في أقسى لحظات العوز والحرمان، عن الحلم المرفرف في قلوبهم، ويقيناً أن لسان حالهم في هذه اللحظة بالذات، إذا ما قيض لهم أن ينهضوا من أجل الإجابة عن سؤال محدد:

ـ ما هو شعوركم وأنتم أصبحتم لسان حال زملاؤكم ليل نهار..؟؟

بطبيعة الحال ليس ثمة جواب آخر سكن الرأس وشغله، مذ بدأ الشعر ينبت مخالبه في أرض الخيال، وليس هذا الجواب من بنات الخيال طبعاً، أو لائحة شبه قانونية للدفاع عنهم، أن الواقع المعاش يلوّح بهذا الروتين المتواتر (لقد قتلونا في الحياة وأحيونا في الممات) وحين نقرأ أوراق الحياة، نكتشف ـ بكل وضوح ـ أن الحياة تزرع، وتوزع مباهج الفرح على قلوب بلا أقفال، وأرواح بلا حدود، يائسون قبل أن يولدوا، لا تحتملهم العيون، ولن تسع سطح الأرض براءتهم، عبثهم، جميلون في عيون التعساء، بذيئون في عيون أصحاب الترف، أرهط تتتابع، وهي من غير مجاملة، أو تزويق كلام، نماذج بشرية، لن تتكرر، مؤهلة، قادرة على تحمل صنوف العذاب، من أجل ذرة حقيقة، وإن تطلب الأمر مجابهة قاتلة مع كل الأعاصير، نراهم من هول التواضع لا يبوحون بعوزهم، نراهم في ذروة اليأس، يحوّلون عذاباتهم إلى أغاريد للسلام والحب، فما بال هذا السيل الجارف من مقالات تجتاز حدود عقلانية النص، وتجترح فضاءات المخيال، وتأتي بتناسق جمل هي قصائد كتبتها الكتيبة الراحلة،

وخطتها أقلام من وجد الفرصة لقول ماكان يؤرق الذاكرة، ولكن ليس ثمة رغبة لقولها طالما هي حقيقة، وهل من الممكن أن ننهض الميت كي نحتفي به، كما فعلوا برفاة (كرمويل) يوم قرروا إنزال عقوبة الإعدام بحقه بعد أن شبع موتاً، لم لا نترك الشاعر، أو الأديب الراحل، أن يجابه الأبدية بآلامه والكلام الجميل الماكث فيه، للدفاع عن نفسه ضد كل حساب غير محتمل، ومدوّن ضده في يقظته وسباته، ولم لا نستذكر مقولة الشاعر (حسين مردان) .. يوم طرح عليه سؤال:

. ماذا تريد أن نصع لك بعد موتك ..؟؟

قال بسخرية لاذعة:

. بولوا على قبري ..!!

ألم يكن جوابه رسالة صريحة لمن يروم إقامة شعائر جنائزية بعد رحيله، بعد سنوات من المثابرة والجري وراء عربة الإبداع، لسنا بصدد الذهاب أكثر من هذا، قدر رغبتنا أن نستحضر حالة شعرية لمّا تزل حديث الوسط الأدبي، كون المستقبل بات أكثر ضبابية برحيل شعراء في أول سلم الصعود، ، وليعذرني الجميع إن عرجت بمقالي هذا صوب الشاعر الجوعان ـ عقيل علي ـ علماً، ليست هناك صلة لي به، لم ألتق به إلاّ لمرات دون أن أسمع صوته، كونه مات كما مات ـ عبد الأمير جرس ـ كما مات ـ جان دمو ـ على قارعة الطريق، ولم تنه حياته اليائسة رصاصة بائسة.

* * *

رأيته في ـ آب / **1998** ـ في ملتقى القصة العراقية

الثـاني، داخـل قاعـة الاتحـاد، تحديـداً فـي المسـاء الأخيـر لحظة ساد القاعة جواً من اللغو، وحين نقلت عينـيّ حيث العيون استقرت، رأيت كائناً وديعاً، يحـاول أن يقول شيئاً، لكن ثمة عيون دائماً بالمرصـاد، أيدي مهيأة للتنـاوش من مكان قريب، قامت، وضعت الأنامل الكونكريتية فوق الفم البـريء، وقبّـرت الرغبـة فـي منبتهـا، وحرمـت الحضـور الـذي تـذمر، تـأفف، وكظـم الغيض الـذي هـاج وبـان فـي العيون، راحت الأسنان تطحن اللعنـات المتوالدة، لم أكن أعـرف ذلـك الشـاب الـذي بكـل أدب رفـع إصـبعه، كتلميـذ خجول متضايق، يخجل أن يفصح عن ضـغط مثانتـه، أراد أن يسمح له بالكلام، تألمـت مـع المتـألمين ولعنـت سـراً مـع اللاعنـين الـرؤوس الجالسـة فـوق المنبـر، وهـم يروّجـون لأدب تعبـان، هـم أشـاروا طبعـاً بحركـاتهم المخابراتيـة، المتفـق عليهـا سـلفاً، للحـرس السـري المنـدس ضـمن الجوقـة الأدبيـة، تسـارعت، وكتمـت حلمـاً أراد أن يشـع، لقتـل الضـجر المتـراكم علـى رؤوس، وداخـل حجـرات العيـون المغلوبـة، رغـم أنـف حامليهـا، ربمـا أراد ذلـك الشـاب النحيـف الـذي فيمـا بعـد تعرفـت علـى أسـمه، يـوم رأيتـه علـى صـفحة ثقافيـة، أراد أن يقتـرح شـيئاً نافعـاً، أو يطرح فكرة حول ما يجري من إقصاء متعمد لجيلـه، الـذي غدا رغم أنف المحدثين جسراً لا يمر كل شـاعر مبدع أو ناقـد جـاد إلـى عليـه، ربمـا أراد أن يطلـب عونـاً، وهـذا أضـعف الاحتمـالات، ولحسـن حـظ اتحـاد الأدبـاء كانـت القاعـة حاشـدة، كونـه اليـوم الختـامي، والـرهط الباسـل مـن الكتّـاب، كـانوا قـد أعـدوا عـدتهم فـي هجمـة (شـهاداتية).. دفعـت فيمـا بعـد أثنـين ممـن قـال الحقيقـة، بتحـدي كبيـر،

دفعوا ثمن جرأتهم، سيقوا إلى سجن (أبي غريب)، هما القاصين (حميد المختار و شوقي كريم حسن) وإن كانت تهمتيهما لا تمتان بصلة إلى شهادتيهما، بينما فلت القاص (صلاح زنكنة) من مخالب الأمن وما أثاره نائب محافظ (ديالى) من لغط دفع اتحاد أدباء (ديالى) إلى تعليق عضويته، ومنعه من دخول الاتحاد، ورفع مذكرة (إعدامية) إلى (دائرة الأمن)، فيما بعد أسرّ (ضابط الأمن) وبطريقة سرية أسم كاتب التقرير الفاني للزميل (صلاح)، بعد تقديم برقية فورية إلى اتحاد أدباء المركز، لطرده من عضويته المركزية، لأن (صلاحاً) قرأ بعد يومين أو يزيد نفس ما قرأه في ملتقى القصة القصيرة، في أمسية (تموزية) انتهت بفوضى تمس أمن السلطة.

عود للبدء..أن الأيام الثلاثة للملتقى، كشفت عن خواء القاعة، لم يجلس سوى المقدم، وأنفار مذعورة، أو لها صلات لا مرئية مع السلطة، حتى أن الأدباء كانوا يقولون علناً جئنا من أجل أن نرى البعض، كانت الأماسي الحقيقية تجرى أمّا في حديقة نادي الاتحاد، أو داخل غرف الفندق المصادر من أجل الوفود المجذوبة، للملتقى بقرار منشور في الصحف الناطقة بلسان (قبلاي..خان) الشعب، لقد مرت الأيام، وأذ ذلك الشاب النحيف، أراه على صفحة من جريدة أسبوعية يحاوره الكاتب المجيد والمحاور المراوغ (ناظم السعود)، في حوار كله ألم ونسيان متعمد، لشاعر يحتفي به الأغراب، ويقصيه بنو عمه الأعراب، من على صحيفة (الرافدين) الأسبوعية، إن لم تخن الذاكرة، استمتعت برحلة الخباز الذي خبز الشعر في تنور العوز، حتى تنبأ مبكراً برحيله

يوم صدر ديوانه الثاني (طائر آخر يتوارى)، نعم عرفت فيما بعد أن الشاعر الحقيقي، هو طائر ينبذ الأقفاص، مكانه الشمس، إن لم يجد غابة تؤويه، تألمت، وأنا أقرأ ذلك الحزن المنسكب مع كل جملة خجولة، أو رغبة تبحث عن صفحة حياة نقية، كي تنمو، وتعطي الوجود نغمة مضافة إلى أغاريد البائسين..!!

* * *

آه ..الآن طبعاً أتذكر لقائي أو نظرتي الثالثة، لشاعر أحبه الجميع بعد موته، وربما أخذ الشعراء الدرس الآن، بعد أن صار مستقبل الأدب محض تهويمات، وأحلام غير قابلة للتأويل إن لم نقل التحقيق، وراحوا يصبون أحزانهم في كل مأتم، بطبيعة الحال هي أحزان شخصية، وخسارات حياتية، تنفع لتكحيل ثقافتنا ما بعد الإقصاء من الرف الأمامي، كون الثقافة تنتج حضارة، والحضارة في العلم الغربي الحديث، معقل لصد هجمات التغير الشامل لقافلة الوجود الإنساني.

وجدت (عقيلاً) يجلس في مقهى (الشاه بندر)، بيده عكاز، كان يسخر بعينيه، وربما كان يتهيأ للذهاب إلى منتدى الشعراء الشباب الأموات، وجدت زميلي القاص والروائي الخجول (سعد محمد رحيم) يدس يده في جيب بنطاله، قبل أن يخرجها مضمومة كل الضم، ويدس ما فيها بين أنامل (عقيل).. قلت لحظتها هكذا يتوارى المبدعون من المشهد الإبداعي.

* * *

أما المرة الأخيرة التي رأيت فيها (العقيل) الذي أعقل الشعر، وعقله في زريبة التحدي، يوم دخلت إلى (اتحاد الأدباء) لتجديد هوية العضوية، فجأة قامت قيامة رائحة بغيضة، أخرجت منديلي كي أنجو من رائحة العرق الذي سحلها (عقيل علي) إلى الغرفة، وأندفع يعانق الشاعر المنسي (تركي الحميري)، تعانقا، تبادلا الهموم، وربما قبلات الوداع، أو همسات اللقاء القريب وأظنه، أستلم منه (كلمة السر) المؤدية إلى مكان، لا يلغيه الزمان.

مات الشاعر (رعد عبد القادر)

مات الشاعر (عبد الأمير جرس)

مات الشاعر (جان دمو)

مات الشاعر (تركي الحميري)

مات الشاعر (عقيل علي)

وغداً يتبعهم الآخرون، تتبعهم بكائيات الأصدقاء، تتعكز على معجزاتهم أركان المؤسسات الثقافية القادمة، لتتخذهم عباءات جاذبة لإرساء دعائم سياساتهم.

ظلّ الشعر العراقي الأصيل يتوارى، بمهل، ظلّت حفلات التأبين تتواصل دون أن يهتز قلم كي يغير هذا (العلم المستقر) كونه (جهل مستمر) ..!!

* * *

أمانة لابد منها..!!

زارني الشاعر (عقيل علي) في لحظة يقظة، ناوشني ورقة ممهورة بتواقيع لشعراء أموات اجتمعوا في مقبرة منسية، تدارسوا سبل إنقاذ أرواحهم من هذه الجعجعات غير المجدية، رافعين شكوى، طالبين ضرورة تبديل

المنهج السلفي لتكريم الشعراء، وتم بالإجماع المصادقة على هذا البيان، وبمباركة حشود شعراء مظلومين زحفوا من كل العصور ..!!

(بيان) ..

الموقعون أولاً..

الحاضرون..

إلى:

كل وزارة تعنى بالثقافة..

كل اتحاد أدبي..

كل تجمع ثقافي غير مرتبط بأهداب الدولة..

يرجى تبديل المناهج السلفية في تقدير وتكريم الأدباء، إذ ليس من المجدي أن تحرمونهم من هذه الأموال المخصصة لبذخها فوق رفاتهم، يرجى توزيع الهبات أو ما أطلقنا عليها (إكرامية ما بعد الحياة)، على كل الأدباء في حياتهم، مع إقامة حفلات تأبين سابقة لأوانها، كي يتمكن أن يدافع عن نفسه يوم السؤال، بعدما أنتفع منها يوم التشرد، لا تقلقوا نومنا رجاء، دعونا نهيأ أماكن تليق بقدومكم..!!

باب الواقع

الرقيب الداخلي والإبداع

(لن نفهم أنفسنا، إلاّ عندما نجد أنفسنا في ضياع)..
(هنري دافيد تورو)

* * *

..هو كائن لا مرئي، محسوس غير ملموس، يتواجد ريثما نبادر أو نبغي تحرير إفرازاتنا، لسانياً، كتابياً، أحياناً عينيّاً، قرين ساهر، لا يكل أو يمل من تشتيت كل ما لا يروق للآخر، ليس بوسع علم النفس (الفرويدي) فك ارتباطه، أو تشريح ماهيته، أو إعطاءنا تفسيراً مقنعاً حول كيفية ولادته، أو اتخاذه من النفس البشرية عريناً

مرعباً دائم السكن، يمتلك برج مراقبة تفوق دقته في التحسس أدق الأجهزة الحديثة، قنّاص يخنق المبادرة في شرنقته، لا يدع أدنى فرصة لبرعم يريد أن يتوالد علناً، كاتم النفس هو، قبيح رغم تواجده الأزلي الأبدي فينا، لا نملك الحق في إلغائه، له الحق في توجيهنا، يستفرد بمشاعرنا، يتواجد أينما نكون في يقظتنا المرتبكة ونومنا القلق، لا تأتي هواجسنا إلاّ من بين مخالبه، لا يمر حلم من دون تفكيكه وتبديده، أنه قرين فوق كل احتمال، تغذى بنا على مرأى من أعيننا، طائعين رحنا نجامله رغم قسوته، وربما أكثر المتضررين هم الصفوة الحالمة، أصحاب الآمال العريضة، الساهرون وسط براكين العذابات، الحالمون بحياة بلا تعقيد، حياة متواضعة يمارس اللسان سلطته فيها بلا تابوهات، وحدهم الكتّاب ينزفون دماءهم بالتقطير المريح، وعرق أجسادهم، من أجل تعبيد دروباً للحرية، من أجل أن ترفرف الحياة بأجنحتها الحقيقية، يا له من وبال وخيم، علّة دون علاج، كثيرون يجهرون أنهم قتلوا هذا المارد الشبحي، لا يتورعون من تكرار تباهيهم، وحين نستطلع مزارعهم نجد أن هذا الرقيب العنيد من شاهق خيالنا يقهقه، هل حقاً اللجوء إلى ترميز وتقنيع (الحق) هو هروب أو عبور حواجز رقيب الداخل..؟؟ وهل تلبيس الكتابات بأسماء مستعارة حرب في وضح النهار مع السلطات الغوبلزية..؟؟ من جعل الصحافي يكتب عن ساخن الأحداث دون ذكر أسمه الصريح..؟؟ كتّاب ذات يوم كانوا أصحاب نظريات وآراء وطروحات فكرية، أعمالهم كانت تؤسس لبنات أولى لبناء هرم الثقافة

الصادقة، من دفعهم اللجوء إلى منابت لا تدر غير عواطف مستهلكة وفلاحة في أرض قاحلة..؟؟ لا تقولوا الخوف..!! فهذا الخوف هو الذي جندل الحرية وخنق الحياة داخل الفوضى، وسد الأفق بوجه النور المتنامي داخل ذواتنا، هو رقيب الداخل العنيد، هو (غوبلزنا) الذي تناول عشبة الخلود، فمهنة الكتابة هي حرفة الشجعان، حرفة مكانها أفران ومراجل لا تعرف الانطفاء، ليس الكاتب وحده من يخضع لنير الغول القابع فينا، وأن كان هو من أكثر المستهدفين رصداً، أينما نجلس، أينما نقف، داخل المقاهي والكراجات، داخل حافلات النقل، في الدائرة، وحتى أوان السهرات العائلية، دائماً يرن جرس يرن بنذير عاصفة هوجاء، يدير دفة الحوار ويوجه سفن النقاش صوب أمكنة رثة، لا أحد يتفوه بالسياسة، أو يشير إلى نقيصة من نقائص المجتمع، فكل شيء محدد، وكل كلام يمر بغربال رقيب الداخل، وكل غموض يقود إلى متاهات..!!

* * *

انقرضت السلطة التدميرية، ولم يرحل ماردها، ظلّ الواحد منّا يتلون كما تتلون الحرباء، تارة نلعن من تسبب في فجيعتنا، وتارة نحن لأيامه، صار اللسان لسانين، وكلما جاء عابر غريب ـ أينما نكون في مقهى أو داخل مركبة نقل ـ وحين يطرح غضبه أو تأيده لفئة ما، يتسارع الجميع لإسناد كلامه، وتفعيل ذاته بمجاملة تدفعه أن يسادر ويؤسس لإنبات شوكة ظلم وأضطهاد تأخذ جذورها بالتوسع، ويحصل التناقض بعد برهة حين يغادر صاحب

الرأي المتطرف، يجيء واحد ويطرح آراءه المناقضة لمن جلس قبله في ذات المكان، تصفق الأيدي وتشاطره الألسن فيما يجهر به، عجيب غريب أمر هذا العصر، من المسئول عن هذا التبدل الجوهري للذات، يقيناً أنه القرين اليقظ، الرقيب العتيد، ترى من حقنه بهذه الفراسة ومن مدّه بطول العمر..؟؟ من أهّل له أرضية خالدة وألبسه تاج الأزلية..؟؟ هذا الحاضر اللامرئي، يذكرنا برائعة (جورج أورويل) **(1984)**، سلطة الأخ الأكبر، ونفوذه الراسخ في داخل كل فرد، هل من الممكن أن نقول أن الكاتب أستشرف عصرنا وجال بيننا وسطر روايته، لم لا مادام الكاتب أوّل الملاحقين والمطلوبين من قبل ساسة الظلام، ربما ذهب البعض أن الرواية كانت تنبؤية وأن الحياة ستؤول إلى تلك النهاية الحتمية للإنسان، ويمكن إضافة فكرة أخرى، أن الروائي كان يعيش عصراً غامضاً مليء بالتناحرات وإلغاء الآخر، تيارات سياسية تتوالد وتتخذ من الإنسان جسور وقرابين للوصول إلى ثروات البلدان، لقد كان الإنسان أسير قوّة خفيّة تضبط منظوماته ومؤهلاته الإنسانية، يمنع ويبيح هذا القرين الساكن وفق دستوره الذي هو دستور الشر الراكب صهوة جواد الغرور والتفرد، بات واحدنا فريسة لمجسات تمتد في لحظة حاسمة، لحظة ولادة رغبة أو حلماً ينوي التغريد والتحليق، يالـه من كائن شمولي يجيد لغات الأرض كلها، لا يفرق بين كهل وطفل أو ولد وبنت، ليس في قاموسه سوى كتم أنفاس كل ما هو نبيل، أو شجرة تمد الحياة بظل للحالمين، فهو وصل إلى برجه الخالد بوسائل تدميرية وعمليات تطهيرية معقدة، لا يمكن في راهن العصر من تفكيكها كما يتم تفكيك خلايا الإرهاب

السرطانية، لقد بدأت أقلام معروفة بحملة كبيرة للنيل من السلطة البائدة، وربما هي محاولة لأبعاد التلوث السلطوي من سيرتهم الكتابية، سرعان ما تراجعت الأقلام من رحلة الحصاد بمحصول خائب، وصارت تتاجر برخيص مواضيع أو قميء أفكار، لقد طلبوا من (السيد القمني) التنصل علناً من كل ما كتب سنوات ما قبل التفخيخ والاعتقال الدولي للناحتين في أصل الحضارات القديمة، كونه أخرج الكثير من المطمورات، التي تدين واقع الحال للمؤسسات التدميرية للعقل البشري، فمن ينقذ النفس من براثن هذا المارق..؟؟من يعيد للّسان صوته وللقلم دبيبه في أرض الحرام..؟؟لا بد من حملة عظمى تكفلها الأمم والإستعانه بخبرات علماء النفس، وإنشاء قنوات إعلامية، مع ضرورة توظيف موارد بلا حساب، وأعداد مناهج دراسية ربما بعيدة المدى من أجل تفكيك شبكة هذا الرقيب فينا، لقد آن الأوان لإحالة هذا الرقيب على التقاعد، بعد انتفاء الحاجة إليه، رحيله يحرر ضمائرنا من كوابيس تعايشنا، ووجوده يفتك بما نحمل من أحلام، ولدينا المفتاح الذي لا يخطئ، مفتاح الولوج إلى قمقم هذا الرقيب الرهيب، لزعزعة طغيانه، وإزالته من داخلنا الملغوم.

* * *

لقد آن الأوان لإعلان النفير البشري من أجل تغيير ما بأنفسنا، لكي يتكفل صاحب المفتاح (العليم) بشؤون عبيده، ببقية المهمة المستحيلة..!!

* * *

امرأة الكاتب

[المرأة مستقبل العالم].. (أراغون)

دوافع الكتابة..!!

الكتابة ممارسة جنونية، مرهقة، مغرية، الكتابة الإبداعية، الحفرية المتعلقة بجماليات الفنون، يلتجئ إليها رهط من البشر لأسباب تتعلق بفلسفة العذاب والحرمان، أرق وقلق فوقطبيعي يسكنهم، يدفعهم سائحين هائمين بحثاً عن حجر الخلاص..

دوافع الكتابة.. شتى، منها ما هو هروب من واقع مؤلم، خانق، يخلط الصحيح بالعليل، ناصع البياض بالسواد، تكون لحظتها الكتابة، وسيلة ليس لإلهاء النفس، والتغاضي عمّا يدور من حولنا، بل انغمار، ذوبان، مناصرة، عبر نزف رؤى ملحّة تخاصم، تولدها صدمات حياتية معاكسة لما هو مقرور لماهية الوجود، أو نقل الذي يؤرق الذات، إلى من يبحث عن أرق المؤترقين، بسبب التواشج الفسيولوجي للطبائع البشرية، والعادات المشتركة، والحصص المفقودة من فرص الهناءات، الممكنة صياغتها، طالما خامات تحقيق الآمال توفرها الطبيعة من غير تكليف، حيثما تكون ثلاثية الوجود، أرض، ماء، سماء، توجد سعادة ورفاهية، وربما تكون الكتابة لحظتها أيضاً، تدوين

لغازيات هواجس تولدها حساسية الذاكرة.

دوافع شعرية الموسيقى تنهض، أوان شبوب لهيب فوق العادة، في قلب مترع بالهموم يسكن جسداً مفرط الحرص، رهيف رقيق ينصهر بلمسة حنان، أو بارقة حزن، قد يمس قلباً حالماً طيف عاطفة غرامية مباغتة، يخلخل نبضاته، يشعرنها وفق موسيقى وجدانية مغردة، مواجيد وعاطفيات تزخ مطر الحب إلى ثنايا الحياة.

دوافع الكتابة..ربما فعل نبيل المغنى، ثوري المعنى، يوقظ الحماسة بعدما يغلق منافذ التسامح أو التبصر، يدفع المتلبس بهذا الفعل، أو المتورط بعذابه، تحت ملابسات شائكة، أن يشهر قلم التحدي، نراس التخاصم، بوجه الخوانق المتسلطة، على كواهل أمصار تعيسة في كل عصر، تحديداً الكوابيس السياسية، لربابنة أو كهنة يؤهلون ذواتهم (أسود الغابة) لإقصاء قوانين الطبيعة، كونها لا تماحك، أو تهادن بربرية ذهنياتهم، تكون أوانها فعل الكتابة عقّار سحري المفعول، للباحثين عن أفياء تقيهم نيران السأم، وتخمد فيهم براكين الغضب، وربما البحث عن مشتركين في الهم الأزلي.

الكتابة بلسم شافي مجاني التعاطي، غير مكلف، قادر ـ مهما كانت حواجز السلطات الخانقة لحريتها، وشراسة المراصد القانصة لكلماتها ـ على تصريف تراكمات حقائق تضج داخل فرن الذات، أوان وجود كواسج بشرية خانقة للحرية، وحقوق الأفراد تحت غطاء أيديولوجيات خدّاعة، يدس فيها الثقافة دساً مسموماً، إيهامية الغاية، عبر معسول كلمات، وظواهر مفتعلة، كالمهرجانات الترويجية لسدنة الظلام، وأعداء الفطرة

والعفوية، ناكرو التسامح وقيم الإنسانية، عبر أحقاب غائمة، مغبرة، مضببة، وجدت الكتابة نفسها حرباء عصية، شرسة، سرقت إكسير الخلود، صارت تتلون وفق مقتضيات اللحظة، ومتطلبات الزمن، جراء قوة شكيمتها وسحرية مفعولها، وأفانينها المخادعة، والملهمة، تتسربل بأسمال لا يدركها إلاّ أهلها، الراسخون في تعاطي دروسها النقية، من تلويثات المنتفعين منها، أسمال رمزية، رومانسية، تجريدية، رومانتيكية، خيالعلمية، سريالية، لكل عدو لون أسمال واقية وجارحة.

ثمة دافع آخر للكتابة، إثبات الشخصية، أو سبيل مرضي إلى حدٍ ما، لتوفير (لقمة العيش) وذلك أضعف الحيل، لوقف آفة الجوع الزاحف لابتلاع الإنسان، لقد قال (برنادشو) ذات يوم لكاتب سأله عن سبب لجوءه للكتابة (البحث عن المال) بينما كان جواب السائل (البحث عن الشرف) رده الأول (كلٌ يبحث عن ما ينقصه) ..!!

* * *

الكتابة والألم والمرأة..!!

ليس كل موهوب يحالفه الحظ، كي يتوسد سرير الخلود، أو ينام على حقائب الدنانير، هناك من يرتقي سلالم الشهرة، وهناك من يهوي إلى قاع النسيان، وحده المؤهل لنيل المكاسب والأماني، من تقف وراءه (امرأة) ناضجة، تعي رغباتها وليدة رغبات بعلها، تلك (المرأة) السوبرمانية، توصل زوجها الكاتب إلى برج السعادة، أو تلقيه في سلة التعاسة، ليس كل (امرأة) فحسب، (امرأة) الكاتب لها مؤهلات خاصة، وصفات نادرة، ليست كلها

إيجابيـة طبعـاً، مثلمـا ليسـت كلهـا سـلبية، كلتـا الحالتـان تؤهلان المبدع كـي يحقق رغبتـه، ورغبـة من يبحث عن أحلام وردية، صفاء الذات، من خلال الكتابات الخلاّقة، والسابحة بحريـة فـي بحـر التـاريخ، مثلمـا الحـب، كـذلك الألـم، يمتلكـان أدوار ناريـة، لفـرش طريـق الكاتـب بـزاد سفر لا ينضـب، كـون الألـم هو الوجـه الخالـد فـي ديمومـة الحيـاة، نجـم هـذا الألـم مـذ هـبط أبـو البشـر (آدم) جـراء مخالفـة مقصـودة، أراد الخلـود فحـق عليـه العذاب، بعدما أغتفر له الخالق زلته، كذلك الكاتب، عليه أن يتعذب كـي يخلد، والألم هوية كل من يشعر، يحس، يناضل، يبحث، يرغب، أن يعيش، مثلما الحب يصنع المعجزات، كذلك فعل الكراهية، لهما محارق تحرق الذات، وتعطي براعات نادرة، تسحر أهل اليأس، المعذبون على هذه (البسيطة) البسيطة، تمنحهم فرص أخرى، لتكملة مشوار الصبر والتحدي، طالما الألم يتقاسمه البشر، أحمره، أسوده، أبيضه، رجاله ونساءه، شباب وشابات، كهل وطفل.

وراء الإبداع دافع ساحر، معين خادم، نيران لا تخمد، هـي (المـرأة)، ذلـك النصـف التكميلـي لقيافـة هـذا الـ(آدم) التائـه فـي صـحراء دنيـا بـلا حـدود، بحثـاً عـن طريـق العـودة إلى مأواه في رحلة عصيانه.

امـرأة الكاتـب.. هـي مـن ترسـم للحيـاة تلاويـن ثقافيـة، تصب في بحر الجمال، هي من تجعل الكاتب تأسيس مكانته على رف الزمن، وداخل قطار التاريخ، وقديماً قيل (وراء كل عظيم امرأة) ترى هل (امرأة) اليوم مؤهلة أن تنزف، تضحي، من أجل هذا (الوهم) الراكب خيال من تورط بفعل الكتابـة، زمـن ملغوم بالفوضـى، غيّـاب تـام لفـرص النعيم،

ظروف تضغط بلا رحمة، هل من الممكن أن نجد (امرأة) تصمت كثيراً، تصمد، وهي تحترق على لهيب واقع مر، وزوجها ينزوي خارج الحياة، ليدون ما يجده - حسب قناعته - ملهماً، ومغيراً لوجه الواقع، مهما يلهث الكاتب يجد نفسه يتراوح، داخل حلقة لا تنتهي، من صعاب حياتية تتوالد، تتشظى يوماً أثر يوم..!!

* * *

الكتابة مهنة أم محنة..!!

الكتابة في وطننا محنة لا مهنة، قولنا هذا تعبير عن نظرة شاملة، نستثني منها الخصوصيات المعدودة، والحالات الشاذة، والتي وضعت أسماء محددة على رف الرفاهية، أسماء وجدت مناجم أموال (تدهن) سير قلمه، مؤسسات رسمية تفتح حسابات له، كي يسير كالبرق من بلد لبلد، هم كتّاب ترويج لتلك الجهات الممولة بالدرجة الأساس.

الكتابة في بلدنا إلغاء تام لكل مناحي الحياة، كون المطلب الحيوي مشلول، مطلب العيش والحرية، وعدم توفر مساحات تستقطب ما تنتجه الأقلام من كتابات، ليس هناك (امرأة) بطبيعة الحال بوسعها أن تصبر كي يصير زوجها لامعاً، إن لم نقل منجماً للتعويض عن خسارات الأيام السابقة.

امرأة الكاتب الحقيقي.. يجب أن تحذو حذو (ميرسيدس) ملكة جمال/ كولومبيا / زمن يفاعتها، العاشقة التي جاعت، نامت في الشوارع، وعلى الأرصفة، داخل غرف فنادق رطبة وخانقة، تسترت بأوراق الصحف، تحت

موجات طقس متبدل في كل لحظة، توسدت ذراع شاب معدم مثقوب الحذاء، كان يمارس مهنة الكتابة الصحفية، صبرت صبر (أيوب) رغم انهمار طُعم معسولة عليها، يلقيها أثرياء بلدها لكسب ودها، رفضت فتنة الخلاسيين الشباب من حولها، هي اليوم تستفيق النساء من لذة الحلم، إذا مرر النسيم رائحتها قبل وصولها إلى أحياءهن، رؤساء بلدان يهاتفونها بترحيب حار، يقفون لها عرفاناً، يحيونها احتراماً لتحدياتها الثورية بعدما أوصلت ـ بحبها النقي وصبرها الحديدي ـ ذلك الشاب الذي نصحوه في باكورة التورط في عمل الكتابة أن يصبح بقّالاً، قهر الصعاب وصار (عرّاب) الواقعية السحرية و(نوبلياً) رغم أنف أعداءه من نقّاد ودكتاتوريات طاردوه حتى في أحلامه، أعني (غابرييل غارسيا ماركيز)..!!

* * *

وهج المرأة..!!

تبقى علاقة (المرأة) بالإبداع وشائجية، فهي نصف الحياة، وهي الشطر الحيوي من كينونة المجتمع، هي من أذكت حروب طروادة، وجعلت آلهات الإغريق تتقاتل بشراسة من أجلها (هيلين).

هي من أسقطت أبن الملك الملوّح (قيس) في خانة (الضليل)، وجعلته خالداً متعلقاً في أذهان العرب عبر قصيدته، التي تغنى بها وجداً العامرية (ليلى).

هي من نقلت الحياة من الفردوس إلى اليابسة(حواء).

هي من رأت الغابات تمشي من مسافة ليالٍ ثلاث اليمامية (زرقاء).

هي من شهدت مصرع أشقاءها، ظلت تنطق وتغرد شعراً (الخنساء).

فكاتب مثل (بلزاك) كان يشعر بالسأم والملل بلا (امرأة) يحبها، (امرأة) تحمل ما يحمل من رقة مشاعر، رهافة حس، (امرأة) تمنحه راحة جسد، بال، زخماً من وقود غير متورطة بالشوائب للكتابة، لكنه يعترف أن في حياته ثلاثة أشياء عصية الفهم، رغم حبه الشديد لها (الموسيقى والرسم والمرأة) ربما هذا الغموض، دفعه أن يتورط بالكتابة بحثاً عن إجابة محددة، قد نجد أن (امرأة) اليوم تجردت من رومانسية تكوينها، من خيالها، كبرياءها الفردوسي، صارت كائنة واهنة تلعب بها الظروف، بات الحب بالنسبة لها، يرتبط بالمتغيرات التي عصفت بالحياة، صار الحب مادياً، بعدما أنسلخ من رداءه المعنوي السامي، المقدس، والكاتب مهما تبدل وفق متطلبات الحداثة الحياتية، وسرعة توالد التيارات الفكرية، المذاهب الفلسفية المتناحرة، لم يبدل من وجهة نظر ذاته الملتهبة، بخصوص نوعية (المرأة) التي يتمناها، يشترك (يوسف إدريس) مع (بلزاك) في رؤية واحدة للمرأة، الأوّل يرى نفسه منغلقة، مكتئبة، حين يفشل اللقاء بـ(امرأة) فيها ما يريد من رقة، جمال، شحنات تلهب خياله، الثاني يعلن صراحة (لا أطيق الحياة بغير امرأة أحبها).

في الحب يشتغل الخيال، تندفع الكتابة إلى أقصى مديات الرغبة، بينما رأى (أراغون) في عيني (إلزا) مشغلاً متفرداً لقيادة عربة السريالية، إلى الأفق الرحب، لكن (القباني نزار) رغم فقده لملهمته، معين رومانسياته (بلقيس) في منتصف الموهبة، وجد رحيلها منبراً لقول

الممكنات، والتعبير بصدق عمّا يسكنه من قصائد فوق العادة.

ظلت (عبلة) تحرق أوراق الزمن ليتغذى (عنترة) من لهيب حبها، ويطارد الجبابرة، يغوص صوب المتاهات، المديات القصية، محارباً، شاعراً، رغم وجود حواجز تمنعه من الالتحام بمن يهوى، النوبلي (نيبول) ظل يتنقل بين المواخير، قافزاً من جسد لجسد، بحثاً عن ملهمته، ربما وجد خلوده لا يرضخ لقرار مناسب، بل كان عليه أن يلهث ويلهث، كي يرتقي سلالم حلمه، ليكون بين الصفوة الخالدة من الكتّاب، من خلال جملة نساء لا (امرأة) واحدة.

ليس ببعيد (لامارتين) ورؤيته عن أهمية (المرأة) في بناء الحياة والمجتمع، يراها الحاضنة المنتجة، المربية الملهمة لتفريخ النوابغ، الجهابذة، أصحاب الكفاءات الاستثنائية، الطاقات البشرية النادرة، فهو يرى (كل عظيم ومجيد أصله المرأة)، ربما نجد الكثير من اللامعين في التاريخ، وصلوا إلى مرادهم، من خلال جمع من النساء وليس واحدة، وهذا دليل على أن الإخفاقات المتوالدة، جراء الفشل في العلاقات مع (المرأة) تولّد شرارات كافية لصناعة الأمجاد، فالحب واليأس، النجاح والإخفاق، وجهان لعملة الحياة، والكتابة هي تعويض عن خسارات وانكسارات صادمة، خلال رحلة الحياة، ما الذي دفع (بيكاسو) أن يبدل زوجاته مثلما يبدل فرشات الرسم، سبع نساء أكملن دينه، موهبته، خلوده، سبع نساء أو سبع سلالم ارتقاهن قبل أن يستسلم لنوم الشهرة اللذيذ..!!

* * *

معاناة الكاتب العراقي..!!

حال (امرأة) الكاتب (العراقي) هو حال كل (امرأة) ترغب من زوجها، مثقفاً، صاحب مبدأ، لامعاً بين الناس، بيد أنها لا تقف مكتوفة اليدين، حين يمسها شرارة جوع، تثور حين تجد (امرأة) الجار ترفل في نعيم، وهي تسبح في حوض الحرمان ولظى الجحيم.

ماالذي دفع كاتبة شابة برزت من بين مخالب ظروف قاهرة، أصدرت مجموعتين قصصيتين ورواية مشجعة، تنشر بيسر ما ترغب نشره، من مواضيع ذات طابع تحديثي، وبصمة خاصة بها، أن تتذمر من رؤية زوجها ـ وهو كاتب أيضاً ـ كلما يعود من رحلة (لملمة مكافآت النشر) حاملاً باقة كتب نادرة، غزت البلاد بعد سنوات من غثاثة الزاد الثقافي المفروض والمطروح، التقيا على حب الكتابة، وتزوجا على سرير الإبداع، تعاهدا، بناء بيت ثقافي، عائلة تعشق القراءة، لم يمضِ سوى أشهر معدودة، حتى شعرت أنها خصم ضد الكتب الداخلة إلى عش زوجيتها، رغم أن أقيام تلك الكتب تعود أضعافاً مضاعفة من خلال تقديم عروض وانطباعات، في العديد من الصحف من قبل الزوج الكاتب.

ربما لا نجد كاتباً جريئاً، بوسعه أن يكتب بصراحة، عن امرأته وما هي رؤيتها له ولكتاباته، فكتابة السيرة الذاتية لدينا من المحرمات، كونها تتطلب جرأة وصراحة بعيداً عن اللف والدوران.

ما الذي دفع كاتب قاص نال ردحاً ممتازاً من حياته السجن بسبب كلمات تفوه بها كانت تمس السلطة، وكاتبة قاصة أن يفترقا عل سنة الله ورسوله، التقيا حباً

ورغبة لتكملة مشروع ثقافي توالد من أول نظرة، مشروعان زواج وأدب، لكن الحلم تبدد والمشروع نام، ليس سوى الظروف القاهرة طبعاً، وليس سوى الصبر النافد للمرأة الكاتبة، كونها وجدت الكتابة ضياع تام للحياة، واصل الزوج الكاتب حياته بعدما وجد من تسنده، وخلدت القاصة الكاتبة إلى نسيان تام، والتفرغ الكامل لكتابات باهتة، بعدما حفرت لبعض الوقت أسمها في ذاكرة القصة العراقية المتجددة، في ظل الزواج طبعاً.

كاتب مثابر سافر خارج البلاد، انبهرت امرأة بكتاباته، قررت أن تسهر على تحقيق رغباته، تزوجا وما كادا يفعلان، ماتت رغبة الثقافة لدى الزوجة، بعدما مسها ضر الحياة، سافر الكاتب بعدما وجد ملهمته في ركن آخر من اليابسة، (امرأة) هبطت من صلب النعيم، وارتضت بالجحيم مسكناً، تركت ذويها، أصبحت سكرتيرة يقظة، منظمة أعمال ماهرة، تستقبل الهواتف بدلاً عن الزوج المتفرغ للكتابة، الذي صار يحلق يوماً أثر يوم في سماء الكتابة.

فلقاء الكاتبين تحت قفص الزوجية، غالباً ما يبدد الكثير من الفرص لخلق الإبداع، لابد أن تميل الكفة لصالح أحد الكاتبين، وهذا ما يخلق نوعاً من التحدي والتصادم، يكون الافتراق مشروعاً قائماً بينهما، إلاّ من كان يفهم الآخر، ويعامل نصفه المقابل بدرجة عالية من الوعي والتحضر، وهذا يتطلب الكثير من المشارب الثقافية، والفكرية، وهضم الحياة، ومعرفة ماهيتها. كيف نفسر حياة كاتب كتب أربع مجاميع قصصية في باكورة شبابه، كان الكتاب الأوّل بالاشتراك مع زوجته الكاتبة،

التي زاملته لسنوات أربع في الكلية، قرءا معاً، تناصرا من أجل مشروع ثقافي مشترك، همدت رغبة الزوجة في الكتابة بعد مرور، أو بعد هبوط الوريث الأول ، وتعطل إبداع الزوج الكاتب، جراء الوضع غير المهضوم بالنسبة له ولها أيضاً، فصار من الماضي المنسي، رغم محاولاته المتعثرة لاسترداد موقعه بين زملاءه.

بينما نجد (امرأة) ترافق زوجها المتطرف عن بني جلدته، شاعر يغرد خارج السرب، أو يمكننا أن نقول يسبح فيما وراء الحداثة، هكذا يصرح علناً، فهو باحث ومترجم وشاعر، ظلت امرأته تعينه رغم تمرده عن الدعوات، ورفضه الندوات، وتهجمه العلني على المحافل الثقافية المشوهة، والمفخخة، يرفض ما يملى عليه، أو يطلب منه إنجازه من تحقيقات وتراجم، مختصر مفيد يرفض المال الرخيص حسب زعمه، ظلت امرأته تسانده، تسير معه أينما يرغب أو يريد أن يمضي لحظته، عاشا جحيم البلد وجوعه، واصل هو الكتابة، وتعلمت جراء الخبرة مهنة الكتابة كتعويض عمّا فقدت خلال سنوات الألم.

كاتب آخر حفر أسمه في لون جديد من ألوان القصة القصيرة جداً، كانت له (امرأة) مساندة، هيأت له ما كان ينقصه لتكملة قيافته الإبداعية، لكنه تورط بنساء أُخر، وتعطلت ملكة الكتابة لديه.

يجب أن نضع في الحسبان أن (امرأة) الكاتب لها دور في بلورة الوعي، وتفجير الموهبة طالما تمتلك أفانين الإغواء، شرط أن تتخلى عن الجوانب الظاهراتية للحياة، وتكون مترعة بالحب، وتمضي مع زوجها

الكاتب أينما تزحزحه عواصف وزوابع الظروف.

(امرأة) الكاتب هي من تقف وراء صانع حياة، لا يريد منها سوى مده باليقين حين تجف ذاكرته، وتزيل صقيع روحه أوان الأزمات.

روائي كبير، صاحب مشروع (بلدي)، كان ينال الضيم من ذوي زوجته، صبر وحوّل ما تجرع من ضرب مبرح، وأمام خلق الله، إلى ضربٍ بالقلم على واقع يخاصم أصحاب العقول المتنورة، روايات وروايات صارت ترفعه، وتضعه بين الصفوة المباركة من أساتذة الأدب الروائي الحديث.

زوجة كاتب لم تتحمل جوع ثلاثة أيام لذهاب زوجها إلى ملتقى أدبي في محافظة شمالية، باعت نصف مكتبته من أجل لقيمات معدودة أو بالأحرى (ملابس وماكياج)، عاد الزوج وحلف اليمين بأغلظ الأيمان أن يفترقا، تعذر إصلاح ذات البين، سافر الكاتب ووجد هناك ملهمة مؤهلة تسهر على قدم وساق، من أجل أن تكون تلك الخادمة العابدة في محراب الكلمة.

ثمة كاتب، شاعر، مخرج مسرحي، عاد من الأسر بعد سنوات جفاف قضاها داخل الزنزانات الخانقة، بحث عن كتبه، تحديداً سلسلة (من المسرح العالمي)، والتي كانت تصدرها، وزارة الإعلام في دولة (الكويت)، أكتشف بطريق المصادفة أنها تحولت إلى ألواح خشبية بعدما رصتها زوجته تحت قطع أثاث المنزل، كونها كثيرة التنظيف.

مواقف طريفة، وأخرى سامية، تحفل بها أجندة الكتّاب في مسيرة حياتهم، ولتعذر وجود سيّر تؤرخ تلك

التفاصيل، تبقى فرص احتواء حيوات كتابنا، تكاد لا تغطي ما يؤسس لخلودهم، كوننا أمة تستحي من السيرة الجريحة، وتتجنب الفضيحة، بينما باتت اليوم الفضائح من أهم المراكز لجني المال السريع في العالم، فمهما توفرت من آلام وصدمات، تبقى (المرأة) من بين كل الدوافع الخالقة لفعل الكتابة، الدافع الأساس، والمحرك المنتج لكل كاتب، سواء بوجودها الحيوي، أو قد تكون (امرأة) مشتهاة هبطت لتسكن، وتضرم النيران في مملكة الخيال، قد تتشكل ملامحها من رغبة جامحة، أو هي عاشقة بصفات نادرة، مرت مروراً عابراً بحياة الكاتب، واستحالت فيما بعد إلى تمثال خالد، بقى متوهجاً، حاضراً، شاغلاً للهم والبال..!!

* * *

دروس في تواضع المبدعين

يقولون.. (أوديسيس) الملك، برع في مهنتي الحرث والنجارة..

الأميرة (ناسيكا)، كانت تشارك خادمتها أعمالها، في تنظيف الملابس، دون أن تشعرها بفوقيتها الطبقية.

ومن يقتنع أن الروائي الروسي الكبير (ميخائيل شولوخوف)، صاحب الملحمة الرائعة (الدون الهادئ)، لحظة أتاه آت وهو يلهث بالخبر اليقين ـ فوزه بجائزة نوبل للآداب ـ طلب من المسكين الذي تقطعت أنفاسه، كما لو كان هو من تربع على عرش الأدب العالمي، وصار من بين الخالدين، أن يسكت كي لا تفر الأسماك من حول سنارته.

الكاتب العبقري (برنادشو)، رفض جائزة (نوبل) للآداب، لسبب وجيه جداً بالنسبة للمتواضعين، كونها طوق نجاة ألقي لغريق لحظة وصوله إلى الجرف، على حد تعبيره.

هل من الممكن نسيان ما فعله (بابلو نيرودا) الشاعر الذي تمرد على كل سلطات الغطرسة، وتغنى بشعره للفقراء، يوم جاءه (النوبلي) الذي طرق بمطرقة الأدب على هامات الدكتاتورية (ماركيز)، يوم كان شاباً، هارباً

من حكومة قامت عن بكرة أبيها، وانتشرت في كل مسلك وشارع لتصطاده، تنازل الشاعر عن هويته بصفته - سفيراً لبلاده في المكسيك - للمطارد، وتمكن من تهريبه إلى (باريس)، لقد عرف الشاعر أن الكاتب هو إنسان مقدس، وهو أعلى من المناصب، وأنه يستحق التضحية بالنفس، لذلك يستحق أن يتنازل كل ذي نفس إنساني، وروح نبيلة، وأن يتواضع أمام أصحاب الآلام الجميلة.

ما بال النبيل الذي ترك الجاه والمال، نزل إلى رحم الحياة، ليسكن جنباً إلى جنب مع الفقراء والعبيد، الروائي (تولستوي)، صاحب (الحرب والسلام - آنا كرنينا - البعث)، وهو أبن نبيل وملاّك، لحظة كان يهيم في محطة للقطار، نادته عجوز لحمل متاعها، تواضع الكاتب وسار خلفها سير الحمالين خلف سادتهم، ينوء بحمل حقيبة، تقبل منها ما قدمتها من قطعة نقدية مقابل خدمته، هذا العمل لابد أن الكاتب قد أنتظره بفارغ الصبر، كونه كان كما تشير سيرة حياته، من أشد المغرمين بالنبي العربي (صلعم)، خصوصاً أن (الرسول) في بداية دعوته، كان يسير في طريق، طلبت منه عجوز أن يحمل متاعها، فحملها وهو سيد البشر لكل العصور، قالت له العجوز: أن رجلاً في المدينة يدعي النبوة لا تصدقه أنه كاذب..!! قال لها: أنا هو..!! صاحت العجوز: أشهد أنك على حق..!!، ليست من مصادفات الحياة، قدر تعلق روح المتنورين، ببساطة الحياة، والفطرة البدائية، التي هي دائماً وأبداً من مقومات اكتمال الحلم، وبلوغ السمات الإنسانية الفردوسية.

ماالذي جعل (فلادمير بوتين) أن ينحني - وهو رئيس

بلاد عظمى ـ ليلملم ما سقط عل الأرض من يد شاعر شاب فقد اتزانه، كان يقف مع الشاعر الروسي المعروف (ألكسندر كوشنر)، يوم فازا بجوائز (بوشكين) للشعر، سقطت العلبة من يد الشاعر المرتبك، وتناثر ما فيها، ظل واجماً لا يعرف كيف يتصرف، قبل أن يبادر (سيادة الرئيس) ينحني إجلالاً لعلو كعب الأديب، ويعالج الموقف بحكمة، تواضع (الرئيس) وحقق لنفسه مكانة مرموقة في ذاكرة جائزة وشاعر.

من يصدق في عصرنا هذا، الرسام الهولندي (فان كوخ)، صاحب لوحة (زهرة عباد الشمس)، تناول شفرة وقطع أذنه، وضعه في ظرف كهدية لسيدة، بعثت إليه رسالة مدعية أنها معجبة بأذنه.

من يصدق أن (جورج بوبميدو)، رئيس (فرنسا) يوم طالبوه أن يعتقل الوجودي (سارتر)، كونه قاد انتفاضة شعبية في ربيع **1968** ـ لم ينفعل (الرئيس)، لم يحرك عصا غليظة، أو يهيأ زنزانة انفرادية، إن لم نقل مقصلة، لكاتب قرأ السياسة (الفرنسية) آنذاك، برؤية فلسفية مغايرة لما هو في الواقع، أبتسم (الرئيس)، قال لناقلي الخبر: (هل يعقل أن نعتقل الشمس في زنزانة).

هل بوسع (رئيس) بلاد شرقي، أن يتقبل برحابة صدر، عودة وساماً منحه لكاتب من رعيته، رافضاً، محتجاً على سياسته، هكذا فعل (فيركور)، كاتب (صمت البحر).. عام ـ **1957**ـ احتجاجا على ماكانت تفعل حكومته من اضطهاد، وانتهاكات بحق الشعب (الجزائري).

هذه المواقف والعبر كانت تحدث في أزمنة، لم يكن

هناك بصيص حريات، وكانت القوى العظمى تواصل قبر الشعوب اليائسة، ومعظم الشعوب كانت ترزح تحت نير حكومات شمولية تخنق الحريات وتميت الثقافة، مئات المواقف تظل حاضرة، مضيئة، بين أروقة التأريخ، لا تأكلها عث الزمن، أو تمسخها مواقف مصطنعة، من لدن ساسة اكتشفوا عزلتهم عن الرعية، وظفوا مقدرات البلد كي يفوزوا بشيء ولو يسير، من صفات ظلّت بعيدة عن أطماعهم، وأرهط منهم دخلوا إلى عالم الأدب، من الشبابيك المهملة، أو المحطمة، وجدوا أنفسهم داخل عربات تقذف بالمهملات خارج محطات الخلود، شتان ما بين هؤلاء وهؤلاء، فالمواقف الإنسانية تتكلم بصمت، عن بلاغة التواضع، ونبل القلوب، لدى صفوة من البشر أهلتهم الحياة، ليكونوا نوابغ، أو شوامخ، يزرعون أنفسهم بلا تطبيل، أو تسليط أضواء في الذاكرة، وإن تطلب منهم الموقف تضحيات أو ركوب المهالك، عكس رؤسائنا وملوكنا، أمراءنا وأميراتنا، أيّ كتاب نفتحه لا نجد سوى رقص وحرير ومجوهرات ودسائس، مما سهلوا للغرماء أن يتربصوا بهم ريب المنون، فتهاووا غير مأسوفين عليهم، أو تضعهم الذاكرة في الصف الأمامي مع أصحاب المواقف النبيلة، لقد ظلّ الأديب والفنان، منارتان ترسلان الضياء التثقيفي للبشر، واستحالت جهودهم إلى عربات، تسبقنا صوب المديات المغرية في جعبة المستقبل، وعلى رفاتهم تتسامق بنيان الحياة، لم يكلفوا ساستهم شيئاً سوى مطلباً (جد بسيط)، مطلب يوفر لرافعي البنادق الرصاصة المهيأة لرؤوسهم، أو الوقت المستغرق لتعليقها على أعواد المشانق، يالها

من مقايضة غير عادلة، من لدن بشر زرع الله فيهم السلام، وقول الحقيقة كما هيّ، شتان ما بين صاحب مقاليد الأمور، يستحضر ثوبه البشري الإنساني لحظة يجابه موقفاً مضاداً، وبين سمي له يزرع عيون لا ترحم، أو لها القدرة على تأويل، وتفسير ما لا يصب في صالحه.

لقد أبرق (آرثر ميلر)، إلى الرئيس الأمريكي (جونسون)، جملة واحدة فقط ويا لها من جملة:

- عندما تتكلم المدافع يموت الأدب..!!

وكان ذلك رداً على دعوته إلى (البيت الأبيض) إبان الحرب الفيتنامية، فالأدب يامن (يحاول) أزاحته من الخط الجبهوي لبناء صرح الحضارة البشرية، لم يحاب السياسة عبر التأريخ، ينبذ المراوغة والتسويف، كون السياسة فيه الكثير من اللف والدوران، والخداع، وعدم تحقيق ما هو وعود كاذبة، ولكي تكون سياسياً، عليك أن تجرب لسانك، إن وجدته ينسج نسيج الكذب، أعلم أنك تفلح في المهمات السيادية، أما الأدب فهو الحقيقة الناصعة لحركة البشرية، وهو المرآة التي تسترشد كل متعب وضال، إلى ظل شجرة الحلم والبراءة، فالأدب لبس ثوب التواضع، وحقق مكانته رغم مخالب السياسة، ودنا من براكينه كل ذي قلب ولب.

خير ما نختم به هذه السطور قول (ماتيه):

- أن البربرية هي داخل الإنسان ..!!

* * *

من أجل سلة رغيف

إلـى/ القمـر الـذي لـم تسـعه سـماء بلـدي..(صـباح الأنباري)..!!

كنت غالباً ما أكحل عينيّ به، كلما أرجع مرهقاً من اتحاد أدباء (ديالى)، أجرجر عربة اليأس، لأن لا جديد في حياتنا الجديدة، بعد قرن انتظار، مليء بوعود - مسلفنة - داخل ثلاجات الديمقراطية المستوردة، دائماً أراه رغم - إرهاق بدنه - مليئاً بأحلام ممكنة التحقيق، يمشي وعقله في صراع مع التعب، لرسم فضاءات تلاءم أمنياته، قبل أن ينفرد في غرفة، أو غربة ليلية، يرجع منها محملاً بنص أو مادة نقدية.

قليل الكلام، كثير الإصغاء، ممعن التحديق، لا يبذر وقته فيما ليس لصالح هواجسه، منتظماً، يتابع أدق التفاصيل الأدبية، وله أرشيفاً لكل أديب جس نبض موهبته، ورصد ممكناته في قوادم مغامراته، نذر حياته للفن، صال، جال، هضم بأضراس الحرص، ما كان ألمعياً، شاحناً، أو وجدها لبنة تنفع لاستكمال سلّم الارتقاء، إلى الرفوف العالية في دنيا الحقيقة والجمال، رغم هوسه المسرحي الذي ولد وتماهى فيه، قبل أن يحمل لواء حراسته من أقلام مأجورة، تزحف في وضح النهار، لوقف قطار الإبداع العراقي،

ناضل رغم الجوع، من أجل تأسيس أرضية تستمد من واقع حال الحياة مادتها، أختار (الصمت) خطاب معبر ومتفجر، وله من التأويل ساحات ومسالك، كي يبقى في المحك، ضديّاً لا يساوم على حساب مبدئيته، بهدوء ومن وراء عدسات الكاميرا (يعمل مصوراً)، رصد ما تخفي الوجوه من تذمر، واحتجاجات على ما يجري من تجاوزات لا إنسانية، تهميش، إلغاء، إقصاء، تشريد، تقتيل، تمكن بقلم رشيق أن يلتقط الحبّات المنفرطة، في نصوص تمكنت أن تنفلت من سكة الرتابة والتكرار، غربلها وأعاد تكوينها في مقالات نقدية، قالت كل ما هو محتمل وواقع غير قابل التأويل، وليس أمامنا سوى قراءة كتابه (البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنه)، لنعرف لكم هو جاد، ومتابع وغير مجامل فيما يكتب.

* * *

ظلّ (صباح) يحصي بلهفة الدقائق المتبقية من عمر (قبلاي خان العراق)، وهو يعد العدّة لحياة طاهرة من التزلف، النفاق، التملق، المتاجرة بالشرف، المقامرة بكل ما هو إنساني، حياة تبيح لك القول بما ترغب، تأخذ ما هو يساوي عطاؤك، وتترك ما هو فائض عن حاجتك لآخرين لا يجدون الحيلة، لنيل مايحتاجونه، لكن الرياح دائماً تخالف الرغبات، وتأتي من حيث لم تحتسب، وجد نفسه أمام ديناصورات شبحية، تعصف بكل ما تبقى من بقايا حياة كانت سلحفاتيه، حياة كارثية أطاحت بأحلام الحالمين، وحققت مستحيلات المارقين، ودفنت الرغبات المؤجلة لكل من أنتظر، ثمة أيدي تعمل في خفاء معلن،

مهمتها سحب البسط من تحت أقدام كل من حمل همومه، وأنتظر شمس الحرية الغائبة من هذا البلد، مذ وضع حمورابي مسلته الطينية، ورتب أسس منقذة لبلد، خيراته تكفي دفن الجوع العالمي إلى أبد الآبدين.

* * *

سجن (صباح) في زمن كانت الأشباح تتشكل لتكوين الشرنقة الحديدية، حول عباد لا حول تتمفصل في مفاصلهم، لا قوة تسكن سواعدهم، تسعة وثلاثون يوماً ظلّ يستقبل ـ وهو مليء بالتحدي ـ سياط لا ترحم، لكمات لا ترتخي، من أجل المسرح الذي سكنه، وأسكنه سويداء قلب الممتلئ غضباً، ما الفرق بين كائن يردوه قتيلاً بالرصاص، أو خنقه بأنشوطة، وكائن يردوه قتيلاً بالرحيل، بعدما تسحب من أسفل قدميه كل البسط المفروشة، تغلق النوافذ وتصد الأبواب العيش، لكي يهيم، يتسكع، يجوع، يعرى، قبل أن ينزوي في ركن خانق، تموت أحلامه، ويلعن كل هاجس يقلقه، ومن يجد نفسه مؤهلاً لركوب المخاطر، يركب سفينة النوح والبكاء على جذوره المتصدعة، هناك يموت قتيل الاغتراب في المنافي التعيسة، فئة تخطط بشيطانية بالغة الدقة لتمزيق الليل، بعد أن يجردوه من كواكبه الهادية، فكل موهوب هو نجم لامع، أو ساطع في بلده، بأفوله تتقدم الحياة خطوة أخرى نحو العماء، الذي ينشده ظلاّميون يعملون من وراء الكواليس، لدحر الحضارات التليدة، وتبديلها بحضارات بليدة، تلك هي رسائل مشفرة في قواميس العولمة المفخخة بالدسائس.
قتلوا الأحلام الإنسانية النبيلة، شردوا الرغبات السامية،

فككوا مفاصل العلاقات الاجتماعية بطرق سلفية وسلبية، فما معنى أن يعود إلى الخدمة كل من كان حجر عثرة في طريق الحرية، بطرق ملتوية، أو محسوبية، أو من منافذ اللا..نزاهة، بعدما صال وجال في سوح التعذيب والتنكيل وكتابة التقارير المميتة، وقبل بزوغ ضوء الحرية، تمكن أن يفلت ليصبح مناهضاً من الدرجة الممتازة، ليركب سفينة الخلاص مبدلاً قناعه الظلاّمي، بقناع ثوري جاء يعيد البيدر إلى الحقل المنهوب.

مابال من حمل هموم زمنه، صهر حياته، لم يصفق أو يهتف، ظلّ يهرول صوب كل منفذ يجده دربا معبداً للوصول إلى سلة رغيفه، ليصطدم بجدار صلب لا يرتضيه كل (عراقي) نبيل، أن يتخذه مسلكاً طالما جواز العبور (صك غفران) من لدن قادم وطني، لمّا يزل يحاجج أن النهار باطل، ما لم يحرر خيطاً في نهايات الليل للتميز.

* * *

رفض (صباح) التبرك بورقة تزكية تفرش له بساط النعيم، وجدها طوقاً آخر من أطواق الشوفينيات المستحدثة، للتسييس، لتذليل العقول المتفتحة، هو الذي رفض أن يهدي كتبه كما أهدى البعض للمعرض (المادي) أبّان الفترة المنقرضة، بعدما توجوا (قبلاي خان العراق) راعياً لقطيع المأجورين، فكيف يلوث منجزه المسرحي بعدما صانه من براثن، ونواجذ المتربصين، والرقابة (الغوبلزية) للثقافة المتنورة.

فما يجري على الساحة الثقافية من مجازر علنية،

ستدفع البلاد نحو عصور متأخرة ومظلمة، بالتالي تكون هويتنا منسية، أو غير مؤهلة لتكوين كياناً بين الكيانات المتقدمة، وما عملية تعطيل إرجاع السياسيين، إلى وظائفهم سوى محاولة لترحيل الجيل المتنور، وتشريده ليندثر من جديد في المنافي، بسبب اندساس أزلام مرتزقة بين أركان السلطة، لتعمل من مكان مستور بحصانة دبلوماسية.

لأن (صباح) كان شجرة مثمرة، دفعوه إلى حافة النسيان، ليس وحده فحسب، لأنهم يدركون جيداً، وراء كل مبدع.ومن وحوله رفوف متراصة من مثقفين يجوعون، يبيعون الكتب ولا يغادرون جذورهم، كما صرخ في وجه السلطة، الكاتب الكبير (أحمد خلف)، بطبيعة الحال، أنهم يجتهدون لانتزاع الورود من الطبيعة، وطرد الطيور من الحدائق، وإخراج الكائنات البديعة من الأنهار، مختصر مفيد، محاولة صناعة ليالي بلا كواكب، يقيناً سيفقد الليل طعمه، وكذلك الماء والحدائق، فما قيمة بلاد بلا مبدعين، وما قيمة حضارة بلا (مسلّة) تحكي سنوات سطوعها، تؤرقهم مجيء (صباحات) تكنس أوضار ودسائس العتاة والمارقين.

* * *

غادرنا (صباح الأنباري) على مضض، أعرفه..لن يتزحزح عن مبادئ رحلة الدفاع عن القيم الثقافية العالية، يقيناً رغم بعده عن جذوره، سيواصل (ارتحالات في ملكوت الصمت)* كي يمارس (طقوس صامته) **قبل (ليلة انفلاق الزمن) ***..!!

* * *

** مغادرتك يا (صباح) ولوج أكثر نحو الروح، اقتراب منطقي من التوحد، وتحقيق الأماني، والوصول بأمان إلى شواطئ الأحلام، وأرخبيلات الجمال، الحرية، المكانة التي تستحق، كي تحارب لتخليص الواقع من رثاثة القرون الفاسدة..!!

** ألغوك يا(صباح) وما دروا أنهم رقّوك ..!!

** فيما يشبه الهامش:

صباح الأنباري ـ تولد **1952**ـ كاتب وناقد مسرحي ـ أصدر (طقوس صامته) مسرحيات ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ **2000** (ليلة انفلاق الزمن) مسرحيات صائته ـ اتحاد الكاتب العرب ـ **2001** (البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنة) نقد ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ**2002** (إرتحالات في ملكوت الصمت) مسرحيات صامته ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ **2004** (المخيلة الخلاقة) دراسة أدب (محي الدين زنكنة ـ **2010** ـ دار كلاويز ـ ـ السليمانية ـ له العديد من المؤلفات ذات القيمة الفكرية والإبداعية والنقدية، ذات يوم سجن وطرد من وظيفته (مدرساً لمادة المسرح الريفي) بسبب مواقفه الرافضة من السلطة، وما كان يشتغل عليه من مسرحيات طليعية مناهضة لما يجري من تفكيك لمفاصل المجتمع، أنتظر طويلاً قبل أن تهل شمس أمله، لكنه تفاجئ وأجبر على الرحيل عن (عراقه) ، حمل لواء الفن الذي يسكنه، قاد عائلته إلى المنافي كي يجد (سلة رغيف) لهم بعدما لم يجد باباً يستقبله، ليمد يديه،

ويرفع بنيان بلده، لقد خسرته البلاد، وستخسر المبدعين الذين اكتووا بنيران التهميش، وحرائق عيون الرقابة الصارمة.

غادرنا (صباح) بعدما أرسى لبنة مهمة في حجر أساس المسرح العراقي الصامت، ونال العديد من الجوائز المهمة، رحل من أجل سبب بسيط جداً، لقد أراد (سلة رغيف) متواضعة كي يشعر أنه أبن بلد يستحق التضيحة، ومن يدري ربما (سلة رغيفه) نستها عربات الديمقراطية في مكان ما، من العالم الفسيح ..!!

* * *

تبييض المكتبات..
أم.. أنهم يبيعون الإهداءات

على الورقة ما بعد الغلاف.. تسيل من قلم الفرح.. قطرات المحبّة إلى الأحبّة..(الكاتب)

* * *

حدثني ولا حرج الكاتب المسرحي والناقد (صباح الأنباري)..قال:

- لمّا كان الأستاذ المسرحي الكبير (محيي الدين زنكنة).. يتجول قرب المكتبة المركزية في مدينة (بعقوبة) - ذات يوم - جذبته كتب مفروشة على الرصيف، وجد إحدى كتبه القديمة بين العشرات من الكتب، تبحث عن يد لإنقاذه من عيون المارة وغبار أحذيتهم، رغب أن يقتنيه ليهديه إلى زميل متلهف وشغوف لقراءة أعماله، تفاجئ حين وجد - على الورقة ما بعد الغلاف - إهداء بخط يده إلى (الزميل العزيز جداً عليه)..!!

إلى هنا ينتهي كلام (صباح).. عرفنا فيما بعد (الزميل) الراغب بمتابعة كتابات الكاتب هو نفسه الذي لم يحافظ

على أنبل هدية وصلته، في وقت باتت مقتنيات الكتّاب، ومخطوطاتهم اليدوية من مؤلفات، رسائل، حتى التواقيع، تباع بالمزاد العلني، تتسارع متاحف عالمية، رجال أعمال، فنانين، فنانات، للفوز ولو بشيء بسيط من إرث كاتب مات قبل قرن أو يزيد.

الشاعر والمخرج المسرحي (بلاسم الضاحي).. الذي أضاع ردحاً ممتازاً من عمره وهو يقبع داخل زنزانات الأسر (الإيرانية) إبان السنوات المضاعة من عمر البلد، عاد وهو يريد أن يلحق بركب الثقافة التي حرم منها ذات هجوم همجي، وجد القاص والروائي (أحمد خلف).. يستحق أن يكون باباً غير ملوّث للبدء برحلة المتاعب، أشترى روايته (موت الأب).. وعاد من (بغداد) إلى (بعقوبة) فرحاً، لكنه تفاجئ حين وجد ـ على الورقة ما بعد الغلاف ـ هناك كلمات تشع بقلم (أحمد خلف).. إلى زميل مثابر، أمّا حكاية وصول ـ الكتاب الهدية ـ إلى مكتبة محترمة، فسرها (بلاسم) دون أن يظنّ (بالمهدى إليه)..أيما ظن، لابد أن الزميل العزيز للكاتب قلّب الرواية لحظة استلامها ـ كما يفعل الجميع بغية تعريفها على الذهن ـ تيمناً بنظام العمل لجهاز الحاسوب، قبل قراءتها أكتشف أن هناك ـ خمسة عشر ـ صفحة لم ترغب أسنان المطبعة أن تمهرها بالحروف، قام وبكل بساطة من وراء طاولته كونه من منتسبي (دار الشؤون الثقافية العامة) ذهب إلى المخزن الضاج بركام كتب لا تستحق معظمها القراءة، سحب نسخة من تلك الرواية، الجاثمة بين مئات العناوين الغافية، في انتظار قدوم (البرابرة).. لتحسمها، وتطرحها فوق الأرصفة، تحت

كتابة متعرجة (كتاب بربع)، وضع ذلك الزميل ـ نسخة الإهداء، وبكل أدب رفع نسخة خالية من الصفحات البيض، ربما هذا التأويل كان منصفاً، ولم يكن ذلك الزميل ممن عصف بهم الجوع أو قام بتقسيم منزله إلى مشتملين واحدة للسكن، والثانية لاحتواء جحيم الإيجارات، وتوفير مصدر رزق ممتاز لمواجهة هجمات العولمة، وتدفق الأجهزة الحديثة إلى أسوقنا المجنونة، مما حدا بنسخة الإهداء أن تبحر باتجاه تلك المكتبة، في انتظار تحرير الزنازين (الإيرانية) واحداً ممن لم ينسف الثقافة من باله، رغم تواجده في فرن التعذيب.

أمّا أنا فلي مع الإهداءات حكايتين، كوني لا أصل إلى (بغداد) إلا مرة واحدة في الشهر لاستلام مكافآت النشر، والتي تساوي طبعاً أجور سفري ـ من وإلى ـ مع وجبة طعام واحدة، وربما كتابين فقط، وحفنة حلويات مجهولة الهوية، وكيس نايلون مليء بأواني مطبخية (حاجة بربع)، دائماً أكتشف أن المحاسب لم ينجز القوائم بعد، مما يحرمني من الذهاب إلى مكتبات (السعدون) المنسية.

* * *

حكايتي الأولى..

في شباط من العام **2004** كان معي القاص والروائي (سعد محمد رحيم).. يوم اقتنيت رواية (بدر زمانه).. للروائي المغربي المعاصر (مبارك ربيع).. من صاحب مكتبة (.....) اكتشف زميلي (سعد).. المفاجئة ـ على الورقة ما بعد الغلاف ـ أن الروائي (مبارك).. كتب بخط يده إهداء إلى عمود الرواية العراقية (فؤاد التكرلي)،

وكما يعرف الجميع أن (فؤاداً).. يعيش خارج البلاد منذ فترة ليست بالقصيرة قبل وفاته، وحين ألقيت نظرة إلى تاريخ صدور الرواية ..وجدت أن الطبعة الأولى تشير إلى - **1983** - وهذا يعني أن يوم تسربت الرواية من مكتبة - المهدى إليه - إلى صاحب المكتبة (.....).. لم يبرح الروائي البلد، حاولنا أن نجد تفسيراً مناسباً كي ننقذ وجه كاتبنا من حراب الأقلام، لم نهتد لجواب مقنع، استبعدنا فكرة تعرض منزل الكاتب إلى (حواسم).. وربما اقتربنا إلى حد ما من الحقيقة حين رست سفينة القرار، على أن الكاتب يوم قرر السفر، قرر أن يتخلص من مكتبته، وكما يقول المثل (الجمل بما حمل).. وهذا ما لا أرجوه.

حكايتي الثانية..

في كانون الثاني من العام - **2004** ــ اقتنيت (هواجس).. بداعي أنها (رواية)..كما هو مكتوب على الحافة الجانبية للكتاب للكاتب الأستاذ القدير (حسب الله يحيى).. وجدت أنه (مجموعة قصصية) أولاً، ووجدت - على الورقة ما بعد الغلاف - خطاً جميلاً للأستاذ (حسب).. وهو يصب سعادته، ومحبته، إلى زميلة عزيزة عليه (.....).. هذا الكتاب، وضعني أمام حيرة، ما زلت أتحرى بطريقتي الخاصة عن صلة - المهدى إليها - بصاحب المكتبة، خصوصاً أنها من منتسبات (دار الشؤون الثقافية العامة).. ومكانها حساس ومهم.

لكل أديب مواقف متشابه، ولا يغيب عن بالنا طبعاً، أن الكتّاب والأدباء دائماً هم في عوز مادي ، وليس أمامهم

غير سبيل واحد لدفع غائلة الجوع عن أنفسهم، سبيل بيع كتبهم، لاجتياز أزمة ـ ظروفية ـ خانقة، وأن كان ـ بثمن بخس ـ ولكن ليس إلى الحد الذي يدفع بالبعض، أن يضحي بالكتب المهداة إليه، وحسب تفسيري للقضية، أن الظروف القاهرة التي عصفت بنا، دفعت بالكثير من عشاق الكتب، أن يتأثر بعملية ـ غسيل الأموال ـ أو تبييضها، كما هو معمول به لأغراض شيطانية، أو على غرار ـ تبييض السجون ـ من قبل ساسة يعشقون الرقص والتصفيق، هؤلاء ربما وجدوا مصطلحاً حداثياً ـ تبييض المكتبات ـ ينفع أوان الأزمات المالية، أو أوقات تبديل خريطة المنزل، وربما تفريغ المكتبات من تركة الماضي التعيس، وتهيئتها لما هو قادم من أساطيل الإبداع (العراقي) المزعوم، والمتناثر في المنافي بعد أن تنفرج الغمة عن هذه الأمة، هذه الظاهرة لا بد أنها ستدفع بالمؤلفين أن يوقفوا إهداءاتهم في قوادم السنيين، خوفاً على لهفة الفرح من الضياع، أو تبديلها بعلبة سجائر، وذلك أضعف احتمال..!!

* * *

هل لي..
أن أتكلم قليلا بوضوح

[الفائز الحقيقي بالجائزة هم أولئك الأدباء الذين أخطأتهم الجائزة]..(محمد خضير)

* * *

..في ظل ديمقراطية(كسيحة)، وعلى طاولة ممارسة (حرية الرأي)، وضرورة السماح للآخر أن يدلي بدلوه، ويطرح - بلا خوف - رأيه، وتحت شعار - توزيع ما ضاع من حقوق على مستحقيها - بدأت جملة نشاطات ثقافية خجولة، بالكاد تتنفس، تحاول أن تعالج كبوة الثقافة (العراقية) المهمّشة، والمغيبة، إبّان فترة العسكريتاريا، تلك النشاطات، برغم محدودية الهبات واللاّدعم، أن تعيد إلى وجه أدبنا الحزين نصاعته ولمعانه، ورغم الشمّاعة المهيّأة دائماً وأبداً لتعليق رداء كل إخفاق عليها، على سبيل المثال لا الحصر رداء تردي الوضع الأمني، وانزواء الكثير من كتّابنا المبدعين، خلف حجج لا تكشف عن نفسها، لأسباب قد لا تكون ذاتية، أقام مؤخراً لجنة غير (كفوءة)، أو ما زالت تحمل في جوفها، بذور الزمن

المنقـرض، كمـا جـاء علـى لسـان الكثيـر مـن الأدبـاء (الملتقى الثقافي العراقي الأوّل).. بطبيعة الحال، ظلّت.. (و).. ستظل أسماء جاهزة، لتكون مدعوة سابقاً ولاحقاً، تـم الإعـلان عـن مسـابقة ثقافيـة لأجنـاس أدبيـة محـددة، والغريـب فـي الأمـر هـو سـرعة إعـلان أسـماء الفـائزين، وبوقـت قياسـي غيـر مؤهـل لبيـان مضـامين النصـوص، وجـديتها، ودرجـة التحـديث فيهـا، ومـن بـاب الحـرص، وتفعيل دور الأديب في رسم ملامح الحياة القادمة لبلدنا المظلوم، هرعت لأشترك في مسابقة (القصة القصيرة) بقصتي (صندوق الشعر)** وأنا أتجشم عناء سفر طويل حافل بكل أنواع المفاجئات، من قطع للطريق ، تفتيش غير لائق بالبشر، لم تشهده البلاد عبر كل العصور التعسفية، ناهيك عن (بمبات)كأنها آلة توقيتية، تعمل بصورة تلقائية، على تحسيس وتنبيههم بالرعب والموت وعدم جدوى الحياة.

لم أتفاجئ لحظة قرأت الأسماء المعلنة، والتي فازت بالجوائز، لأنني كنت على يقين أن الكثير من النصوص المشاركة، لا تقرأ من قبل لجنة فحص النصوص، وهذا ما كان معمولاً به قبل رياح التغير، وستتواصل إلى نهاية مأساتنا، كنت على يقين أيضاً أن ما يجري في البيت الثقافي اليوم، فيه الكثير من ملابسات أمور لا تسر، وتعدم كل فرصة مثمرة لصحوة ثقافة غدنا، في تلك المسابقة، دفعت أسماء أن تعلن استقالتها من مناصبها، والتي فازت بها في انتخابات، أثيرت حولها ما أثيرت، من تضادات جدل، وأحمد الله أنني لم أكن معهم يوم التنافس ، كوني لا أذهب إلى كل تجمع ثقافي، تسبق

قيامه أدخنة وأغبره، لا سابقاً ولا لاحقاً، بطبيعة الحال لم أحزن أبداً بل وجدت نفسي تندفع، وتحلق في مناطق (قصصية) قريبة وحميمة، من أجل إكمال مشروعي الخاص، الذي بدأته في كتابة (قصص) تختلف عمّا تكتب اليوم.. (قصص) بدأت بزراعتها على ثقافيّات صحف (الصباح/الصباح الجديد/ التآخي/ الزمان) ومجلات (دجلة /كرميان/ سردم)، لم أحزن، لكن الحزن الذي أمقته كل المقت لمحته، في عيني زميل عزيز، وهو أديب مرموق، قاص وروائي وكاتب مقال مجيد (سعد محمد رحيم)، وهو يقف على كل صغيرة وكبيرة تخص حياتي الأدبية، أسرّ لي أنه سأل ـ من باب الشك بخصوص الأسماء التي ظهرت على سطح الواقع القصصي من غير أسس رصينة ـ من أحد أعضاء لجنة فحص النصوص، وهو قاص متمرس، وروائي قدير، ومسرحي قادم (حنون مجيد) كونه كان شاهداً على (لمّة) تشريح النصوص ـ فهو أسم راسخ وله تاريخ مشرق في ذاكرة الأدب العراقي الحديث، لقد قال لصديقي وبكل صدق وأمانة أدبية:

ـ أن أفضل قصة شاركت في المسابقة كانت (صندوق الشعر) ـ لتحسين كرمياني ـ وأنه أختارها الأولى من بين القصص المشاركة وأعطاها درجة ـ**90** %ـ .

وقال أيضاً:

ـ أن الجماعة ـ يقصد أعضاء لجنة فحص النصوص القصصية ـ قد غدروه ..!!

تصوروا قسوة هذه الكلمة (غدروه)، لقد كان زميلي متألماً لي، وكنت فرحاً بما نقله لي، وقلت له:

ـ لقد فزت ورب الكعبة بالجائزة طالما جاءت الشهادة من أستاذنا الفاضل الذي لم يقل غير الحق رغم البقية الكارهة.

الذي أود طرحه من خلال هذا المقال هو: كيفية إنقاذ سفينة أدبنا من آفة التضليل وانتشاله من مخالب عدم الشعور بالمسؤولية، ولمّا تزل (نماذج) حاضرة وبقوّة، وهي لا تتورع من تبديل أقنعة الوجه، ما بين لحظة وأخرى، وفق مقتضيات المزاج، واتجاه ريح المنافع الشخصية، كم من أمثالهم بالأمس القريب كانوا مطبلين، مزمرين، أصحاب ألسنة طويلة، هللت ومجدت وسمنت على دسومة ملوثة ومن دون خجل.

لا..ياصديقي.. لا.. لن ـ أزعل ـ ويسلم ثغرك..أنهم حقاً كما تقول ــ كلاوجيّة ــ فلغة المجاملة، والمحسوبية، والتناصرات (الأخوانية)، لمّا تزل هي الغالبة، وليس من السهولة بمكان أن يبدلوا ما بداخلهم، والدليل الملموس على عدم جديتهم في تمشية أمور الأدباء المظلومين وانشغالهم، بأنفسهم بغية تمشية مشاريعهم من باب ــ استغلال الوظيفة ـ هو تعليق عضويتنا العريقة، في (اتحاد أدباء العرب) وعدم السماح لهم الجلوس معهم في كل محفل، وأنا على يقين أننا سنفقد مقعدنا ربما لأجيال لاحقة، ما لم يغير أهل اللاهثين للمناصب من أجل منافع شخصية، ما بأنفسهم، ولن نتنسم في قوادم الأيام نفحات العراقة، والأصالة، إن لم يرعو كل ذي سوابق معروفة، ومشهودة.

لقد توجب على أعضاء لجنة (تفليس) النصوص ـ وهذا بلاغ للّجان اللاحقة في قوادم المسابقات ـ أن تأخذ

بنظر الاعتبار، قرار من هو أسبقهم، وأعلاهم شأناً في الشهرة، والتخصص في الجنس الأدبي، أعني جنس (القصة القصيرة) والتي صارت مريضة على أيدي (عابثين)كما أشار الشاعر (سامي مهدي) في (أمراض القصة العراقية)، لقد كان من مسلمات الأمور أن تصغي بقية اللجنة قليلاً، لمن هو أخبرهم بشعاب (مكة)، قبل أن تقوم بجندلة (الضحية) على طاولة (الإنحيازات) وتحرير مخالبهم (التفكيكية) وأنيابهم (التحليلية) لتوزيع (الهبر) على الخلان و(الحبايب)..

على أقل تقدير، كان يجب أن يعيدوا النظر في قراءة (النص) الذي أختاره كبيرهم، طالما هو صاحب مكانة في هذا الجنس الأدبي المهمل، قبل أن يكونوا ضمن كومبارس (الغادرين) ويبثوا سموم جهلهم على المستحقين، ربما تناسوا أن النصوص ستأخذ طريقها إلى النشر، ومن باب تجنب الهجمات اللسانية، والقلمية في قوادم الأيام، كان يجب أن يتجنب كل فاحص نصوص التسرع والانزلاق إلى مهاوي الندم، فالقصة ـ يامحلليها ــ لا تكتمل ما لم تعالج حالة جمعية، وتطوي بين سطورها، مضامين إنسانية، نبيلة وعالية.

أتدرون.. في مسابقة على مستوى (روسيا) أقيمت في جنس (القصة القصيرة) فازت قصة تتكون من جملة واحدة ـ أشرقت الشمس وغابت ـ يا لها من جملة، طوت بين حروفها الخمسة عشر الوجود كله، لو كانت هذه القصة بين أيدي خبراءنا، لضحكوا كثيراً على أنفسهم قبل أن يضحكوا على مرسلها، بطبيعة الحال لا يمكن إغفال الفقرات المكمّلة لبنيان النص، من لغة هادفة،

رصينة، طريقة معالجة الثيمة، ومدى الفائدة المرجوة منها، وما جرى من خرق أو هفوة سواء أكانت مقصودة، أو غير ذلك، ليس في نتائج القصص بل حتى في باب (الشعر) تم تبديل المراتب في اللحظة الأخيرة، كما يؤكد شهود عيان، قالوها علناً على ثقافية الفاضلة (الصباح) بعدما وصلهم خبر قيمة الجوائز الممنوحة، (مليون دينار)..

نأمل أن لا يستفحل في أيامنا التي ستشرق بنور الحرية، هذا الداء العضال، ضرورة نبذ كل نفس أمّارة بالضيق، متشبثة بالعبث، كي لا نجد مثل هذه (الثآليل) تنمو بوجود نصير، يمهد لها الحضانة، (ثآليل) إن فتحت أمامها أبواب السياحة، ستغدو من غير شك سرطانات معدية، ستفتك ببقايا العافية المتبقية، في جسد ثقافتنا النبيلة، وليس إعطاء المراتب لكل من هب ودب في المسابقات، على غير مستحقيها، ما هو إلاّ تخبط، وتهور، وسباحة في برك مجهولة القاع، وربما إستفلاس تام للثقافة في أنفسهم، وليكن يا ساسة الثقافة، غدنا مسرحاً للجاد الذي افتقدناه، وليس للتهريج، والتزييف، وتلميع كوكبة أخرى من (مواكب) الهامشيين، أو المهزومين في التاريخ..!!

ملاحظة في غاية الخطورة ..!!

** كان شعار الملتقى.. (العراقي محور لإبداعنا وغاية لثقافتنا)..

** (صندوق الشعر) قصة قصيرة..ضمن المجموعة القصصية (ثغرها على منديل) والتي حازت على جائزة الإبداع في مسابقة (دار ناجي نعمان) **2007**، صدرت

عن نفس الدار **2008**.

* * *

من كتاب اللعنات

(1)

على ما أذكر..

كان ذلك في بدايات العهد الأخير من القرن المنصرم، يوم كنت في مدينة النار الأزلية (كركوك)، موظفاً في /شركة نفط الشمال/، كنت دائماً أحد روّاد مكتبة، صغيرة المساحة، غنية الثقافة، لم أنشر يومها إلاّ حفنة متواضعة، طموحة، من نصوص، تتوسل أن تصير قصص قصيرة، ومقطوعات تطمح أن تغدو شعرية، إن لم تخنِ الذاكرة كانت تلك المكتبة تدعى (الفارابي)، يمتلكها رجل وقور، يمتلك كمية تسامح، ما لم أجدها لدى باعة كتب اليوم، موقعها (خاصرة) مبنى، فيما سلف كان يسمى/حوانيت الجيش/.. إلى تلك المكتبة، دخلت ذات صباح لشراء ما كان يتهاطل ـ إن جاز التعبير ـ من كتب نفيسة، ليست جديدة الطبع بطبيعة الحال، كتب خزنتها مكتبات المنازل، وراحت تتخلص منها على مضض، أثر تفشي حمى تفتيش المنازل، من لدن أقزام، ترى أن الكتب ألغام ستنسف ذاكرة إنسان (العراق) الجديد، وتؤدي إلى بروز مصابيح، ستنير الجوانب الخفيّة لسلطة البلد.

كانت بداية النهاية لعصر بدأ يزحف، كالغول لابتلاع كل إشكاليات الثقافة، والمعرفة النبيلة، ثلاثة رجال كانوا يشغلون ثلثي مساحة المكتبة، يتحاورون بالهمس تارة، والجهر قليلاً، والنظرات كثيراً، رجل رزن، أشيب، أسمر السحنة، لا يتكلم إلاّ ما هو مفيد، الثاني يقف إزاءه، خجول الطباع، كما كان يبدو، يحمل بكفه اليمين حفنة كتب، أمّا الثالث، كان يجلس على حافة طاولة، بدا أسمر السحنة، جريء الكلام، له نظرة فيها دلالات صريحة، ومعان فاضحة، وغضب عارم، ورهط أحلام مخنوقة، أتذكر أنني رفعت رواية (تويجات الدم) لواثينغو..فاجئني الرجل الوقور:

- هل قرأت هذه الرواية..؟؟

نقلت بصري الذي أرتبك، إلى حيث أشار بإصبعه، اصطدمت بعنوان لم أفك مغاليقه إلى يومنا هذا، (دابادا) أجبته بالنفي، بهمس خجول، أو ذبيح، وقال أيضاً:

- لن أدفع (ستة دنانير) ثمناً لهكذا رواية..!!

بطبيعة الحال لم أجادله، كنت لحظتها أبحث عن كل ما هو مثير، وشاحن، لموهبة ظلّت تدفعني صوب كل مكان فيه كتب، لكنني الآن طبعاً أستذكر اللحظة، وكلي غضب على تلك الحكومة التي قرضتها جرذان الغطرسة، لقد كان الرجل الهادئ، الذي نصحني بقراءة (دابادا) القاص الراحل (محمود جنداري)، الذي نال نصيباً ثقيلاً من السجن، والتعذيب، والرجل الصامت، الذي كان يقف أمامه، القاص والروائي الذي شنق، أو أمطروه بالرصاص، (حسن مطلك)، بتهمة التخطيط لسحب كرسي (الرئاسة) من تحت (مريض زمانه)، أمّا الرجل

الجالس كان القاص والمسرحي، الذي ألتحق بركب الراحلين (جليل القيسي)، عرفت هوياتهم فيما بعد.

سراً.. لعنت الحكومة، لأنها لم تعرّف شعبه على مبدعيه، على أقل تقدير، إن لم نحض بمصافحتهم، أو نقف احتراماً لنلوّح بأيدينا لهم، حين نمر بهم، أو يمرون بنا، طالما نحن شعبٌ لا يرتدي القبعات للتلويح بها..!!

* * *

(2)

في كانون الثاني من عام ما قبل الهجمة (التحرير.. احتلالية) على بلادنا، لم أكن مدعواً طبعاً، كون الدعوات كانت محجوزة، لأصحاب المقام الرفيع، وأصحاب التصفيق العالي، والوجوه الجاهزة، لقول كل ما ترغبه، أو تطلبه المرحلة، من تزلف، تملق، تزييف، تلميع، تسويف، ترويض، نسف، قصف، وكل إشكاليات الخدمة الثقافية، كنت في أزمة حياتية، وظروف قاهرة، لحظة اندفعت إلى (المنصور ميليا)، هناك وجدت ظلاً، أواني لثلاث ليالي في صحبة الزميلين (سعد محمد رحيم و صلاح زنكنة)، كانت ندوة (الرواية العربية) عقيمة، جراء موضوعات مبتذلة وأسماء غير لامعة، وحشد متواضع، من الباحثين عن حزم أضواء خابية، حتى أن الوافدين بكروا الرحيل، ومن بينهم الروائي الفلسطيني صاحب تحفة (جسر بنات يعقوب) (حسن حميد) الذي قال لنا:

- يجب أن أرحل قبل أن تطلقني زوجتي من كثرة

تركها وحيدة..!!

باستثناء أسماء لم تتعد أصابع كف واحدة، لم تحضر أسماء كانت مدعوة.

كنت بصدد الحديث عن حادثة مؤلمة، لمّا تزل خسارة ترافقني من غير تعويض، أتذكر أنني كنت داخل المدرج الكهربائي، في الطابق الأوّل دخل رجل وسيم الملبس، كان يحدق في يديّ وكنت أناقش نفسي، بخصوص هويته التي لن تخرج من فلك العذاب (العراقي) المستديم، للحق أقول لمست في أنفاسه، شيء من عتب يتناثر، ورغبة مكبوتة تحتدم في قلبه، وكانت أسنانه تطحن إعتمالات مفضوحة، في الطابق الخامس تفارقنا، بطبيعة الحال كنت أحمل نسخة مستنسخة من رواية (المسرات والأوجاع)، فيما بعد عرفت أن الرجل الذي ظلّ يلوكني بصمت، لم يكن سوى الروائي القدير (فؤاد التكرلي)، عرفت سر الانزعاج الذي ارتسم على قسمات وجهه، لقد شاعت في تلك الأيام موجة (استنساخ) الكتب الواردة سراً إلى البلد، مما أضر بالكتّاب مادياً ومعنوياً، رغم أنها كانت باب شهرة وانتشار، مرة أخرى لعنت فيها الحكومة، لأنها ظلّت تضللنا، وتحجب عن باصرتنا بصيرتنا، تلك المصابيح المضيئة للوعي، والفاتحة أبواب الرغبات، والمعرفة الخامدة في الذات (العراقية)، حكومة محكومة بالتضليل والتجهيل، لم تعرفنا على مبدعينا، عبر الوسائل المتاحة من نشر وإعلام، حرمتنا من مصافحتهم، أو إبداء إعجابنا بما يكتبوا، وربما رفع أيدينا لهم حين يمروا بنا، أو نمر بهم، لأننا ما نزال نستحي ارتداء القبعات، رغم أنها تحمي الرؤوس من

الشمس، والريح، والبلل أيام المطر، ويمكن الاستعانة بها للتلويح، أو التعبير عن إعجاب وتقدير..!!

* * *

(3)

أخيراً تم وضع النقطة المفقودة على الحرف المسكين، بكل تواضع، بدون أية خسارات، انتهت حرباً دارت من يوم انقلاب الموازين السياسية، في بلاد ميّزها الله كأكثر الدول المغزوّة عبر التاريخ، من سيئ إلى أسوء، حرب (كلماتية) ما بين (ثقافة الداخل وثقافة الخارج)، وتم نصرة المظلومين، أدباء الخارج، على المسحوقين، أدباء الداخل، الروائي العراقي المعروف (فؤاد التكرلي) (مات فيما بعد) صار مستشاراً ثقافياً في البيت الرئاسي، يمارس مهامه من حيث يرغب، بعيداً عن الأوجاع، وأبواق التمرد، والدم (العراقي) المراق على إيقاعات عقارب الساعة، سررنا طبعاً، وهللنا باحتراس، أنه انتصار للثقافة (العراقية) العاطلة والمغيبة، وأنه المفتاح الذي سيدفع كل أبواب التابوهات المتعجرفة، إلى الشروع بالتهاوي، رغم أننا لنا وجهة نظر تتعكز على منجزات أخذت مداها، منجزات ثقافية تغذت بالصبر، الجوع، الحرمان، ومقاومة أشراك السلطة القاسية، سهرت، مارست مواهبها، رغم أنف المتلصصين، والمتربصين، إذ ليس هناك مجموعة قصصية كتبها أديب خارجي تضاهي (تيمور الحزين) لـ(أحمد خلف) أو (رؤيا خريف) لـ(محمد خضير).. بطبيعة الحال أن رواية (سابع أيام

الخلق) للروائي المجيد (عبد الخالق الركابي) ستبقى تاج رأس المرحلة المنصرمة، أمّا في المسرح أعتقد أن كل نص كتب في الخارج سيظل تابعاً لإحدى مسرحيات الكاتب المبدع (محيي الدين زنكنة)(مات فيما بعد) في الشعر (موفق محمد).. حمل راية البساطة الشعرية، والصدق الفني، أو (كاظم الحجاج) الذي ظل يحتج علناً، عبر تراكيب شعرية، تركت أفعالها ببساطة ووضوح في الذاكرة.

ما بوسعنا قوله، هنيئاً لكم نصركم يا أدباء (الخارج)، شبعتم حرية، شبعنا خوفاً، عذراً رغم ما أثير من نقاشات حارة، واتهامات فائضة عن اللزوم، كنّا على يقين أنكم الغالبون في النهاية، لأسباب تتعلق بالسياسة، والترضية، لأننا مهما فعلنا، ونزفنا، لم نعد سوى سفينة بلا ربّان، تائهة في محيطٍ ملغوم بالكواسج والقروش..!!

(4)

الموت في بلادي سهل.. وكل سهل في بلادي جبل..!!

* * *

** لم يعجب هذا المقال الأستاذ (....مبارك) في موقع (القصة العراقية) رد رداً غير منصفاً، تحت عنوان (حماسيات تحسين كرمياني) ، في سكوتي جنيت (الذهب) وتركت له (الفضة) ..!!

سحر النص وأسراره..
كبار الكتاب كيف يكتبون.. كيف يبدعون

في (كبار الكتّاب كيف يكتبون)* تستوقفنا حالات متطرفة، تدفعنا لطرح جملة أسئلة يمكن اختزالها في:
- هل حقاً ينحدر المبدع إلى دهاليز الحياة، وأقبيتها كي يشكل علاقاته الكتابية مع الحياة والزمن..؟؟

وربما تتوالد أسئلة أخر، لا تدور خارج فلك هذه المعضلة، والتي باتت تشكل من أساسيات الإبداع كما يشاع في سيّر، وحوارات جهابذة الأدب، حتى باتت لدينا قناعة ترفض النقاش، أن العملية الإبداعية تشكل مع التطرف علاقة متواشجة، فلا إبداع بدون جنون.

عجائب وغرائب تأخذنا إلى تفاصيل مضحكة، مبكية في آن واحد، أحدهم لا يكتب ما لم يضع عقرباً داخل زجاجة أمامه، وأرجو أن لا تنتبه (جمعية الرفق بالحيوان) لمقالتي، لاتخاذ موقفاً عدائياً من الكاتب، واعتبار كتاباته ساديّة، طالما هوايته تعذيب الكائنات غير البشرية، وما بال ذلك الذي لا ينجز (روايته) ما لم يحتس عشرة آلاف فنجان قهوة بالتمام والكمال، يا لحظ بائع البن الذي يسكن بجواره، أمّا الرواية عند كتّابنا لا

تستغرق سوى جلسة، أو جلستين أوان توفر التيار الكهربائي، وربما ليس لديه الوقت للمراجعة، كون الأخطاء والهنات هناك خبير متمرس يتكفلها، يمتلك الحق في غربلة (النص) وقص ما لا يروق له، أو يخالف ذوقه الخاص، كثيرون يسرحون بخيالهم، قاتلين ساعات من التأمل، والغور في مسالك وعرة، ربما تكفي لإنتاج (نص) لو تم توظيفها بشكل عفوي، بدلاً من هذا الشرود العقيم، بحثاً عن أساليب تطرف غير مسبوقة، والتي هي حسب اعتقاداتهم خيول سماوية، ستأخذهم إلى الرفوف الأمامية، لتحشرهم في كتاب لاحق، ربما عنوانه لا يبتعد عن (كتّابنا هكذا يكتبون).

يقولون.. (محمد خضير) كتب (في درجة **45** مئوي) داخل المطبخ.

(مهدي عيسى الصقر) يكتب بقلم الرصاص.

(أحمد خلف) لا يكتب إلاّ فجراً.

ولي صديق ألححت عليه السؤال عن سبب توقفه عن كتابة القصص قال:

- بتوقف الحرب جفّت ذاكرتي..!!

العباقرة يتصرفون بعفوية وفطرة، دون اللجوء إلى افتعال، أو اختلاق أزمات، كي ينزفوا قراءاتهم للواقع، ومجريات الأحداث، ولدينا رصيداً مرصوداً يتواجدون دائماً، أينما يلتم شمل كوكبة كتّاب، من أسمالهم، من (تقليعات موضويّة) عبارة عن ملاقحة، ما بين مستوردات يتم تعديلها حسب المزاج، ودرجة انحراف العقل عن الواقع، متناسين أن الكتابة بالدرجة الأساس، نتاج قراءات مقدسة للحياة، وأن ممتهنيها لهم روح لا

تترجل عن صهوة جواد التواضع، ونكران الذات، وأنهم ألغوا ما لهم من طموحات شخصية لنيل المكاسب، وظلّوا داخل وحل الحياة للتغني.

(يفغيني يفتشنكو) رفض (وزارة الثقافة السوفيتية).

(شيركو بيكه س) استقال من (وزارة الثقافة) في (إقليم كوردستان)

كونهما عرفا، أن السياسة آفة تغتصب منابع الجمال، وتكتسح حيثما تكون هناك بقعة حرية، رغم كونهما من أبرز شعراء جيليهما، (يفغيني) في ستينات القرن المنصرم، و (شيركو) في حاضر الشعر الكوردي المعاصر، والكل يعرف أن (النص) لا يدرك حاسة المتلقي، ما لم يتشرب بدم الكاتب، ويتغذى من مرارة صبره، قبل أن ينضج - على مهل طبعاً ـ على لهيب معاناته، وأن كانت شخصيّة، لكنها معاناة جمعية، واقعية، نتاج تصادمات متواصلة، ما بين أحلام الإنسان، وأصحاب السيادة، فالنص العقلاني متجرد من أمراض الذات، وشطحات اللاوعي، يلج إلى المخ بلا تكليف، مثلما يهبط زلال الماء إلى بطن العطشان.

ما بال أحدهم يجهر أينما يفتح باباً للجدال عن مهنة الكتابة ودوافعها، في زمن بات البشر مثل القصب، لا هو ينفع، ولا هو يضر في يومنا هذا، يحصده منجل الإرهاب بيسر، مثلما تنتج رواياتنا ويحصدها منجل النسيان، هذا الـ(أحدهم) يتباهى انه لا يكتب ما لم يثمل، وحين سأله ناقد غير معروف:

- منجل الإرهاب حصد المسكرات من أرصفة الشوارع فمن أين تأتي بها..؟؟

قبل أن يكشف الغطاء عن سره، حرر قهقهة ساد جرائها صمت مهيب داخل المقهى، تبين أنه يسكر على شخير زوجته وأطفاله، يتنفس رائحة جوعهم، ويصل دائماً بسرعة البرق إلى مناطق الحرمان المتنامية فيهم، هناك يلقي بمرساته، وينهل من أناشيد عذاباتهم قبل أن يكتب ملاحمه، يالها من لحظة سادية لاستدراج ربة الإلهام من اجل (فلته) كتابية، فهو ينضد، ويقوم كل يوم بتوزيع نسخ معدودة، على زملاء يجاملونه من باب الاستحياء، وربما خوفاً منه، كونه يدفع ثمن شاياتهم كل يوم، أمّا ما يدور سراً فيما بين مستلمي النصوص المستنسخة جملة ثابتة:

- مازال أخينا يسبح في بركة الخواطر العمودية..!!

مرض الإبداع لدى البعض دفعهم اللجوء إلى وسائل كفيلة، تنقلهم صوب الأسرار الخفية للكتابة، يؤرقهم ليل نهار هاجس التحليق مع (ماركيز.. رامبو.. دستوفسكي) وأن أمكن (السيّاب) وذلك أضعف احتمال، فالتطرف بات باب الولوج إلى ما يسكنهم، وأنه تعويذة لا مناص منها، فما بال شاعر يعترف أنه لا يكتب إلاّ في الصيف، خلته يقضي الشتاء على أبواب الأطباء، جراء نزلات البرد المتواصلة مذ صرنا بلد البرمجة، واختفاء الوقود، رغم أننا نركب سفينة لا تمشي على الماء، لأنها تبرك على النفط كما يبرك بعير مكموم الفم على كومة شعير، كاتبنا الصيفي وكما يحلو للبعض من روّاد ذلك المقهى أن يسميه الموسمي، حتى قال له واحد من الشلّة أن يضمن نصوصه بالثلج لاختفائه، والرقي، كي لا يتعب الناقد من فك مغاليق نصوصه، وقال أيضاً كي تتفرد بنهج غير

مسبوق، وأن تغدو شاعر الفقراء، كونهم ينالون ما هو مفقود، داخل ملحمياتك الصيفية، هل باتت النصوص فواكه تتلون بمناخات الكاتب وتكتسب، نكهتها من (طوبوغرافية) المكان، وترتدي حلل المواسم، لم لا، الشجرة تأخذ وتنتج، كذلك الكاتب يأخذ وينتج، الفواكه تريح الجسد كذلك (النص)الدسم يريح الجسد، وقديماً قيل:

- ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ..!!

وقيل أيضاً:

- في البدء كانت الكلمة..!!

لا نستبعد جدلية التفاعل العصيب، ما بين الكاتب وحياته، فهو أبن واقع يشاركه جمع في تكوينه، له ما لهم، ولهم ما له، من ظاهريات ومخفيات، ومهما نزف فهو ذات النزيف المحتدم وراء سدود الذات للكل، يختلف عنهم كونه اهتدى ـ بفعل موهبة ـ إلى منافذ تحرير النزيف المتراكم، كان من الممكن أن يلتجأ الناقد إلى مناطق علم النفس، لتحليل النصوص كونه الحاضنة لكل أرق ونبض مغاير، وزفير غير منتظم، وحده علم النفس يوصل الباحث إلى بؤرة النزف، ويفرز ما هو مفتعل عن ما هو كوني ونبيل، أنا شخصياً أقمت الحد بالدليل الباتر على شاعرنا الصيفي كما أسميته، وجدته صادقاً فيما ذهب أليه، وكانت مصادفة لحظة وجدته يرتكن رغم لهيب آب في ظل شجرة يوكالبتوس، كان في لحظة تلصص، خلته في انتظار فتاة، قبل أن يجذبني مشهد عامل ينثر رذاذ الأسمنت على حائط أملس، سرعان ما دق جرس الذهن، وتناثرت تلك الأوراق التي كان يوزعها، أو ينشرها من بعد توسل على صفحات

ثقافية لصحف توزع معظمها مجاناً، كونها تعود لجهات تدعي أنها مستقلة، رغم فضائحية ميولها، والأسماء الواضحة والتي تتبنى إدارتها وتحريرها، لقد توصلت إلى قناعة أن صاحبنا يستنسخ عينياً قصائده، وسر تعلقه بقصيدة (الأسمنت) عفواً قصيدة (النثر)، وكان جوابه يوم النقاش معقولاً لحد ما، تحدث عن سر العلاقة بين الواقعية والصورية، ما بين الحائط والورقة، وليس هناك ثمة فارق ما بين، (نثر الأسمنت) على الحائط، وبين نثر الكلمات على الورق، المهم إظهار البراعة في الصياغة، وكيفية دس الوهم داخل الكلمات المتراصة، مما يغري الناقد ويحفزه إعلان النفير، والغوص بما يمتلك من مؤهلات نقدية قديمة، وما أستل من حاضر النقد المستورد، كي يفك الألغاز، ويعبد الشوارع، معلناً عن فرادة فوق العادة، لا ينكر أحد أن لكل كاتب أسلوبه، وله الحق أن يستدرج ما هو مناسب، وخادم من كلمات وأن ألتجئ إلى السجع، أو تشظية اللغة، كي يستفز المخيلة، ويفوت إخفاقاته، أو عثراته، وهو يسحل (الثيمة) إلى بر الأمان، ففي عالم الكتابة كل شيء ممكن وجائز، طالما النشر غير مقيد، فهناك من يجد التلاعب بأعصاب القارئ جزء من العملية الإبداعية، وهناك من يعتقد أن قارئ اليوم لا يبحث عن السلسلة الرابطة للأحداث، يمكن أن نرص الكثير من مشاهد التطرف داخل علبة متواضعة، هؤلاء بطبيعة الحال عجزوا أن يأتوا بشيء، وأضاعوا دروب السابقين، وظلّوا يلتجئون إلى مناطق توليد التطرف لفرض أنفسهم داخل الفرن الثقافي، وليس يغيب عن بالهم كلمة (أنا) وهم يجهلون أن الكتابة هي النور الخفي لجذب الحواس إلى

منابت الحقيقة، وهي أيضاً التوهج الدائم لروح العصور المتلاحقة، وأنها سر تواصل فاصل الإنسانية، وعدم ذبول شجرة الجمال رغم شراسة خصومها، وتبقى الكتابة أيضاً، مصابيح لإنارة متاهات المستقبل.

سمعت ذات جلسة أدبية، أن قاصاً كثير الكلام، كثير الكتابة أيضاً، لا يكتب كما يدعي إلاً بعد أن يلقي نظرة على العالم، إن كان حقاً ما يقول، فهو قاص مثابر وحريص، يرغب أن يتناول أحداث زمنه كونه شاهداً، ومنذراً إن جاز التعبير، لأن الكتابة هي تأشير النقائض، وتنوير الحقائق، وأن أسرار الحياة بحاجة إلى متابعة ميدانية، كي تنضج الأجوبة، وتأتي بلسماً مداوياً، ولكن صاحبنا كان لديه وجهات نظر استلها من دفتر تسكعاته الخيالية، فهو لا يهمه ما يجري من ملابسات وطواحين مؤامرات، وتدمير للروح الفطرية لدى البشر، لا يرغب أن يتابع الأخبار أو يقرأ الصحف، بل وجد وسيلة لم يسبقه سابق أليها، ففي كل ليلة يعتلي سطح المنزل، بعد أن يعم الظلام وتهدأ الشوارع تحت محنة عدم التجوال ليلاً، هناك ابتنى لنفسه غرفة، أشرف هو بنفسه على هندستها، وبذل مجهوداً خيالياً في بناءها، كي تكون مقارنة لما يحمل من أفكار تجديدية، ستدفع (قصة) البلاد صوب المسار الصحيح، من بعد طويل معاناة، وتلاطم تحديثات دفعت بذائقة القارئ إلى النفور والتعتيم، يقول أنه جعل في كل حائط نافذة، وشرخ نافذة خامسة في سقف الغرفة، ما أن يجلس على كرسيه الدوار، يقوم بتدوير خمسة عتلات فتفتح النوافذ معاً، ورفض حين طرحوا عليه فكرة تحوير العتلات إلى منظومة تعمل

بضغطة زر، من باب عدم التقليد والابتعاد عن اللجوء إلى أفكار الآخرين، تمسك بفكرته كونها تحسسه أنه يطير كلما قام بالتدوير، وسرعان ما يغدو ـ على حد قوله ـ كاميرا في الفضاء المتنائي، يرصد ما هو مخبوء، أو ما يجول في ذهن كل نائم، ويوم سئل عن منفعة النافذة الخامسة، ضحك وقال:

- مهبط ربة الإلهام..!!

ليس هذا فحسب، فهو أبتكر وسيلة جديدة لشحن الذاكرة، وتفعيل الهواجس، وتأهيلها لخدمة (النص)، يرتقي سطح الغرفة، وفي جحيم الظلام، يرسل بصره عبر عدسات ناظور (**6** ×**36**) حصل عليه يوم (الفرهود الوطني) ، يرى العجب قبل أن يهبط ليدون ما رأى، حتى شاع عنه أنه رأى ذات ليلة الشمس تتلفع بعباءة، وتتجول بين النجوم، قابلوه بالضحك، وقابلهم بإلقاء (دولكة) ماء بارد على أحجار الدومينو.

بطبيعة الحال لم يزعل، تعود أن ينسى كل خلاف بعد ثوان، لأن لا جمهور لديه سواهم، من حق الخيال أن ينفلت من سكة الراهن، ويجترح مسالك، ومتاهات لتكوين أرضية جديدة لا تخرج من فلك العقلانية، وربما البحث عن فضاءات تستوعب الحاضر المر، وتدفن الجواهر بعيداً عن عيون ترصد للقبض على كل جملة، تمرر عربة فيها حقائب حقائق، لكن ليس للحد الذي يدفع الخيال لتأسيس دهاليز، وتهدم القلاع لبناء أكواخ، وكل ثوب فضفاض لا يتناسب مع جسد الإبداع، هكذا قرأنا تاريخ الفن، ورحنا ننسج على نوله ما يؤرقنا من أفكار وآراء، صحيح أن لكل كاتب زمنه وثقافته، وله روافد

ترشه بالآلام، وهناك تضادات مع ميول أصحاب السيادة، تتعارض سلباً أو إيجاباً، مع طموحات الناس، تنبثق الرؤى، وتنهار سدود الاعتراضات، وينبري القلم ليجابه في رحلة الدفاع عن التناقضات، منهم من يختار المنافي أوطاناً بديلة، ومنهم من تفترسه حراب السلطة، وهناك دائماً الرهط البائس، الذي يستسلم للسائس، يغتني وهو جالس، فما بال (كاتب) معرف يدعي أنه ما يكتبه في ليل الخمر لا يمحيه النهار، وآخر لا يبدأ بكتابة الرواية ما لم يستحم بماء بارد حتى ولو كانت السماء تمطر ثلجاً، كون الماء البارد يشعره أنه يعيش في بلدان الحريات وكان يقصد أوربا، ومنهم من نقل هوسه إلى الشارع، نراه يتأبط حفنة مجلدات نفيسة بطبيعة الحال هو لم يقرأها، يريد أن يراه جلساء مقهى (الشاه بندر) ولم يغب عن باله يوماً، أن يغفل المقاهي الأخر، يمنح (الزهاوي) و(حسن عجمي) ساعتان كل (جمعة)، كون الأدباء منقسمين حسب الأجيال، وهناك متطرف يتباهى بحقيبته الدبلوماسية، ينوء بحملها، كل (جمعة) يبكر الحضور، وقبل أن يخلد إلى زاويته المجابهة لباب الدخول، يغربل الكتب المنثورة على طول الشارع المفضي إلى المقهى، حتى سمع أحدهم ذات يوم من بائع كتب وهو يضرب يداً بيد ويقول:

- (إجه الفيلسوف وراح يخربط التصفيط..!!)

وكان يشير إلى صاحبنا صاحب الحقيبة العملاقة، تلك الحقيبة ظلّت مثار حسد، كونها كما ذهب البعض، لا بد أن تحتوي نصوص أو كتب دسمة، في وقت بات الأديب لا يشرب الشاي لأن المائة دينار كل ما في جيبه أجرة

الرجوع إلى المنزل، لكن الأيام دائماً تأتي بما لم تزود، سرعان ما عرف الجميع أن هذا لم يكن سوى كاتباً سكراباً، لأن فضولياً لم يحتمل تبجحاته التنظيرية، ونقاشاته الحداثوية، قرر أن يفتض السر، أستغل دخوله ذات يوم إلى تواليت المقهى، فتح الحقيبة وصاح:

- خوان صاحبنا صيدلية متنقلة ..!!

حقاً كانت الحقيبة ملآى بصنوف من أدوية لأمراض مزمنة، سكر، ضغط الدم، داء الشقيقة، مفاصل، ربو، هلوسة، ومعدة، وفياغرا..الخ، وماذا يعني أن يتسلح أحدهم بجملة نظارات، واحدة تتدلى من رقبته بسلسلة نسائية، وواحدة بيده داخل محفظة مذهبة، وثالثة داخل جيب قميصه، ونراه حين يخرج يستبدل الذي على عينيه، وحين يقرأ يلتجئ إلى نظارته المتدلية من رقبته، يجدر بنا أن نسأل ونقول:

- هل يتوجب على الكاتب أن يتشبه أو يقلد أصحاب الطقوس السادية..!!

لماذا ينسلخ من واقعه، يلقي بثوب ماضيه، ويحاول أن يتجرد من تراثه، ويتزحزح عن بني جلدته، فالإبداع لا يأتي من فراغ، والنص الأدبي يكتسب هوية الكاتب، درجة ثقافته وصفاته الأخلاقية، ويخطئ من يظن أن (النص) هو نتاج اللاوعي، فكل (نص) يستند على مرجعيات حقنها الكاتب المثابر عبر سلسلة متداخلة، من قراءات واعية، ومعاناة حياتية، ومتقلبات سياسية، وتصادمات في الرؤى والأفكار، فالمعادلة هي من شطرين، النص الخارج من فرن الذهن في لحظات فقدان الصلة بلحظة الكتابة، قد تأتي من باب اللاوعي، ولكن لن يكتمل (النص) ما لم يقم الذهن

نفسه بمراجعته، والوقوف على درجة عقلانيته، أنه تسليط مجهر الوعي لفحص النص، فإعادة قراءة النص هي قراءة نقدية، وبالتالي يكون الكاتب أول ناقد يتناول عمله، لأن (النص) لن يطرح إلى سلة الزمن ما لم يشذب ويهذب من التوحشات كما يفعل بالعروس ليلة زفافها، وعلينا أن ننظر إلى النقد على أنه قانون الوعي وانضباطه، فلم كل هذا التطرف في الشكل واللجوء إلى كوابيس لا تصلح لمناخاتنا، ولا تحابي أمزجتنا، يمكننا أن نأتي بما يصلح لعصرنا الراهن، وربما ينفع للعصور التالية، لو روّضنا أفكارنا، وتصاهرنا مع تراثنا، وحررنا ما نحمل من أفكار، بعفوية بعيدة عن تشنجات الحداثة، ومتاهات تأويلاتها، ونبذ ضرورة اللحاق بركب العالم، فالعالم بدأ ينحدر ثقافياً ويسلك الدروب الموصلة إلى حضارتنا، انظروا ماذا فعل (باولو كويهلو) بالرواية العالمية، أنه وجد الطريق إلى أعماق حضارتنا، وجاء بنص صغير الحجم، كبير الأثر، واعتلى رف الرفوف في ذاكرة الأدب الإنساني، انظروا إلى (سيد الخواتم) فلم الأفلام، لم ذهل العالم وهو ينتعش في عصر الفضائيات والإنترنت، بمنظر الخيول والسيوف والسحر، روايات وأفلام هي مسروقة من تراثنا ومن تحت أنظارنا، صارت قناديل للغرب، ويبقى السؤال قائماً:

- هل خلق الكتابة يستوجب إثارة الغرائز والحواس..؟؟

أم عقم الذاكرة، وإفلاس العقل، وربما تشوش الخيال، تدفع بالباحث عن الإبداع افتعال أزمات نفسية، وإثارة كوابيس مختلقة، كتعويض لابد منه لإثبات الوجود، في

عصر لا يستقر فيه عقل على رأي، وكل (نص) مريض يدل على عدم صحوة كاتبه، فالكتابة ياعشاق التطرف لا تأتي إلاّ لحظات الصحو، وفيضان الثقافة، ووجود عيون لا تنام مع الرغبة الصادقة، والاستعداد التام لقول كل ما يقترحه العقل ولو كانت في الأفق تلوح أنشوطة وجلاد، ربما وجد البعض أن التطرف نوع من حرب سرية مستحدثة ضد السلطة، وهو الشيء المناسب والحاسم ضدها، لكننا نجد أن معظمهم طبّلوا مع المطبّلين، نالوا ما نال أصحاب الأبواق اللئيمة من مغانم أدبية، فليس في نصوصهم المتواضعة شيء يتباهون به في يوم ما، بعد كنس الظلام، وتحرير الكلمة من سجن الجلاد، ومن تاريخ الأدب عرفنا، أن كل تجربة ذاتية، نجمت عن صراع ما بين ظالم ومظلوم، والكاتب العقلاني عرف كيف ينسج ويغزل ضفائر (النص) ويجعله مادة خام لكل العصور، ومن يستطلع راهن الحياة لا يركن لقرار، في كل لحظة تتوالد شرارات كافية لقدح الذهن، وتفعيل الذاكرة لتنزف، فالتداخل السرطاني للبشر، ووسائل الاتصال السريع، دفعت بثقافات تخريبية تنتهك الجذور، وتؤسس لحياة قادمة وملوثة، فلا اللحية المسترسلة، ولا ارتداء الأسمال المهللة، ولا نثار الأسمنت المتطاير، ولا الغرف المزاجية، والنظارات أو نوعية القلم والورق، تنتج ما هو يدوم ولا بوسعها أن تستدرج ربة الإلهام، وعلى الكاتب أن يدرك أنه واحد من جوقة أمناء العصر، وقلم من جملة أقلام تدوّن سير التاريخ، والخطاب الوجداني لا يحتاج إلى أجواء خارقة، أو فضاءات كابوسية كي يتحرر، وعلى هوّاة التطرف، أن يعلموا أن الإبداع وصفه البير كامو (أن يعيش

المرء مرتين) فكيف لا يكون عيشتهم الثانية سراباً محض، طالما أنهم يهيمون في كوابيس وأوهام حياتهم الأولى..!!

- كبار الكتاب كيف يكتبون ـ ترجمة كاظم سعد الدين ـ منشورات دار المأمون..

ما الشعر..!!

[للشعر وظيفة التعليم، كما أن له وظيفة إدخال السرور إلى النفس] (هو راس)..

* * *

لا أحد يشك بشاعرية (بوشكين)، ومع ذلك يصرخ (مايكوفسكي)/اقذفوا ببوشكين إلى البحر/.. كان ذلك العام (**1912**)، انتظر الأخير(**12**) عاماً قبل أن يطلق جوابه (قصيدة مرح) (يألّه أستاذاً يتحدى القرون)..

ماالشعر ..!!

قد لا نجد جواباً شافياً، طالما يذهب (جاكوب كرج) في كراسته الممتعة (مقدمة في الشعر)*

/الشعر يحتفظ دائماً بموقع مركزي في الثقافة الإنسانية/..أنه جنس ساحر مغريٍ، يشكل العمود الفقري لتمفصلات علم الجمال، إلى حد ما يشبه بنيان مرصوص، مواده كلمات تحمل بين طيّاتها دلالات، غايته

لـيس فقـط المتعـة والفائـدة فحسـب، بـل قـراءة فلسـفية تحريضية لماهيّة الأشياء، مـا الـذي يقيـه مـن عـث الـزمن، لابـد مـن معـايير خالقـة تهنـدس براعتـه، وتسـربله بالبهـاء السـاطع ليغـدو فيمـا بعـد عمـارة كلماتيـة صـامدة، تقـيم نغماتهـا ذاتيـاً، وتسـاير بعنـاد شـرس الأزمـان اللاهثـة، الشـعر أبـن الواقـع ورئـة الوجـود، الموسـيقى الماثلـة المتغلغلة المتناغمة مع الروح، فالأقوام النائية عن ركب المدينية تتمسك بالشعر العفوي، المستحلب من روتينيات حيواتهم، كونـه يشكل الحبل السرّي السامي، والمحراب التطهيـري، والشـفرة السـرّية مـع القـوى الغيبيـة أوان الكـوارث، وهـو كمـا شـاع عنـد الأقـوام البدائيـة، أيسـر المسـالك لتهـذيب وتنشـئة الأجيـال، كونـه يمـنح الكـائن البشـري زخمـاً معنويـاً، وثقافـة حصـينة فـي مبارزاتـه الحياتيـة، ولكـي تسـتقيم العلاقـة، وتتمركـز فـي صـلب الجمال، لابد من تعامل حساس، ورغبة حافلة بالحرص، إذا مـا رغـب مـن تؤهلـه الظـروف سـفيراً للنطـق أو حامـل مشـعل الكـلام، أن يـدوّن مـا تمليـه عليـه (ربـة الإلهـام) مـع تحفظنا الشديد علـى هذا المصـطلح المستورد غير اللائـق بنقـاوة شـريعتنا، الدارسـون يـدركون جيـداً أن أدنـى شـائبة يحقـق (اللحـن) وبالتـالي يـزيح المنظومـة الموسـيقية، إلـى خانة الكلمات العـابرة، هذا مـا يدفعنا إلـى مـا قالـه السلف/ الشـعر هـو الرسـم بالكلمـات /وهـذا مـا أكـده (أبـو لينيـر) أيضـاً/ القصـيدة والتشـكيل متشـابهان، إن لـم يكونـا وجهين لعملة واحدة/.. يذهب (كرج) /الشعر استعمال فنـي وغير اعتيـادي للغـة/.. مـن خـلال قـراءة عموديـة وأفقيـة لجـنس الشعر، نكتشف أنـه كـلام مؤثـث أنـزاح صـوب الموسيقى،

كـي يؤسس أو ينفـرد بكيانـه الخـاص ليغدو مـن العلامـات المؤسسـة للوجـود، ويتعـالى علـى لغـة التخاطـب ويسـايرها فـي ذات الوقت دون أن يتقاطع أو يتدافع معهـا، وهو من أسـتبقى اللغـة متفجـرة حيويـة بليغـة متشـظية متوالـدة، ومهمـا تعاقبـت مـن تيـارات ومـدارس اشـتغلت علـى تبـديل ثوب الشعر، اكتشفت أنهـا تمزق الثـوب البهـي وتعيد ذات الخيوط من جديد، وعبـر مغـازل تـدور حـول رحـم مقدس، أنهم رسموا لوحـات ودسوا أفكـاراً وأتوا بمسميات ليست مـن قـواميس الوجـدان، وظـلّ الشـعر القـويم القـديم يلامـس القلـب ويطربـه، يدغـدغ العقـل ويسكره، أمّـا مـا جـاء علـى أيـدي التجـريبيين وأصـحاب النزعـات التدميريـة، أبنيـة تتصـدع أمـام زحـف الـزمن، خاليـة مـن الإضـاءات والنسـمات الشـفافة، ومهمـا اسـتخدمت مـن وسـائل حديثـة وتكثيـف فـي اسـتعمال مـؤثرات بصـرية لتحفيـز العقـل أو جذبـه، نجـد أن مـا يسـمى تجنيـاً (شـعر) لا يلـج (مـخ) ولا يحقـق فـي الـذاكرة الجمعيـة قلامـة ظفـر اهتمـام، أن أهـم مفصل لم ينتبه إليـه أهل التحـديث، هو اسـتخدامهم معـاول البصر لا معاول البصيرة فـي حفريـاتهم المعرفيـة، وكـانوا مثل من يروم هدم الأهرامات التي صمدت بوجه أعاصير الأزمنـة بغيـة بناءهـا مـن جديـد، متناسـين أن العجائـب الزمنيـة لا تتكـرر وأن المطـر بيتـه الشـتاء، وأن جـاء فـي غيـر أوانـه لا طعـم أو خيـر فيـه، لسـت أعنـي الكـل طبعـاً، نخبـة غيـر مؤهلـة، أو لا تمتلـك المـؤهلات الواجبـة لقيـادة هـذا الألـم الإنسـاني العـذب، فكتابـة القصـيدة عنـد (إبسـن)/أشـبه بإقامـة جلسـات تعـذيب الـروح/.. يقـول (بـاونيس آلان) فـي كتابـه الممتـع ـ الفن الأوربـي الحـديث

ـ/ما من إنسان بقادر على قرض الشعر الجميل إن لم يكن الإله قد أمسك به/..فالشعر لغة الوجدان قبل أن يترجل إلى فضاءات الحياة، ويحايث البشر في رحلته، كان وما يزال لغة التنابز بالألقاب، والتحدي والتعبير الأسمى عن مكنونات الذات، به يسكت الرضيع في مهده، وبه تحلق العاشقة في دنيا آمالها، وبه تنفلق رؤوس الملوك، وتتسع أطماعهم ، وليس من غريب القول أن الشاعر يدنو من مراتب الألوهية، كونه فيلسوف له حق التنبؤ طالما مسك بمشعل اللغة، وحمل حقيبة الآلام على كاهله، هكذا وصلتنا التراجيديات والينابيع الفكرية عبر الملاحم والسيّر والمدونات من بشر كانت الكهوف مآويهم، والذاكرة أرشيفهم، ومن لم يستشرف المساحات الضوئية لحدود الأشياء، ليس بوسعه الإتيان بشيء جميل وجديد، وربما أنبل ما وجده (بودلير) يوم وصف الشاعر/ يقف على سقف العالم/.. لقد كان الشاعر لسان حال قومه، الناطق اللساني عنهم، التاريخ الشفّاهي للقبيلة في سوح الحياة، في معاركهم ومنابزاتهم القبلية، حتى غدا الشاعر مصدر قلق للملوك، وغراب الشؤم لتعريتهم طالما هم/مشعلو الحرائق في هشيم اللغة/..على حد زعم (سارتر) ، الأمر الذي دفع أحد المفكرين أن يقول/الشعراء إناث قومهم/.. وليس هذا ببعيد من قول الباري عز وجل/ يقولون ما لا يفعلون/.. ظلّ الشعر حاضنة للتنبؤات لذلك هاجم الأولون من أسانيد البلاغة الأنبياء والرسل، واصمينهم (شعراء مجانين)، لأن الأعراف تشير أن المجنون لا يؤخذ على خروقاته وتصرفاته، والمجنون كما هو مألوف يأتي بلطائف

وطرائف تسحر العيون وتستوقف العقول، ولا يختلف شاعر الماضي عن شاعر اليوم، هذا بالنسبة في عيون الحكام، وظلّ الشاعر اللعنة المرفرفة في كل مكان، وظلّ الطريدة الواقفة على حافة قلقة ، أن يزل أو يصلب إن لم تحالفه الحظوظ وتختاره المنافي صقراً جريحاً، يرى (هرمان هسة) أن الشاعر/هو ذلك الكائن الذي يسمحون له أن ينمو في داخلك، ولكن لا يدعونك أن تكونه/.. أمّا (أبو لينير) يجد أن/الشعراء ليسوا أناس الجمال وحسب، بل هم أناس الحقيقة إلى ذلك الحد الذي تسمح لهم بالتغلغل في عوالم المجهول/..ومهما تبدلت الأقنعة وتغيرت سبل المعيشة لا يتنازل الشعر عن ثوبه التعليمي، والتحريضي، وضخ التنوير الجمالي، وحكمته البليغة في تفسير الأشياء، فهل من الممكن أن ننظم جحافل الأرق ومواجيد انكساراتنا تحت إجناسية الشعر، وهل من الجائز أن نغفل/قيمة الشعر لا تكون في الكلمة نفسها بل بالطريقة التي تستخدم فيها هذه الكلمة/.. كما يذهب (كرج) فالشاعر كما يقول (أبو لينير)/هو من يبتكر فرصاً للفرح جديدة حتى لو كان تحملها عذاباً/ وعليه/أن يضع نصب عينيه تجنب الكلمات التي تحمل مغزى غير مناسب/.. استجابة لتعاليم (كرج) أيضاً، أن من يكتب أو يمارس الكتابة الشعرية، لابد أن يضع نصب عينية السؤال ..ما الشعر..!؟ قبل أن يسمح لقلمه أن يجرفه تقيح الواقع، وليس من الأنصاف تحويل قطار الموهبة من سكة إلى أخرى، فالشعر الموزون ما زال لا يتزحزح طالما الحياة كر وفر، ما الذي يجري الآن في سوح الشعرية..!! هل باتت المسميات الجديدة هي صحوة أم

أنهـا دليـل إفـلاس وفقـر المواهـب، وضـحالة الثقافـة المعرفيـة، أم وراء ذلك نزعـات تريد تدمير البنـى التحتيـة للتراث ..؟؟ ثمة من يحـاول إدخـال الشعر إلـى ورش بغيـة خياطـة أسـمال لسـتر عـورات وقباحـة أصـحاب السـيادة، هـؤلاء تنطبـق علـيهم مقولـة أعرابـي يـوم سـأل عـن/ اختلاف الحب عمّا كان/.. أجاب بحصافة فلسفي دارك/لقد كان الحب في القلب فأنتقل إلـى المعدة/.. والشعر لم يسلم من مقصلة الاستجداء عبر كل الأحقاب، وبالتـالي حصلت ثغـرات أدت إلـى ولـوج أرهـط كـان همهـم الارتـزاق ولـو علـى حسـاب الـذات وتـأريخهم الشخصـي، ومـن العلامـات الحاسمة لكسب الهوية الشعرية (الصـورة) فـأي (نـص) لا يعبـر السـيطرة الذهنيـة مـا لـم تكتمـل صـورته، وحسـناً عبّـروا التصـويريين الـروس/ الصـورة.. النفثـالين الـذي يحفظ مـن عـث الـزمن/.. يـرى (أبـو لينيـر) أن الشـعر لـه ثلاثـة بوابات/بوابـة التقليـد والمحاكـاة ـ بوابـة السـخرية ـ بوابـة العويـل والمناحـة/.. أمّـا (جـاكوب كـرج) ينظـر إلـى الشعر باعتباره ثـلاث أفكـار/فكرة أن الشـعر استعمال فنـي وغيـر اعتيـادي للغـة ـ فكرة أن الشـعر طريقـة، متقنـة مـن الكلام يمكن طرحها نثراً وبوضوح ـ فكرة أن الشعر كثيراً مـا يعّبـر عـن عواطـف مـؤثرة ومبـالغ فيهـا/.. أن كـل هـذه البوابـات والتصـنيفات مـا هـي إلاّ إفـرازات تمخضـت مـن تناثر الشعر العربي وعبر عصوره المزدهرة، لم كل هذا الهدر في الطاقات، وهل ينبغـي أن نحتفل فـي هذا العصـر المتشـظي بأننـا حولنـا (الخـواطر) مـن أفقيـة إلـى عموديـة، الزمن ما يزال يشكل المسرح الأمين ولا مكـان للمصـابيح العاطلة/المبدأ الأساس للإبداع هو البقـاء للأصـلح /.. هكذا

يصـرخ (كـولن ولسـون)، حتـى مـن لـم يـتعلم القـراءة والكتابة يدرك بفطرتـه، أن السراب مـاء فـي الأفق يغري العطشـان إلـى مـا لا نهايـة، لا يجب أن يخطـأ شـاعر اليوم طالمـا أتتـه الأشياء مشذّبة ومهذّبـة، أتتـه عصـارة الحقـائق وفرشـت الحيـاة كنوزهـا أمامـه، نـاس سـهروا وقـدموا تضحياتهم من أجل إنارة الطريق أمام الأجيـال اللاحقة، إذ ليس من الجـائز نبذ جهودهم والبدء من جديد، يوم سأل (أديسون) عن سبب صـرفه أمـوال طائلـة وهدره للوقت وهـو يكتشـف (عشـرة آلاف) عمليـة فاشـلة، قـال لهـم/أن علـى الأجيـال اللاحقـة أن تتجنـب هـذه العمليـات الفاشـلة وبالتالي وفرت لهم الوقت والمـال/.. لـم لـم يستفد الشـاعر مـن إخفاقـات السـابقين، ولـم يلهـث لـرص الخـاطرة تلـو الخاطرة، أن الشعر العربي أهّل ـ فراهيدياً ـ واحداً لحمل رسالته وـ سيّاباً ـ مسانداً، ومن يروم وصل الشعر عليه أن يقتـدي بهمـا، ومـن يجـد أن فوضـى الحيـاة تقتـرح موازنات متناسقة، وسبل تعبير مراوغة، لا يـأتي بشـيء، أنـه يدفع الحياة خطـوة نحـو الانفجار/كلمـا تعمقت فوضـى الحيـاة، كلمـا ازدادت الحاجـة إلـى قـول الصـدق بكلمـات منتقاة بحذر شديد/.. هذا الكلام للشـاعر (رفائيل ألبرتـي)، ليس وحده الشـاعر يتحمل مسؤولية التدهور الحاصـل، لا بـد مـن يقـوم بالتعضـيد، وتمهيـد المسـالك ، فتمـر قوافـل الكلمـات إلـى سـلة النسـيان، ويبقـى الشـعر مهمـا حصـل ويحصل يتوهج من مكان مكين أمين، يعرف أين مستقره ومقامـه، خلفـاء يتعـاقبون لحمل الأمانـة، وغالبـاً مـا نجدهم صـفوة متواضـعة نهـت الـنفس عـن بيـع مـاء الوجـه رغـم قسـوة الضـغوطات الحياتيـة، هـل يجـدر بنـا أن نصـف

قصيدة اليوم بأنها (لا وجدانية) كونها وليدة عملية قيصرية للغة من منطلق (الشعر هندسة كلمات)كما يقول أحدهم، وشعر اليوم مؤهل كونه لا يبالي بمقص الرقيب ليقص ما لا يتناسب أو ينسجم مع المساحة التصميمية للصفحة الثقافية، طالما النص بلا صورة ولن يحصل أي تشويه إن تم إزاحة شطور منه، فالشعر الواضح، أصيل النغم، متناسق الإيقاع، عربي الحسب والنسب، فراهيدي، سيّابي، خرج من معطف المعلقات، لا يمكن تمرير ذرة لحن فيه، والشعر (عروس) مهرها غالي، ومن يجد مؤهلاته لا تسمح بتجهيز جهاز العرس، عليه أن يرجأ مشروعه لوقت مناسب قبل أن تبتلعه مراكب الموجات البائسة.

* * *

** مقدمة في الشعر/ جاكوب كرج/ ترجمة: رياض عبد الواحد/الموسوعة الثقافية(**5**) دار الشؤون الثقافية العامة ط **1** (**2004**).

حين يفضح النقد أسرار السرد..

في كتاب (أحزان صائغ الحكايات)

على ما يبدو..

صدور أي كتاب يستغور سيرة إبداع (كاتب) في ظل مرحلة الغليان السياسي، فيه شيء من عدم الإيفاء بالدين، أو أشبه بلوحة غير مكتملة فنياً، طالما تخضع الأقلام لسلطة الرقابة الشخصية من جهة، ومن جهة حساسية وجود تابوات ترفض كل كلام غير واضح التفسير، ومن الكتب التي سبقت الموعد المقرر للاعتبارات أعلاه (أحزان صائغ الحكايات) ..تحرير وتقديم الدكتور فاضل عبود التميمي/دار الشؤون الثقافية العامة - **2002**/ وهي وقائع ندوة (احمد خلف مبدعاً).. أقامتها/كلية اليرموك الجامعة/في (محافظة ديالى) بمناسبة إقرار مجموعته القصصية (تيمور الحزين) ..مادة دراسية لسنتين.

ثمة سؤال يلح.. هل أفلح من ساهم في متن الكتاب قول ما رصده خلال تجوالاته التلصصية عبر النصوص..!! ومن خلال القراءة نتلمس الحساسية التي أشتغل في ظلها الدارسون، فهم رغم كل شيء قالوا ما

أنقذهم من مقصلة الواقع السياسي، مع إيجاد بدائل تأويليه لتمرير ما ظل مسكوتاً عنه، والقاص (احمد خلف) يكاد ينفرد بأسلوب متماسك، هو مزاوجة الخيال المنحدر من حكايات (ألف ليلة وليلة) مع الواقع ــ العراقي ــ المتلون، والسوداوية المتأهبة للانقضاض وافتراس كل حلم إنساني آيل للتحقيق، لقد أشتغل وبدراية على مرجعيات قلقة بعضها خنقت بغية إقصاءها من الواجهة الحياتية لما فيها من مرموزات ومداليل تحسس الوعي الجمعي، وتدلق ما يجري وراء الكواليس من تعسف وغدر وإلغاء لمكونات المجتمع، بعضها تم تقشيرها وتأهيلها لتغازل أصحاب السيادة بشكل مرموز أو عن طريق غير مباشر، هذه المكونات دفعت القاص أن يؤسس فضاءً سردياً فيه كثافة الغموض تساوي كمية الحقيقة الراهنة، وجد الحفر في جسد تاريخنا العليل، هي عملية تطهيره من الملابسات والتشوهات المتلاحقة، وتكمن أستاذية القاص في ثلاثيته القصصية / صراخ في علبة ـ خريف البلدة ـ تيمور الحزين/تتحد الشخصيات وتتداخل الفضاءات وتتلاقح الأحداث لتشكل معاً منجزاً تضاهي ثلاثية روائية، في معظم قصصه تتوازن شاعرية الماضي رغم التضليل المتواصل، مع الواقعية الكافكوية، وهذا ناجم من المرحلة المعيشة للكاتب، كونها كانت مرحلة تأسيس ما بعد الريفية، وتبدلات في الواقع السياسي، وغزو لتيارات فلسفية كـ (الوجودية) والانفتاح الثقافي جراء تنشيط دور النشر وازدهار الترجمة من اللغات العالمية، لم يهمل القاص الجوانب المنمقة في اللغة، ظل يمهد الدرب لتمرير السجع

والتورية في أماكنها بقصدية السخرية والتهكمية لحالات الخرق الحاصل على أرض الواقع اليومي للإنسان، تبحث معظم الدراسات في (تيمور الحزين) القصة، ألاّ دراسة واحدة اقتنصت رواية (الخراب الجميل)، ثمة دراسات جاءت كبانوراما حول سيرة إبداع الكاتب، وهذه إشارة لعفوية الندوة وعدم التكليفية أو التوجيهية التي تسود الكثير من الندوات الجامعية.

* * *

يوجز المحرر التقديم فسحاً للمجال كي يعبّر كل دارس ما وجده في قراءاته لـ(احمد خلف)، يقدم القاص شهادته (رؤيا القص) يستعرض عذابات الكتابة، وأسرارها الساحرة، وتلك المرارة المرافقة للبحث عن شكل يواكب انتقالات الذائقة، ويؤطر المضامين.

في دراسة (سعد محمد رحيم)/أفق المعرفة ومأزق الوجود/ينتبه الكاتب لفاصل حيوي ومؤرق يسربل شخصيات القاص، أنه هم ثقيل، هم المعرفة، أنهم يعرفون كل شيء ولديهم الجرأة المناسبة والملائمة، ويعرفون أي الطرق يستوعب ما يجهرون القول به، أو ما يودون التصريح علناً به، وهناك فواصل تعبيرية تدل على حسن إدارة آلية القص ودربته وإيجاد الثغرات لتمرير المسكوت عنه، وبطرق ملغزة، أن الهم المعرفي للشخصيات دليل وعي الكاتب ونظرته الاحتجاجية، وما لجوءه إلى (الكلاب) إلاّ إشارة إلى عيون السلطة الوقحة وهي تتلصص على حملة المعرفة، وهذه الدراسة تحيلنا إلى ماقاله (سقراط)/كل نفس بشرية تكنز معرفة

بالأشياء جميعاً وما الأمر إلاّ معرفة كيفية إخراج تلك المعرفة/.

يرصد محرر الكتاب (الدكتور فاضل عبود التميمي) في دراسته (بنية الحدث في تيمور الحزين) إبداعية القاص وبراعته في خلق قصة (تيمور الحزين)، يراها (مجموعة قصص) تتشكل معاً لبناء نص حداثوي مؤهل للريادة، ومن خلاله تمكن القاص من تمرير ما أراد تمريره من إدانة ووجهات نظره بخصوص ما يجري في الراهن المعيش، ونجح في تضمين القصة بما هو مكمّل أو ما يثريها عبر انساق سردية متنوعة ومتراكبة،

إلى ذات الاتجاه يبحر الناقد والباحث (قيس كاظم الجنابي) في بحثه الموسوم/البنية الشذرية في تيمور الحزين/مؤكداً أن القصص تشبه إلى حدٍ ما شذرات تحوم حول بؤرة مركزية بطريقة (صورية) ويرجع هذا الأسلوب إلى الأساليب العربية القديمة، ولكن بطريقة عصرية حداثوية متقنة من حيث السرد والتناسق.

الناقد (قاسم محمد عباس) يكتشف عبر بحثه/من التاريخ إلى المخيلة/أن القاص جاوز الواقعية من خلال خياله الثر، وتمكن أن يحوم حول (ألف ليلة وليلة) وصهر الحكايات عبر وسيلة تدمير التقنيات السردية وتركيزها نحو بؤرة مقصودة، وملغومة لتسهيل آلية تمرير ما يمكن تمريره من أشياء لا يمكن السكوت عنها، ومستوضحاً الصلة الوثيقة للقاص بالزمن، الماضي بالحاضر، والحاضر المدمر، وكان التاريخ حاضنة لإنضاج قصصه.

الناقد والروائي (عباس لطيف) في دراسته/النسق

السردي والدلالي في قصص - أحمد خلف - / يرى أن الواقع له صلة بإنتاج المبدعين، كون الخطاب الجمالي يماشي الواقع، يزاحمه ويتعالى عليه، ويرصد أقوال كثيرة قالها كتّاب، كانت تنبؤية وهي التي ولّدت فكرة الحداثة، وجراء الظروف الراهنة أندفع الكاتب لإيجاد خطاباً مؤهلاً لحمل أفكاره، وأن (تيمور الحزين) اخترقت الواقع ووصلت إلى بؤرة الأشياء عبر تهديم بنيان النص، إعادة تأهيله أو تشكيله مع خلق مفاصل درامية حيوية مشحونة بتفسيرات تأويليه متواصلة.

يرى (عباس اليوسفي) في قراءته العميقة لقصص (أحمد خلف)/التغرب عن المحيط في - تيمور الحزين/أن القصص تشبه إلى حدٍ ما، ما ذهب إليه (قيس الجنابي) حبات مسبحة يربطها خيط واحد، ويقترح قراءة جديدة وضرورة العودة إلى المنجز القصصي للقاص كي تأتي الدراسات وافية، يشير إلى أن القصص تنتمي إلى [محيط جغرافي – مكاني – ومحيط بشري] ويشطر الأول إلى [مكاني قلق ومستقر] أما البشري يراه [دلالات مباشرة وتبادل دلالات] وهي أسباب تغرب شخصيات القاص في منجزه أنف الذكر.

في/مستويات السرد بين التراث والمعاصرة، النص في بعديه الأسطوري والواقعي/بحث الناقد (سليمان البكري) حالة مكاشفة الشخصيات لأنفسهم وسط الأزمات، كونهم في – حيرة – أنهم يغامرون من أجل الحلول المناسبة للخروج من - حيرتهم - في واقع يبيح لهم قول ما يسكنهم أو يؤرقهم، ويرصد الباحث ثنائيات متوازنة ما بين فواصل تاريخية تليدة تقابلها فواصل

واقعية خانقة.

الدكتور (حسين سرمك حسن) يأخذنا صوب الجوانب النفسية لدى شخصيات القاص في دراسته المهمة/القرين المعادي، معالجة موضوعة القرين في الأدب القصصي للقاص ــ أحمد خلف ــ/ يؤكد أن الإنسان محكوم سلفاً ومربوط بقوة داخلية تسايره أحياناً وتارة تخاصمه، صراع أزلي بين الإنسان و ـ أنا ـ ه، أنه الهوس والتردد، وهذه الخصلة تتغلغل في بنية القصص وتتلبس الشخصيات لخلق أجواء كابوسية تتصارع جرائها للخروج من المآزق.

يقترح الأستاذ (سعد مطر عبود) في بحثه الموسوم/قراءة نفسية وفلسفية لمجموعة ــ تيمور الحزين ـ/أن الإنسان محكوم فطرياً بصراعين [الوعي ـ اللاوعي] صراع يستغله القاص بحكمة، فالشخصيات محكومة بالنكوص، وتجد أمامها فرص هي من عنديات القاص يمنحها لهم بغية إنقاذ أنفسهم من المزالق، وهي بطبيعة الحال فرص للآخرين يمررها عبر التشفيرات السردية ، كون القصة عند (أحمد خلف) غاية، ووسيلة اتصال غير مباشر، ورسالة معرفية.

/تيمور الحزين ـ والبحث عن جذور الاستلاب/ عنوان دراسة (سعدي عوض الزيدي) والتي تؤشر أن الشخصيات تعاني من استلاب، وهذا الاستلاب ليس بالضرورة نتاج البون الشاسع ما بين القوة والضعف، ويرى أن الضعف أحياناً ينتج استلاب جراء الآخر، ويوعز لخيال القاص البراعة في إعادة رسم التاريخ المشوه أو الغامض، وبشكل يلائم الواقع ويسايره وأن ـ تيمور الحزين ـ ضحية استلاب، لأنه أسير أحلامه.

القاص الروائي (جاسم عاصي) يشرح وبإسهاب في بحثه/ الحكاية في النص، الأنساق والمعاني/كيفية تحريك الماضي بإطار معاصر، مع الاحتفاظ بالمدلولات والحرص في تحديث السرد بغية إنتاج نص دائم التأويل، وما تم توظيفه في ـ تيمور الحزين ـ استلهام بارع للماضي من خلال إثارة الحزن كشرارة لخلق الجو القصصي المشحون، كما لا يغفل ما ذهب إليه (سليمان البكري) بخصوص الثنائيات ويؤكد دلالية اللغة، التداخل الزمني والشخصيات بآلية محكمة، يركز الباحث في بحثه حول تبئير النص وجعله القاص المركز، بؤرة تهرع إليها الروافد لتكملة البناء الفني للقصص.

خلافاً لمعظم البحوث ومحور الندوة، تقدم الدكتورة (فاطمة عيسى عبود) /الحوارات في رواية ـ الخراب الجميل ـ بين التنظير والتطبيق/وهو بحث جميل تتناول فيه الباحثة الفقرات المكملة لقيافة النص، وترى الحوار في الرواية، وسيلة تعبير وتحليل ومن خلاله بالإمكان استشراف حدود الشخصيات والتعرف على حدود طبائعها وعواطفها، كما أن الحوار من العناصر المغرية والجاذبة لإشراك القارئ وتفاعله مع الشخصيات، فالقاص كما تشير تمكن من خلق لغة وسط أثرت ودفعت الرواية إلى الأمام، تقسم الحوار إلى [حوار خارجي ـ حوار داخلي (باطني أو ذاتي) ـ لغة حوارات].

للناقدة الدكتورة (نادية غازي العزاوي) رؤية منهجية في قصص (أحمد خلف) فهي تؤشر في ورقتها النقدية/خمسة مداخل إلى تجربة ـ أحمد خلف ـ/والمداخل الخمسة كما تراها هي [ألف ليلة وليلة (كمرجعيات) ـ

تدريب النفس على صياغة الحكاية، والاعتماد على حيل وألاعيب كتاب الليالي ـ اليوميات ـ لصوصيته في مراقبة الواقع ـ ومحاولاته التجريبية في التحديث].

يعرج الدكتور (سعد إبراهيم عبد المجيد) صوب/الخواتيم القصصية بين الوصف والتأويل/ليبحث في موضوعة الصراع الأزلي بين الشر/الخير، ويجد أن لغة القاص حاكت الزمن بتفاعلاته وحيويته، وكان القاص يمتلك المؤهلات والرغبة في (الكتابة الجديدة) كما يلتقط النهايات المأساوية للشخصيات، وان الموت هو الفيصل، وأن هذا الموت يراه من منظارين، موت مادي/موت معنوي، ويجد أن القاص يستخدم مفردة (نصف) بتكرارٍ مستمر، ولنا وجهة نظر في ذلك، فالقاص وقف بين صراعين، الماضي بترهله والحاضر بملامحه الضبابية، بين جيلين، جيل متهم بالتقليد والواقعية المترهلة، وجيل يجابه غزو الفكر الوجودي وصراع الأيديولوجيات، هذا الوقوف جعل القاص أن يتمهل ويرسم مساراً ـ كحل وسط ـ (ليقول ما لا يمكن قوله بطريقة أخرى) كما يذهب (تودوروف).

يقدم الشاعر(محمد درويش علي)/الذاكرة تقترح تحولاتها/عرض بانورامي في سيرة القاص وإنسانيته المكافحة، وحرصه لخلق نص جديد يخترق الزمن ويحمل هموم الناس.

نجد أن هناك الجيل الشاب له دور في ملاحقة المنجز الأدبي رغم الواقع المريض والمثقل بالغموض، يقدم (محمد عبد الله كاظم) وهو طالب جامعي، ورقة نقدية/البنية الفنية في مجموعة تيمور الحزين/يرسم

فيها الأطر المنهجية لصناعة القصص.

أما الناقد (ماجد القيسي) يختار قصة واحدة، ويبني دراسته النفسية/ رجل فوق الاحتمال ـ الدلالات النفسية في البنية الاستهلالية ـ قراءة تأويلية/وهي سياحة فكرية داخل خيال القاص لحظة الكتابة، ويرى أن الدوافع الإنسانية غريزية، وهي شهوات تندفع لحظة الإثارة أو الأزمة وهذا ما دفع (فرويد) يغوص عميقاً في دراساته التحليلية.

في/سعة الخيال القصصي في ـ تيمور الحزين ـ/يوضح الدكتور (كريم أحمد جواد) كيفية تطويع الصراعات والمعانات الواقعية لصالح السرد القصصي، وهذا ناجم عن ثقافة موسوعية ومخيال حساس يعرف كيف يخترق الواقع ويناقضه عن دراية وقصدية.

تأتي/صدق التجربة فناً ومضموناً في قصة ـ تيمور الحزين ـ/للدكتور (حسن يحى الخفاجي) خاتمة لرحلة قد لا تكون الحاضنة التي لملمت أشلاء المضامين المتناثرة لـ(أحمد خلف) في قصصه، جراء ملغومية الوضع، البحث الأخير يشير إلى إمكانية القاص في استشفاف دواخل شخصياته واستلهام الماضي وصهره لصالح القص.

ثمة إشارات لابد منها، فكل ما قيل سابقاً بحق المبدعين من قبل النقاد، لم ينجو من الإغفال المتعمد للجوانب الحساسة والشفرات الاحتجاجية في نصوصهم، وأن الأدب (العراقي) يقترح إعادة النظر فيه لفرزنة ما هو جاد وأصيل وفاعل عمّا هو عابر، وأن (أحمد خلف) صاحب القول المشهور (نبيع الكتب ولا نرحل)، صرخة

احتجاج، وتحدي، وعدم ولاء، ورسالة لمن غادر البلاد وراح يرفع عقيرته، ناثراً اتهاماته على أدب الداخل الأصيل ..!!

* * *

** (أحزان صائغ الحكايات) ــ دراسات في أدب القاص والروائي (أحمد خلف) تقديم .د .فاضل عبود التميمي/دار الشؤون الثقافية العامة - (**2002**) ..

* * *

سيرة مبدع بقلم مبدع..

**

{البناء الدرامي في مسرح (محيي الدين زنكنه) ..}

بتوقيع قلم حريص ودؤوب، يتلمس الناقد والكاتب المسرحي (صباح الأنبا ري) خطوات كبير راهن المسرح

العراقي، الراحل، (محيي الدين زنكنه) ..ساهرا بتواجد خلوص في قلب الحدث، مما تشكلت لديه بانوراما متكاملة، تضاهي قراءتها متعة (نص إبداعي موضوع) ..

الكتاب [البناء الدرامي في مسرح (محيي الدين زنكنه)] من إصدارات دار الشؤون الثقافية /**2002**] جاء كتتويج لرحلة كاتب خاض أشواطا محفوفة بالمطبات، خلال مسيرته الأدبية، كونه (كردي).. لا منتمي لتوجهات السلطات المتعاقبة، قدر انتماؤه للإنسان الكادح وهو يلاوي الظروف وتجلياها، أضطر للجوء إلى وسائل مراوغة لتحرير قيامة الأشياء المرصودة، والتي باتت تؤرقه ، عبر نصوص مسرحية حفلت بالعديد من الأسئلة، لقد أتخذ الكاتب أسماء مستعارة كي يخترق الفضاء المصادر من قبل عيون تطارد أصحاب الآراء الخطرة، وعرف كيف يمرر الأشياء دون اللجوء إلى (جواز سفر)..كي ينثر آراءه للريح.

الباحث (صباح الأنباري).. ليس بالاسم الطارئ على إجناسية الأدب المسرحي (العراقي)، له باع طويل وخبرة في هذا المعمل الأدبي، من مسرحيات ودراسات عالجت مختلف الأجناس الأدبية من [شعر.. قصة.. رواية.. مسرح.. تشكيل..]، نكتشف من خلال القراءة، رؤية نقدية صريحة، يوظف الكاتب أسلوباً شيقا ومختزلا، دون اللجوء إلى لف ودوران، أو إجبار المتلقي، الاستعانة بذاكرته لتأويل الآراء المطروحة، فالكتاب وقفة (شاهد) و(مترصد) تابع دقائق الأمور أولاً بأوّل، ووقف على باب أسرار الكتاب، وتمكن كشف

الكثير من الألغاز والأحجية والتي أتخذها (زنكنه).. نقاط انطلاق أو حاضنة لتفجير الحقائق، لقد كان (الأنباري).. مؤهلا لذلك، كونه يرتبط بوشائج حميمة تفوق من حيث المقارنة، علاقة الأخ بأخيه، تقترب مشاربهم الفكرية، وتوجهاتهم التحديثية في مجال المسرح الهادف، لقد خزن (الأنباري) ..رصيداً ممتازاً من المعلومات، قبل أن يخوض في معمعان هذه السياحة (الترفيهنقدية)، نقل لنا إرهاصات الكاتب ومنابع تكوينه الإبداعي، فـ(زنكنه)..كاتب مثابر، دؤوب لا يكاد يلتقط أنفاسه من هول ما يسكنه من عذابات الموهبة، مثل نهر يجري، لا يهمه أين مصبه، يواصل ضخ النصوص، دون أن ينحدر من خط سيره، وهو يدرك أن الزبد سيذهب جفاء، والأيام لا تتنازل عن المصابيح المتوهجة طالما هناك من تؤهله الأقدار لغربلة التراكمات والتركات الوجدانية للبشر، وقد يكون هذا المنتخب الموعود، مجايلاً أو سيأتي فيما بعد، مهمته استخلاص الشوائب، وإعادة القناديل إلى الواجهة، نجد من خلال العرض التحليلي، أن الكاتب ليس من الصنف الذي يحبذ الإشاعات، ومروّج إعلانات لنصوصه، فهو يدرك حدود عمله الأخلاقي ومتطلبات البيت المسرحي، بيت لصناعة الحياة، بيت لاستشفاف الحلول لأسئلة الوجود، يتسلل الباحث ليستشرف الينابيع الصافية، كونها منبع الإحالات ومنبت البوادر والعلامات المؤدية إلى التفرد والشأنية في قوادم السنين، من الطفولة حيث نقطة الانطلاق ومخزن المرجعيات يبدأ الباحث، لأنه يريد الوصول إلى المكونات، كونه يكتب عن تاريخ موهبة، وجدت نفسها محاصرة من لدن

أباطرة الظلام، نجد هناك ثنية من الأرض أو بالأحرى.. (كاور باغي).. مكان بزوغ الكائن الحالم، والذي سينتظر أكثر من نصف قرن كي ينطلق قلم (صباح الأنباري).. ليضعه كاملا مكملا أمام الدارسين والباحثين عن أسرار المبدعين الكبار، لقد ولد في زمن عجيب ، زمن ساد فيه الظلام وراح يبتلع المسحوقين، هكذا هي لعبة الحياة، وسط كل طوفان ثمة سفينة قادمة للنجاة، ومثل كل الأطفال رسم في أفق براءته باقة أحلام سعيدة، وهي وسيلة تؤكد بأنه يمتلك شخصية طموحة، أحلام راودته لم تجتز حدود الرغبة، رغبة أي إنسان يولد في قرية، وفي فترة مظلمة تتقاتل فيها وتتنافس الديناصورات البشرية حول سحق الحياة، وربما لم يرغب سوى بيت من طين، وزوجة جميلة، ليجلس بين الرجال ويطرح كلامه ليستمتع حين يجدهم له (يصغون)، الآن يدرك طبعا، أنه كان يفتح النوافذ في ذاكرته أمام عواصف الزمن، كي تلتجئ لتختبئ وتقيم دولة الإبداع المؤجلة، لقد سهر كثيرا قبل أن يجهر بثورته، ثورة فكر، سلاحه قلم، مداده دمع الإنسانية المعذبة، جيشه خطابات كاذبة لساسة ضحكوا على الناس كثيراً، قبل أن تبتلعهم مزابل التاريخ، يتوغل الباحث إلى حيث الذاكرة، كونها المنهل الذي أتى بكل هذا السيل المتنامي من النصوص/قصص.. روايات.. مسرحيات../ يلتقط(**8**) مسرحيات بعد مسح شامل، ورسم ملامح الخطوط البيانية لخط التطور لها، ولنا أن نوضح جانباً مهماً من الجوانب الحيوية، فالكاتب المبدع يشبه إلى حد ما، قنديل متوهج طالما يتصف بمصداقية التعامل مع فنه، فحياته ليست عادية كما يرى البعض، بل حياة تنصهر

وتنمو، لأنه حقيبة أجوبة لأسئلة الوجود، والكتاب استقبلته رفوف المكتبات وأستبشر به النقُّاد كونه (غير مسبوق) في هذا المضمار، ولكي نعطي كل ذي حق حقه، لابد أن نشير إلى جهد الباحث، الذي زامل الكاتب كما لو أنه (كاميرا خفية).. فهو يدرك جيدا أن التعامل مع المبدعين يقترح استنفار الذاكرة، والقدرة على اختراق الممكنات والغوامض، لأن الكاتب غالبا ما يتوارى وراء نصوصه، ويعلم أيضاً أن مهمة الناقد لا تقل شأوا عن مهمة المبدع، فالأخير ينثر بوجه الزمن قناديله وعلى النقّاد أن يملئوها بالزيت كي تتوهج وتنير دروب الأجيال اللاحقة.

(البناء الدرامي..).. رحلة بحث وتحليل، يستحضر الباحث تراكماته المعرفية، قاسياً أحياناً، لأن التعامل مع الكبار كالتحقيق (بلا تشبيه).. مع أرباب السوابق، لعمري أن المهمة متوازنة، طالما الجهد المبذول، عملية فرزنة [الألماس] من [النحاس]، لقد أستوضح الكثير مما يحسب ليس لصالح السلطة المنقرضة، بل لخانة الغضب والاحتجاج، رغم تواجده وسط حقول الألغام، وكما أجتاز (الأنباري).. (بصامتية).. مسرحياته حدود الإبداع، تمكن أن يقدّم وجبة بانورامية دسمة، وتمكن أيضا من اجتياز الحدود الخطرة بأسلوبه الشيق، فدفن الرصاصات الصائبة تحت غطاء الرومانسية، فتعذر على (قاتلوا الكلمات).. الاهتداء إلى الغايات المدفونة من قبل الكاتب، كان عليه أن يحرر الأسرار من مخابئها، فهو أمام مسؤولية كبيرة، لأنه يضع مبدعاً في ميزان الحقيقة، لقد كان (زنكنه).. كشّافا ماهرا وصانعاً لتراجيديات معاصرة، وجد الحل الأنسب هو سربلة أفكاره بألغاز وأحجية طالما

الـزمن الآنـي هـو زمـن المراوغـات والدسـائس وتغيـر الملامـح، لابـد مـن أسـلحة موازنـة كـي يستسـهل عمليـة الاختـراق، لـيس ذلـك فحسـب بـل اللجـوء إلـى الأقنعـة والتعكـز علـى مثابـات الماضـي يزيـد مـن صـلابة الـنص وفاعليتـه، يشـير الباحـث إلـى ذلـك، [(ألـف ليلـة وليلـة).. مسـرحية (السـؤال)../ (المـوروث الكـردي).. مسـرحية (كـاوه دلـدار)../ (التـاريخ القـديم لمملكـة (ميـديا).. مسرحية (رؤيـا الملك)] نلاحظ أن الكاتب يوجـه عدساته التقدية صوب كل ينبوع مؤهل لخدمة فكرتـه، وهذا يدل على كاملية أوصافه، ووعيه الحريص على تأهيل نفسه لمجابهة أقزام صنميُّة تلهث لدحر الإنسانية، ومن خلال قراءة مسرحيات الكاتب، نصطدم بغرابة محيرة، إذ ليس هنـاك تعقيداً أو البحـث عـن وسـائل تأويليـة، كـل شـيء يطرحه بوضوح، الشخوص هم ثوريون أصحاب نظريات مجابهـة، وصـراعاتهم تعبـر حـدود فكـرة المؤلـف أو المخرج، أنهم لسان حال الإنسان الرافض والباحث عن الحرية، ليس طبعا حرية الذات، بل حرية المجتمع، أننا إزاء حالـة تتطلـب المدارسـة، هـي طريقـة اختـراق التابوهات واجتياز الحواجز الخانقة للأحلام والتطلعات باتجـاه أفـق أوسـع، مـن قبـل هـذه الكوكبـة الطليعيـة، والنخبـة المتعاليـة فـي مدرسـة الإبـداع المسـرحي، يبحـر الباحث صوب الطفولـة، إلـى أرض البدايات والتمخضات الأوليـة لبـراكين الإبـداع، فـي زمـن عصـيب ولـد، زمـن يـرزح تحـت أعبـاء الرعويـة وسـلطوية الأب، ناهيك عن الجهل المتفشي والجوع ، يؤشر الباحث أهم الملامح في كيفيـة تمكن الكاتـب من تجـاوز الشـرنقة البدائيـة، وقفزاتـه

العقلانيـة باتجـاه المحـيط دون أن يتعثـر أو تأخـذه نـزوة حـاكم جـائر، يشـير أيضـاً إلـى المعـاني السـامية فـي مجمـل إبداعاتـه، ويفـرزن الخصـائص المشـتركة فـي [قصصـه.. رواياتـه.. مسـرحياته..]، يضـعنا أمـام نقطـة لافتـة للنظـر، فالكاتـب مسـهباً فـي حواراتـه، حتـى ليخـال أن مسـرحياته تشبه إن جاز التعبير (مسرحيات قصصية) ..وأن قصصـه القصـيرة (قصـص مسـرحية).. يعـزو ذلـك، إلـى تركيـز الكاتـب علـى الـدراما، ممـا يفسـح للشـخوص مجـالا أوسـع لحريـة التعبيـر، فتحـرروا مـن إستحضـاراته التمهيديـة، ليكونـوا لسـان حـال الجميـع، رغـم أنهـم يـدركون مسـبقاً أن فـرص الهزيمـة قائمـة، لكـنهم يغـامرون، هـذه الإسـهابات الحوارية تخلص منهـا (زنكنـه).. خصوصـا فـي مسـرحيته (الخـاتم).. والتـي نشـرتها (جريـدة الزمـان) ..متسلسـلة، أوصـلها الكاتـب إلـى مرحلـة متقدمـة بـين النصـوص المعاصرة بعد أن كنس (زمهرير الحرية).. (حجاجيج).. العصر الورقي.

[حسـن إدارة الحـوارات. الاقتضـاب.. غائيـة الحـدث.. الإيقـاع المتنـامي.. عناصـر المفاجـأة] اجتمعـت المفاصـل لتكون تجريباً أخر باتجاه الإبداع المسرحي، يحلل الباحث مسـرحية (الجـراد).. ويشـير إلـى أنهـا كانـت (قصـة قصـيرة).. قبـل أن يخضـعها إلـى نـص مسـرحي لافـت للانتبـاه، وهـي مسرحية مقصـودة، أراد الكاتـب أن يجعلهـا المقـارن الـواقعي لمـا يحصـل علـى أرض الواقـع، فغـزو الجـراد لقريـة آمنـة يعنـي الكثيـر فـي الخطـاب المسـرحي، فـالعيون المتربصـة والوشـاة وأصـحاب الأطمـاع الشخصـية، أنهـا إحـالات لمـا يجـري، لا يمكـن لأرض أن

تُستلب ما لم يكن هناك تمهيد ودسائس تنمو خلف الكواليس، لقد كانت (نبوءة).. وحصل ما تنبأ به، هذه المسرحية والتي ما تزال تشكل (حجر الأساس) لانطلاقة الكاتب، نالت ما نالت من شهادات وتقديرات ودراسات، تضعنا أمام مسؤولية العمل الأدبي، فالمبدع هو من يقرأ الحياة ويستخلص الجوانب المغموطة وأسرارها وإيجاد الحلول والأجوبة للأسئلة الشائكة، والمبدع يستخدم (الحاسة السادسة).. حين تؤرقه حالة إنسانية معتبرة، كونه النول والرحى، سيتهافت أليه الجائعون إلى المآثر والعبر.

(البناء الدرامي..)..كما -يشير الباحث – دعامة أولى، كونه (جزء من جزأين).. ارتأى عزلهما لضخامته، ومن جهة أخرى لم يحبذ الاصطدام بالجدران اللا..أبالية من رؤوس تعطي صكوك النشر حسب العلاقات والتوصيات المركزية، قسُّم كتابه (السهل والجبل).. إلى كتابين، وأتخذ المسرحيات رغم عروجه الإجباري صوب إبداعاته القصصية والروائية لوجود خصائص مشتركة كما أشرنا، من لا يكتوي بنيران الحياة ولم يتجرع علقم المآسي لا يمكن أن يعد هكذا طبخات أدبية، مضافا أليهما ثقافة رصينة، زائدا موهبة وحرص ونكران الذات وأقصى حدود الجرأة، فمن لم يغامر ليس بوسعه الإتيان بشيء عجُّاب، لقد أجتاز الكاتب المزالق والمهاوي وحصد الجوائز وأثار العديد من الجدل والنقاشات، ورفض الكثير من النقاد من باب الالتزام الإنساني، أن يخرج الجواهر الحساسة وما كان تضمينًا لما يجري على أرض الواقع، وتمكن الكتّاب أن يفصحوا بكلمات

ملغزة، قوة الخطاب وبلاغته، رغم أن جملة واحدة تكفي لإدانتهم وإرسالهم إلى غياهب السجون وأوتاد المشانق، أو إجبارهم على الفرار إلى المنافي، ومن حسن أخلاق المبدع، عدم الجهر بما ينتج، كونه يتصف بصفة التواضع، فالباحث يصرح في المستهل، عدم لجوءه لمنهج واحد يقوِّض من فرص حريته في التعبير، بل سمح لسجيته السياحة المفتوحة، وحرر مجساته النقدية، واستعان ببصيرته كي يبني عمارته، تداخلت عنده المناهج وإنثالت ذاكرته لتسيح في رحلة ممتعة ومتعبة، رغم اليقظة والاحتراس كونه يكتب عن كاتب لم يساير (السلطان) في سياساته الهمجية، وهناك وفرة من الحقائق لا يمكن إغفالها، فحملة الأفكار لهم شفراتهم السرية، يستوجب الإقتداء بـ(نوح) لصنع سفينة، ودفن ما هو نافع ومناسب وفعَّال، تم تبويب الكتاب تبويباً سهل التناول، مما أصبح دليل اهتداء لمن يروم أن يتناول الكاتب في رسائل جامعية /مسالك ممهدة.. مرجعيات جاهزة.. صغائر أمور شخصية../ مع ملحق بانورامي جاء، (ببلوغرافيا)..أحتوى على مجمل نتاجات الكاتب، من نصوص إبداعية (مسرحيات.. قصص.. روايات) والدراسات التي تناولتها، أماكن وتواريخ النشر.

يعلن الباحث اعتذاره عن عدم أجادته اللغة الكردية لملاحقة ما كتب عنه وما ترجم له، ومن الإشارات المهمة يؤشر الباحث سر إيداع (الحرية).. من قبل الكاتب عند شخوصه: يقول [لقد حرم (زنكنه).. منذ طفولته من حرية التعبير عن ذاته بسبب ظروف ذاتية وموضوعية، فمنح تلك الحرية لشخوص قصصه

ورواياتـه ومسـرحياته..]، حريـة التعبيـر لـدى الشـخوص واردة فـي الأدب، كل كاتـب ينتخـب مـا يوافق أفكـاره مـن شخصـية، يراهـا انعكاسـا لـه، يتخـذها (كـبش).. فـداء ويرسـلها إلـى معاركـه الكلماتيـة، فـ(زنكنـه) ..يعـي جيـدا ماقالــه (ه .ر.ف.كيتنــغ)../..أحــذر مــن الاعتمــاد علــى شخصية بعيدة جدا عن شخصيتك../.

(البنـاء الـدرامي..)..كتـاب جـاء لتكملـة شـكل المكتبـة المسـرحية، وأنـه بحـث مفتـتح لدراسـات لاحقـة ، فهنـاك كتُّـاب أخلصـوا للمهنـة ونزفـوا مـن أجـل قضـية الأدب المسرحي الجاد، استحالت نتاجاتهم إلـى دعامـات وركـائز حافظت على براعة المسرح العراقي في:

(ماضيه)..المتألق..

و(حاضره) ..الصامد..

و(مستقبله)..الأروع..!!

* * *

[البنـاء الـدرامي فـي مسـرح (محيـي الـدين زنكنـه)] دار الشؤون الثقافية العامة ـ صباح الأنباري ـ **2001.

أصل الكورد..
والبحث عن الهوية*

[أنـه يسـكن الأجـزاء الجبليـة جـنس مـن النـاس يسـمى الأكراد].. /الرحال ماركو بولو/.

* * *

فـي المسـتهل يستوضـح الباحـث (الـدكتور فـؤاد حمـه خورشيد) في كتابه.. (أصل الكورد) صغير الحجم ـ كبير المعنـى، أن الغايـة بالدرجـة الأسـاس مـن كتابـه هـي (سـد ثغرة مهمة في النقص الحاصل في المصادر التـي تتنـاول) الشـجرة التـي أنتجـت الأمـة الكورديـة، وهـي محاولـة لتبسـيط الأمـور وتوضـيح نقـاط الاخـتلاف فـي مرحلـة حاسمة في تاريخ الشعب الكوردي، لما آلت إليه الظروف والمتغيرات الراهنة، والتي بدأت تغير من ملامح مستقبل البشـر علـى وجـه البسـيطة بعـد سلسـلة حـروب عميـاء، دفعـت المجتمعـات الفقيـرة صـوب الهاويـة، والتهمـت مقدرات وموارد كانت كافية لأعمار الأرض مخلفة أجواء كارثيـة خنقـت شـعوب ضـعيفة وألغـتهم بعـد أن طمسـت حقـوقهم ومحـت تقاليـدهم التراثيـة والثقافيـة، علـى أيـدي طغـاة أرادوا تـدوير عجلـة الحيـاة وفق أمـزجتهم الشـوفينية

الرعناء، وخلاف ما سلف من جهود حريصة، أبحرت وبما تيسر من مصادر ودلائل للوصول إلى الجذر الذي نما وتفرع عبر عصور من الويلات، إلى توالد شعب ظلّ محافظاً على فاعليته الإنسانية وروحيته البسيطة ومكانه الجغرافي وتقاليده المميزة، رغم ديناصورات سياسية شرسة وتدخلات سافرة لإلغائه أو صهره داخل بوتقات النسيان، فالأمّة الكوردية ظلّت علامة فارقة وبارزة من بين الأمم، أمّة ظلّت بلا (هوية) تجيز لها السير جنباً إلى جنب وليس في الخطوط الخلفية في ركب الإنسانية، علماً أن هناك أمم لم تعط كما أعطت الأمة الكوردية من تضحيات أو تعرضت إلى هجمات بربرية وترحيل قسري، تلك الأمم تخلصت من مخالب الهيمنات الاستعمارية ونالت هويتها وحققت كياناتها المستقلة، أمّا الكورد بقوا يناضلون بلا كلل أو ملل، يحدوهم اليقين أن الغد سيشرق وأن شجرة الحرية لابد أن تنبثق طالما هناك دماء تسيل عبر تشعبات أرض الأجداد ، وغالباً ما كانت الدراسات والبحوث والتي أشرقت من أقلام مؤرخين من شتى اللغات مسهبة في الشرح، ومثقلة بالحوادث والتفاصيل الدقيقة، والتي تكمل بحق وحقيقة فقرات البحوث لكنها قد تشكل عبئاً على المتلقي، والذي أحوج ما يحتاجه الإيجاز وسرعة تلقي المعلومات ودقتها العلمية وأمانتها كونها شواهد إثباتات ومصابيح لتقرير المصير، لقد ضاع الكثير من الفرص للتركيز على الأصل الذي ظلّ بصيص ضوء ينير من مكان ظلّ كل باحث يحوم بالقرب منه بالكاد يدركه.

جاء الكتاب بثلاثة فصول، غير مكلفة في القراءة كون

طريقة تناول المضمون جاءت بكلمات مبسطة غنية لا تكلف الذاكرة عناء ربط الأمور، من السهولة بمكان الوصول إلى غاية الكتاب والغرض كون الدرب الذي عبّده الباحث، يسر المسلك للوصول إلى رقعة كانت في زمن ما من الرقع التي حفرت في ذاكرة الحضارات القديمة كيانها، بل سادت لفترة طويلة ودالت لها الشعوب المجاورة، تناول في الفصل الأول (أصل الكورد) جملة أسباب أدّت إلى حصول تغير لابد منه في التسمية قبل أن تستقر عجلة التاريخ على مفردة (كورد)..

أمّا الفصل الثاني جاء الباحث بشهادة غير قابلة النقاش كونه لجئ إلى التاريخاني اليوناني الشهير (هيرودوتس).. وضمّن بحثه بما دوّنه المؤرخ حول الإمبراطورية الميدية ـ الكوردية، وتناول سيّر وتفاصيل ملوكها الأربعة، وعزز بحثه بجداول ومشاهد لتبسيط وتسهيل إيصال المعلومات إلى القارئ فيما خص الجانب (الديموغرافي لسكان كوردستان ولغتهم) الفصل الثالث، رصد أهم المشكلات التي تواجههم وواجهتهم عبر السياسات الرعناء المتعاقبة عبر العصور..

* * *

(أصل الكورد) الجذور الأولى

ما من شك أن ما ذهب أليه الباحث بخصوص (الكوتيين) جاء في معظم الدراسات التي درست جذور الأمة الكوردية، ولم يختلف عليه باحث، فهم البذرة التي نبتت في أرض كوردستان الجنوبية، وكانوا كما تشير

البحوث أناس أقوياء كونهم يقطنون الجبال ويتحلون بمؤهلات حياتية مستمدة من الظروف المحيقة بهم، يؤكد لنا الباحث (كان الكوتيون آنذاك شعباً قوياً وكانت شهرتهم قد انتشرت بشكل واسع بين الشعوب القديمة المعاصرة لهم) وليس ثمة اختلاف حول الموقع الجغرافي لهم بين سائر الدراسات، كانوا يقطنون (بين الجبال الممتدة بين الزاب الصغير وجبال السليمانية) ، هؤلاء القوم خلدت عنهم التاريخ أنهم كانوا (منظمين ومتحالفين ينتخبون قائداً عسكرياً لفترة محددة ملكاً) وهذا دليل ساطع على أن الشعب الكوردي كان منذ الأزل ميّالاً للسلم محباً للقوانين ونابذاً للفوضى والتجاوزات على حقوق ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، ويرى الباحث أن كلمة (كورد) هي خلاصة تغيرات حتمتها التبدلات الجوهرية في واقع حال التجمعات معيشياً ومناخياً، والتطور المتنامي في التثقيف وطبيعة الحياة وتطور اللغة وأتساع درجة الوعي وانفتاح الأفق عبر الحاجة الماسة لتيسير الأمور، لقد تحول (كوتي إلى ـ كارداكا ـ ثم إلى ـ كورتي) قبل أن تستقر الكلمة على ما هو عليه في راهن عصرنا ـ كوردي ـ وما جاء به (بروثيرو) و(أرشاك سافرستيان) و(أحمد سوسة) و(مينورسكي) من بحوث موثوقة ـ كما يؤكد الباحث ـ كلها تصب في صالح القضية على أن الكورد هم النهر الذي أنحدر من شلال (الكوتيين) ، وهناك تاريخ يذكره على أن أقدم ذكر للكورد ورد قبل **5803** سنة..

* * *

الكوتيون ..حضارة الأجداد

يتساءل الباحث عن أصل الأجداد ـ الكوتيين ـ ومن أين قدموا.. ولا يجد سوى فرضيات تتعاقب كونها سنّة الحياة وتدرجها الديالكتيكي، لابد من رؤية منطقية وإمعان عقلاني في جيبولكتيك المكان، هناك شواخص وشواهد هي أرث حضارة قديمة قطنت المكان، وخلّفت ما كان بحوزتها من مكونات هي من بنات عقول أوجدت ما هو يديم عصرها ويسيّر عيشها، هناك حيث جبال (زاكروس) تنتشر الكهوف والسهول وهي الأمكنة المؤهلة لبناء التجمعات السكنية كون الأمن والقوت يجتمعان مع وفرة المطر، وإمكانية خزن المياه للفصول القاحلة، فالدراسات تشير إلى أن إنسان (النياندرتال) كان هناك قبل مائة ألف عام، في عصر الجليد أو ما أطلق عليه العصر (البلاستوسيني) هذه التفاصيل يردها الباحث لبيان قدم الكورد وتمسكه بمكانه، عكس الكثير من الشعوب التي تناثرت بفعل الغزوات والحروب والكوارث، قبل مائة ألف عام، وفي كهف (شانيدر) حيث جبال (برادوست) رقد ثمانية أشخاص وكان تاسعهم طفل، في ذلك الكهف يؤكد الباحث على أن (**2000**) جيل من أجيال (النياندرتال) سكنوا زهاء (**60**) ألف عام في مساحة تقدر بـ (**145**) متر مربع..

* * *

الكوتيون.. من البراءة إلى الحكمة

ما من زمن يتوقف وما من حياة تحافظ على

ديمومتها، فكل شيء آيل للتبدل، وكل ما هو جديد لابد من جديد يزيحه ويحل محله، يذهب الدكتور (فرست مرعي إسماعيل) في مقاله (مصادر تاريخ الكورد قبل الإسلام)** /لا يزال الغموض يكتنف أصل الكورد وتاريخهم القديم شأنه شأن المراحل الأخرى من تاريخهم الذي لم يدرس بعد دراسة علمية دقيقة/..لذلك ظلّت الهوية متعلقة برقبة الزمان، وظلّ كل غازي يروم تأسيس صرح هيبته، لا يدخر وسعاً من استحضار كافة السبل الكفيلة لطمس كل ما هو مصد أو عائق ينافس الوافد الدخيل لمكان لا يحابيه أو يتفق مع تكوينه الفسلجي، ربما يلح هنا سؤالاً:

- لم لم تتشكل الأمة الكوردية وهي تفرش تراثها على بساط حضارة تليدة..؟؟

وقد لا نذهب بعيداً بحثاً عن الأجوبة الحاسمة، كون التاريخ يوضح أطماع الساسة والتيارات الغازية حتى الدول المستأسدة على حساب الشعوب المتداعية، جراء الجهل والتناحرات القبلية، نجد أن الرؤى كلها اجتمعت على امتناع منح هذا الشعب هوية تجعلها نبتة داخل الجنينة الإنسانية، وكانوا يتحايلون تارة وطوراً يمنونهم بوعود زائفة، ولأن الكوردي لا يتعامل بغير الصدق، نجده يمنح غريمه أكبر قدر من الفرص كي يثوب إلى رشده أو يفي بوعده، ولكي نمنح مساحة لتشريح القضية الملحة والتي غالباً ما تتصادم حولها الآراء وتتداخل مصادر مسنودة بوثائق دامغة وأخرى ترتكز على حجج قد لا تكون متينة، علينا أن نعرج قليلاً إلى ما يقوله (آرنيست رينان) حول.. ما هيّ الأمة..؟؟*** (مفهوم الأمة مفهوم حديث لم

يعرفه الزمن القديم) وعلى حسب زعمه (الاعتبار الأتنوغرافي ـ العرقي ـ لم يكن له أي شأن في تكوين الأمم الحديثة) كذلك (الدين) فهو يراه عاجزاً لإنشاء جنسية حديثة، لأن الدين كما يقول (أصبح شأناً فردياً يخص ضمير كل واحد) وهذا يعني أن الأمم كلها وليدة متغيرات ومتطلبات حياتية تفرضها وتحدد هويّاتها سياسات تتعاقب، تلغي وتؤسس، وأن كل رقعة هي مؤهلة أن تغدو كياناً مستقلاً طالما هناك بشر وله جذر طامس في عمق المكان، وأن التاريخ الحديث أفرزت لنا كيانات كانت في يوم ما تحت أغلال العبودية، مثلما تفككت الأغلال السوفيتية وتحررت الشعوب لتزهو بحرياتها، لقد منح الخالق تعبيراً صادقاً وحيوياً حين وصف الناس (شعوباً وقبائل) للتعارف لا لالتهام البعض، أما لفظة أمّة منحها للخليل (إبراهيم)(ع) ، لقد أراد الله أن يحسم هذا الموضوع وأن كلمة أمة هي جذر إنساني بذرته (إبراهيم) (كان إبراهيم أمّة) وأغصانه كل مؤمن قانت ولا يحيد عن سكة الإنسانية، ولكي لا ننفلت من جادة القضية ونقع في فخ الترهل والمتاهة، نجد أن الكورد في يوم ما كانوا أصحاب أرض وإرادة من غير أطماع، ولم تتبدل طباعهم رغم التغير الهائل الذي عصف بأقوام متراصة ذابوا، ويمكننا أن نستثمر ما يقوله (دوكلاس لايتون) في بحثه الشيق (الكورد في التوراة والإنجيل)**** (الكورد مجموعة متميزة من الناس سيطرت على منطقة فسيحة هذه المنطقة مقسمة بين أمم مختلفة متعددة) هذا التجزيء أكان طوبوغرافياً أم حكماً أتخذ من لدن أقوام كانت تهاب هذا الشعب الذي تؤكد الدراسات التاريخية أنه كان مسالماً

ومنظمـاً، ونجـد أن أنبيـاء عاشـوا علـى أرضـهم (أرض كوردسـتان) (نـاحوم ويونـاه وهابـاكوك ودانيـال ونـوح) ولنـا الـدليل الـواقعي علـى بدايـة الحضـارة البشـرية الثانيـة علـى هـذه المنطقـة، ومـن نسـل (نـوح) بعـدما رسـت سـفينته علـى جبـل أرارات، يـذهب (لايتـون) أيضـاً (أن تـاريخ الكـورد الرائع يمتد آلافاً من السنين وأكثريـة هذا التـاريخ تم تسجيله فـي الكتـاب المقدس حـين كـان الكـورد يـدعون بالميـديين).. فهم كما جاء في (أصل الكورد) كانوا يعيشون ببراءة في الكهـوف مثـل كهـف (شـانيدر) حيـاة بدائيـة مشـاعية وهـي سـمات العصـر الحجـري، ويطلـق علـى تلـك المرحلـة بالحضـارة الموسـتيرية، وهـي بدايـة رحلـة الارتقـاء والنهـوض والوصـول إلـى الـراهن المتفاعـل وفـرض نفسـه ككيـان حيـوي وريـادي لـدفع عجلـة الإنسـانية باتجـاه الفطـرة والتآخي، وهناك دلائل تم العثور عليها في كهف (زرزي) والواقعـة جغرافيـاً شـمال غـرب (السـليمانية)، عبـارة عـن أدوات حجريـة ومكاشـط وبقايـا عظـام حيوانـات، تشـير إلـى أن الشعب آنذاك كـان فـي مرحلـة متقدمـة من حيث المعيشـة وتجميـع الغـذاء، وهـذه المرحلـة تسـمى بالحضـارة المجدلينية، وهي أرقى مرتبة من حضـارة العصـر الحجـري القديم، أو مـا يطلق عليهـا الباحـث (الأعلـى) وتمكـن الشعب أن يرقـي مـن مسـتواه المعيشـي، ويكيـف نفسـه علـى المتغيـرات الجيوغرافيـة ويحـافظ علـى نسـله مـن الانقـراض جـراء الكـوارث الطبيعيـة ووجـود التحـديات مـن الكواسـر والوحـوش السـائدة آنـذاك، لقـد تـم العثـور علـى آثـار إنتـاج الغـذاء البـدائي فـي الكهـوف، قبـل أن تصـل المرحلـة إلـى حضارة الزراعة، وتم العثور على حبوب متحجرة.

ويستشهد الباحث بقرى مثل (جرمو) قرب مدينة جمجمال، وقرية (كيانو) عند منابع نهر دجلة في كوردستان أيران، إضافة إلى وجود آثار حيوانات أليفة وتنور وهي من مستلزمات القرى الزراعية غير المترحلة، ومن هذه السياقات المتعاقبة تمكن الشعب الكوردي أن يواصل بقائه المكاني، ويفرض كيانه الزماني طالما وجد المؤهلات المعيشية من ملاذات آمنة كالكهوف ووسائل تؤمن العيش كالماء والأرض، وتمكن من الاستفادة من المياه المنسابة عبر الجبال جراء السيول وزراعة ما كان بحوزتهم من حبوب، ودفعهم التمسك بالمكان بعدما خرجوا من طور البراءة وصاروا يمتلكون الحكمة في تيسير حياتهم، ويصر الباحث على أن (الكوتيين) هم الأصل الذي ثبت في مكانه (كوردستان)..

* * *

في البدء لم يكن ميديا

على عاتق المؤرخ اليوناني (هيرودوتس) يلقي الكاتب الأرمني (أرشاك سافرستيان) مسؤولية إطلاق كلمة (ميديا) على الكوردي، لأن الكلمة مرادفة لمعنى الأرض أو البلد، ونتيجة التلاقح الحضاري ما بين البابليين والسومريين، تم إغفال الجذور التي نبتت المفردات والمصطلحات، وتم اعتبار الكلمة كياناً أو اسماً لشعب، ونقل (هيرودوتس) الاسم إلى أوربا وشاع، ويذهب الباحث إلى ما أطلقه قائد حملة العشرة آلاف (زينفون) على الكوردي، (كاردوخي)، ولم تخلو سلّة

العبرانيين من التوصيف وقالوا عنهم (كوردوئين) قبل أن يدلوا العرب بدلوهم ويقولوا (قاردا ثم أكراد) وفيما جاء إلى أن (سترابو) الذي كان أول من أشار إلى (الشعب الكوردي) في مقال بعنوان (كورديايا) في القرن الأول قبل الميلاد، ويذكر إلى أن (الكورديانز) (هم بناة مهرة) ونجد أن هذه الحقيقة ما تزال تسطع في ربوع كوردستان من توظيف الصخور لتأسيس المباني الحصينة وهي أيضاً دلالة على أصالة الشعب الكوردي، وتمسكه بتقاليد الأجداد، ويؤشر الباحث مصادر أخرى تسند أقدمية الكورد كما أشار (أردشير بابا كان) مؤسس الدولة (الساسانية عام **226**م) في كتاب باللغة البهلوية (كرد أو كردان) ويرى الدكتور (فؤاد) أن من قام بتحوير الأسم القديم (كوتي) إلى (كورد) كان (أردشير).. ومن المقاربات التي تؤكد (أصل الكورد) هو عدم وجود تباين في الصفات مابين ذلك الشعب الذي سكن كوردستان الماضي، وما يجري على ساحة الواقع الراهن، فالبسالة ومهارة البناء وحب السلام والتآخي والتمسك بالمكان ولو تطلب الأمر الذود بالغالي والنفيس، ما تزال حيوية وتسكن كل جسد كوردي، ولعل (اناباسس) للقائد اليوناني (زينفون) فيه الكثير من تلك المواقف المشرفة للكورد، وهم ينزلون أقسى الأهوال والخطوب بجيش قوامه عشرة آلاف متمرس، وما تحفظها الجداريات والنقوش الآشورية عن صفات الكوردي ماثلة حتى اللحظة الراهنة، من اللبس وطاقية الرأس ونوعية الحذاء والجلود التي يرتديها، وحين نسلط الضوء على رغبة المقاتل الكوردي في اختيار نوعية السلاح، وطرق

مواجهة العدو نجد هناك توافقاً مدهشاً مع ما كان الأجداد يستعينون بها لمواجهة الغازين، فالنبال الطويلة والأقواس الكبيرة تقابلها القناصة والبرنو ودحرجة الصخور على الجيش (الفارسي والزينفوني) دليل الوعي والعقل المتنور والإرادة الصلبة للذود عن الكيان، كما حصل في التاريخ الحديث، ومما لاشك أن الكورد هم الكوتيين وما أطلق عليهم (هيرودوتس) مجرد التباس تدويني جراء نقل من غير تمحيص في أصل الكلمة ..!!

* * *

الدولة الميدية.. من التأسيس إلى التلاشي

يمكننا أن نترك هذا الكتاب (أصل الكورد) جانباً واللجوء إلى مسرحية (رؤيا الملك)**** للكاتب القدير - محيي الدين زنكنة - وهو يمسرح ما جرى جراء حلم قاد مملكة إلى هلاك، ونجد أن الدسائس ترافق الملوك وما من ملك يهلك إلاّ من جراء أزاميل المقربين، يرفعونه أو يدحرجونه باتجاه الهاوية، وبطبيعة الحال أن الخيال الأدبي يجنح باتجاه فواصل الإقناع الأدبي، لكن ما جاء في المسرحية هو نقل وقائع حية لمملكة سادت زمانها، وتركت لنا النبضات الحاسمة لزمن ما يزال يخيم على الكثير من آداب الشعوب، ويلهب حماس المبدعين للنهل من الكنوز المعرفية واستنباط الدروس والعبر، واتخاذها دليل عبور إلى ضفة الوجود والتواجد ضمن كومبارس العصر، في (أصل الكورد) وتحديداً الفصل الثاني يأتي الباحث بأوراق دولة (ميديا) وينثرها على طاولة

النقاش، فالميديون بعد مائة وعشرين عاماً من الهيمنة الآشورية وحكمهم الراديكالي الأوتوقراطي لجئوا إلى السلاح وأعلنوا التمرد ونالوا حريتهم، وما يحصل اليوم هو امتداد لتواصل وصدق الكفاح من أجل إثبات الوجود، لقد أسسوا دولتهم، كما يرسم الباحث الخطوط التي أنشأت استقلالهم وما آلت إليه النهاية عبر تلك الأسطورة التي مسرحها الكاتب القدير (محيي الدين زنكنه) في ـ رؤيا الملك ـ لقد كان ـ ديوسس ـ ميّال للحكمة وعادلاً وأفلح في فض النزاعات وكان ذو نفوذ مما اختاروه ملكاً سرعان ما نفذ مآربه من تأسيس دولة وعاصمتها ـ أقباتان ـ وتمكن من تأمين حراسة مشددة لنفسه عبر استخدام وسائل هندسية غاية في الذكاء، فهو جعل من بلاطه مركزاً تحوم من حوله أسوار دائرية، وكل سور مطلي بلون، وأجبر الناس بعدم المثول أمامه وحين مات كان أبنه الملك ـ فراورتس ـ قد غزا بلاد فارس قبل أن يسقط في فخ الآشوريين، ويذهب هو ومعظم جيشه ضحية أطماعه، لكن الحفيد ـ سياكزرس ـ يشير الباحث على أنه كان أوّل من نظم الجيش وقسمه إلى كتائب ووحدات، وأمتلك من الدهاء والمكر الحربي مما مكناه من إرجاع البلاد بعد فقدها بطريقة سقاء أعداءه (حتى الثمالة) من (السيثيين)، لكن (أستياغس) الملك الذي خلدته لنا الأسطورة ورآه (محيي الدين زنكنه) الشماعة التي يمكن أن يعلق عليها ما يجري داخل بلاطات الملوك وعرائن الرؤساء، من دسائس وتوظيف مقدرات للحفاظ عل الكرسي الرئاسي، لقد رأى حلماً ورأى أن ـ مندانه ـ أبنته (تجلب مياه كثيرة

وتغرق البلد وآسيا).. (ماجي) مفسر أحلامه، يشرح له ما رسمه القدر ودفعه أن يزوجها من رجل أدنى مرتبة من الطبقة (الميدية)، رجل فارسي أسمه (قمبيزس) لكن الملك راوده الحلم ثانية ورأى هذه المرة أن (كرمة نمت وأينعت من شقة أبنته وامتدت في أرجاء آسيا) وكان - ماجي - بالمرصاد، إذ لاشك وجد (أن حفيده سيغتصب عرشه)، يستعين - أستياغس - بالمؤتمن والمقرب - هاربـاكوس - كي يتخلص من حفيده (سيروس) لكن الخادم المقرّب تمسك بحكمته ودرجة صلته بالملك ونظرته المستقبلية، كونه وجد أن نهاية الملك يعني صعود - مندانه - إلى العرش وبالتالي لابد من أنها ستنتقم منه إذا ما قام بتنفيذ أمر الملك والقضاء على أبنها، نجد هنا أن القدر هو العصب الذي يدير دفة الأساطير، فالراعي - ميتراداتس - يولد له أبن ويحترق في يوم يستعين به – هاربـاكوس – لتنفيذ وعد الملك، وتمتلك المرأة في الأساطير كمية من الحكمة مما تجعلها أن تتخذ دائماً قرارات صائبة، وتكون مغيرة الاتجاهات، تستبدل الطفل وتدفع أبنها المحروق إلى زوجها، ويوم اكتشاف السر تم معاقبة الرجل المقرب بتقديم أشلاء أبنه له في وليمة خاصة أضمر - هاربـاكوس - في نفسه الشر وحاك مؤامرة تكللت بتحقيق الحلم، يمكننا أن نستشف من ورود هذه الأسطورة ضمن البحث، أن أمم الأساطير هي أمم حقيقية وأصلية، أمم موغلة في عمق التاريخ، وكانت في أزمانها الذهبية صانعة قرارات وصائغة لدساتير الحياة، والشعب الكوردي كان وما يزال شجرة صامدة بوجه الأعاصير، ومهما تكاثرت من حولها معول

الدسائس وحيكت ضدها جرافات المؤامرات ستظل واقفة، بثبات ووارفة طالما هي تنبت في أرض الأجداد، وتشرب من نجيع أبناءها عرق ودم الكفاح..!!

* * *

أمّة بلا كيان..

حين نستطلع الحدود الكوردية نجد أن الشعب كتب عليه القدر أو ما رسمه البشر، أن يعيشوا بين مخلبي عرب وفكي فرس وترك، فهم مقسمون إلى أجزاء تتناهبها أيران وتركيا والعراق وسوريا، ويذهب الباحث في الفصل الثالث إلى أن القضية الكوردية باتت (من أعقد القضايا في هذا العصر) كونهم مقسمون بين دول أربع وربما هذا التقسيم بات أهم العراقيل التي تصد أمانيهم، ويوضح لنا أن التطلعات والأماني دائماً تجابه بجيوش نظامية، ناهيك عن سياسة التشريد مما كان الشعب الكوردي عرضة للإبادة لتقليل النفوس وتقويض المساحة الجغرافية جراء سياسات التعريب والتفريس والتتريك، حتى أنهم من أجل بضعة أنفار يتم إبادة وإزالة قرى وأرياف، ونتيجة السياسات العنجهية للبلدان والقيام بأحتيالات أثناء التعدادات السكانية، وعدم إعطاء دقة في المعلومات مما جعل النمو السكاني لهم موضع شك وعدم الاعتماد على الفرضيات والتخمين مما جعلهم في غموض لدى الباحثين، وهناك وسائل تدميرية تمارس بحقهم من ضغوطات لتبديل قوميتهم أو طمس معالم تراثهم بواسطة قمع أصواتهم وعدم الجواز بممارسة شعائرهم في مناسباتهم القومية والوطنية،

ورغم كونهم رابع قومية في الشرق الأوسط نجدهم بلا هوية أو دولة وبذلك ينعتون بالشعب (الأتعس حظا) رغم أن الباحث يبين بالجدول البياني أن الأكراد سيبلغون زهاء - **67** - مليون نسمة بحلول العام - **2050**..!!

* * *

قدم اللغة لاتعني دولة

لا ينكر أيّ باحث قدم اللغة الكوردية، وهي حسب ما أثبت الباحث من أقدم اللغات الهندو- أوربية، ويشير إلى حالة صحو وميزة قد تفتقر لها اللغات الأخر، هي أن اللغة الكوردية حافظت على أصالتها رغم أنها عاشت وتنقلت عبر العصور من جيل إلى جيل، دون أن تمثل دولة مستقلة، كون الدول والحكومات غالباً ما تحاول الحفاظ على تراثها ولغاتها عبر وسائل التثقيف وفرض القيود على المناهج التعليمية، وحدهم (الأكراد) من حملوا لواء لغتهم على أكتافهم ومروا من خلال العصور دون أن يتأثروا أو يلقوا هوية لسانهم، وصمدت اللغة أمام غزو اللغات ولم تفسح أمامها المجال لطمس المعالم أو خلخلة ميزتها الحيوية وربما سرقة عشبة خلودها، وهي لغة حيوية تتوزع كاللغات العالمية إلى لهجات رئيسية ومحلية، وهذه اللهجات يرجع أسبابها الباحث إلى العزلة التي تعيشها القرى والمقاطعات، بسبب قساوة المكان وعدم وجود حكومة مركزية تلملم الموروث، وتوجه عصا القيادة وفق آلية جمعية ترص من الخطوط وتلفظ الشواذ الدخيل، لكن الباحث يشير إلى حالة متفردة

تمتلكها اللغة الكوردية، هي عدم وجود حدود فاصلة بين لهجة وأخرى، وتكون متداخلة وتخفف تدريجياً بشكل تدرجي سواء ابتدأنا سلوك الطريق من الأعالي إلى الأدنى أو بالعكس، ويرى أصل اللغة الكوردية (وليدة دمج اللغوي الميدي - الكوتي) وبعد زحف الهندو - أوربيين استكملت (آريتها)، ورغم أصالتها وقوة تمسكها بالجذور وامتلاكها الإرث الثقافي والأسطوري لكنها تبقى اللغة التي بلا وطن..!!

* * *

لابد من وقفة

أصل الكورد..كتاب لابد من تفعيل مضمونه في هذا الوقت بالذات كون الشعوب عاشت فيما مضى في ظل سياسات كانت تمجد عرقيتها على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها، وكانت تمارس سياسة التجهيل والتهميش وطمس المعالم المضيئة لتلك الشعوب، وهي محاولات أوتوقراطية دفعت الحياة صوب النزاعات الدولية والإقليمية، وحروب عالمية شوهت وجه الحضارة الإنسانية وقتلت الملايين من البشر، وهدرت الخيرات بشكل جنوني وبلادة، لقد آن أن تنهض الأقلام وتبدأ برحلة النحت في أصل الحياة، لإخراج كنوزها المطمورة كي تسترد الحياة عافيتها ويسترجع الإنسان فطرته وفاعليته وروح التجمع الأزلي الذي كان روح بدائيته، وضرورة ترك وجهات النظر خلف المتاريس والتوجه مباشرة صوب الحقائق كون الزمن وصل إلى شفير الهاوية وبات الإنسان يعوم في سديم من التضادات

الفكرية، وهي دعوة محبة وتآخي وسلام من أجل وليمة تمتد لها كل يد نقية كي نركب معاً ـ من كل جنس ولون من كل دين ولغة ـ من جديد سفينة الخلاص قبل أن يبدأ طوفان آخر..!!

* * *

*أصل الكورد ـ الدكتور فؤاد حمه خورشيد ـ منشورات دار التآخي للطباعة والنشر ـ بغداد **2003** .
** مصادر تاريخ الكورد قبل الإسلام ـ الدكتور فرست مرعي إسماعيل ـ مجلة سردم العدد **9** ـ **2005**.
*** ما هي الأمة..؟؟ـأرنست رينان ـ مجلة سردم ـ العددـ **9** .
****الكورد في التوراة والإنجيل ـ دوكلاس لايتون ـ مجلة سردم العدد ـ **9** .
**** رؤيا الملك ـ مسرحية ـ محيي الدين زنكنة ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ **1999**.

* * *

قراءة متأخرة في كتاب..!!

جمال الغيطاني في.. (حراس البوابة الشرقية) ..
هل دون ما رأى أم سرد ما أملي عليه..!!

من البديهيات النظرية والعلمية بخصوص فن الكتابة، أن الدافع الأساس من وراء أي لون كتابي خارج حدود موهبة الكاتب، غالباً ما يثير جملة ملابسات تشكل غمامة تدفع الكاتب نحو بؤرة الحساب عند العارفين بأصول ذلك اللون الكتابي، تحديداً تلك الكتب التي تحوم حول تسليط الضوء على شخصيات غامضة أثرت سلباً في حقبة معينة على مسيرة التأريخ البشري، يمكننا أن نستعرض متن كتاب (حراس البوابة الشرقية)* للقاص والروائي (جمال الغيطاني) كي نهتدي لسر تأليف وتوقيت صدور هذا الكتاب في وقت أنشغل العالم بتسليط الضوء على ما يجري في رقعة أرض شكلت ديموغرافيتها عصياناً سياسياً على (ميثاق) الأمم التي تتحد على الإثم والعدوان، ولا تتحد

لإعطاء (الفلسطينيين) حقهم المشروع في الحياة، أو حل مشكلة (مصير) شعب تعذر حله لأسباب عاطفية أكثر مما هي عقلانية أعني (كردستان)، لا نبغي استعمال لغة التجريح أو الاتهام مهما كانت الدوافع والمترتبات التي دفعت الكاتب كي يجرب قدراته الثقافية ورؤاه السياسية ويوظفهما لصالح جهة لا يمت لها بصلة سوى نغمة عتيقة ما تزال تشد وثاق الناس، نغمة (الروابط المشتركة) والتي تفككت على أيدي جاهرت بلحن القول والفعل على أنها (هبة الزمان لسعادة الإنسان)، هذه الجهة كانت لحظة تأليف الكتاب لمّا تزل غامضة الملامح، لم تستقر سياستها ولم تستوضح أهدافها بعد، رغم مجيئها العنفواني واستلامها زمام الأمور بـ(الخيانة الوطنية) إن جاز وصف الانقلابات البيضاء، من غير إراقة دماء، إذ ليس من الحكمة أن توظف أقلام ذات صدى للإحاطة بظاهرة في طور النمو أو لمّا تزل غير ناضجة، وأعتقد أن الكاتب أدرى بهذا الفاصل من فصول التأليف، كون الأفكار تحتاج إلى بلورة واختمار قبل احتواءها ومزيداً من الموثوقية والدقة، وهو يعرف أيضاً كيف يقرأ أو يتوقع إن لم نقل يتنبأ بما سيؤول إليه أمر كل سياسة، تنتهج الخطابة الفارغة والحماسة الهوجاء منهجاً حاسماً لا جدال أو نقاش حوله في أساسيات دستورها أو مبدئيتها أو مركزيتها كما يشاع، كون (الغيطاني) عاصر وعاش أهم الفترات العربية غلياناً وتقلباً في التأريخ الحديث، لأمة لم تنم مذ كانت إلاّ على نيران الحروب والخصومات الشكلية والشخصية بين الساسة على حساب رعية لا تملك سوى ألسنة لا تمل من الدعاء..!!

* * *

[من حرب تشرين أوّل - أكتوبر - إلى حرب الشمال]

عبارة استهلالية توحي بخلط أوراق سياسية متناقضة، وجعل من المعسكرين حالة واحدة، محاولة تأطير وتسويق الحدث كي يأتي تأثيره جمعياً عند الناس، من (تطوان لبغدان) كما تذهب الأنشودة، الكل يدرك أن (إسرائيل) ند أمّة كاملة، وليس (الكورد) سوى شريحة من دولة تريد أن تعيش كما ينص (ميثاق الأمم المتحدة) اختيار حرية العيش وفق ما يناسب كل شعب له كيان مستقل وثقافة إنسانية نبيلة، ربما كانت غاية الكاتب تحسيس العرب وجرهم إلى مزلق آخر ليس إلاّ تنصيراً لسياسة فيما بعد وربما الآن يدرك الكاتب لكم هو سار في طريق مظلم، شائك وملغوم، وربما هو - إن كان يبغي التكفير على ما كتب - نادم على ما أقترف قلمه الروائي الرصين من (زلة) ستبقى ناضجة على مسرح الحساب والحقيقة، طالما الشعوب دائماً تداوي جروحها وإن كانت تليدة الأثر..!!

* * *

ربما من البلادة بمكان أن يتم تخليط الأوراق السياسية بأوراق أدبية، كون السياسة لعب على المكشوف كما هو مقروء في راهن حياتنا، رغم التسويف والدوران فكل شيء يمكن تأويله وفق ما يجري على أرض الواقع، كون النتائج السياسية غالباً ما تظهر سلباً أو إيجابا وفي كلتا الحالتين ثمة قوالب

تأويلية مقنعة معدة سلفاً، أما الأوراق الأدبية هي فلتان الخيال في أمكنة مصطنعة وإن كانت التسميات واقعية، تبقى أغاريد تتناقلها الأيام من ناقدٍ لناقد ومن جيلٍ لجيل دون الوصول إلى قلب المعنى الذي أراده الكاتب، يراودني السؤال: لم حاول (الغيطاني) دمج موهبته الأدبية بخيوط اللعبة السياسية..؟؟هل أراد التحليق صوب التفرد والشمولية في الكتابة أم أراد تحقيق غاية هي بطبيعة الحال ليست غايته، فهو خرج من فلك أهدافه الروائية والتي كانت تخترق المتاهات التراثية وزيف الواقع المصري تحديداً (أرياف) ظلت خارج التحديث الحاصل في مناحي الحياة، عبر (خطط) كانت أسفار ممتعة أحدثت وأيقظت فينا الرغبة في المغامرة لممارسة أساليب كتابية أكثر تلاصقاً وتلاحماً بما يجري من حولنا، يقول ص (7) /وبدأت أتجه إلى الإنسان موضوع بحثي المستمر، ثم الوثائق ثم الكتب/ما الذي يراه الكاتب الآن طبعاً بعدما مر زمن ليس بالقليل على ما أراد التنبؤ به، من توقعات تحمس لها وألهم أو نفخ أوداج (المعني)، الجهة التي أرادته يؤسفني أن أقول (بوقاً) عالي الصوت لتبسيط أو توضيح صورتها بعدما خطت لنفسها أهدافاً غاية في البدائية، ورسالة تدميرية تغيرية وشمولية لتوحيد أمة (اتفقت على أن لا تتفق) كما صرح به (بو رقيبة) رحمه الله، أي إنسان نشده الكاتب كي يستند على أقواله، أليس من المستحيل بقاء همسة صادقة تحت سطوة الطغاة، أو نسمة هواء صحيحة غير ملوثة بالفساد، أي ملفات بقت تحمل بصمة الحقائق، ألم تزح كل فئة آثار الفئة المزاحة، أي الكتب كانت تزهو فوق

أرفف المكتبات وهي تحكي ما يجري على أرض الواقع من سلبيات وانحرافات في سير العيش، إذ لم يكن هناك من دوافع إلاّ تلوين ـ طالما لديه قرّاء ومتابعين ـ أراده الكاتب كي يسحر به عقول المغدورين من أبناء أمة (وسط) معطلة من غير فعالية تذكر، وما أكثر الرعناء الذين يعلقون كتب تجميلية كأمجاد تعيش من بعدهم أو بتعبيرٍ آخر قلائد ذهبية على رقابهم المقطوعة، كي لا يندموا على ما فعلوا، أو على أقل تقدير كي تقر عيونهم في قبورهم، قد يجد الكاتب اليوم تحديداً أكداس ملفات وألسنة بشر بعد زوال الغمة، وهي بصريح العبارة تزيل القناع لتكشف عن الوجه الآخر، الوجه الحقيقي الذي لا يسر بطبيعة الحال، على أقل تقدير إحداث موازنة في طرح الأمور بحيادية وموثوقية ليكن التأريخ هو الشاهد والمفسر والحاكم على الملفات المؤسسة لكيان المسيرة الإنسانية، لقد سطع سيف لا يرحم تحمله يد امتدت أظفارها إلى كل بيت، وعلى كل لسان أن يكف اللهج بما يرغب، وليقبع ويسكت ويردد ما يروّج تحت شعار (نفذ ثم ناقش) وإلاّ الهاوية مثواه، كان المفروض من باب الأمانة التاريخية وشرف المهنة وقدسيتها أن يوازن الكاتب ما بين الجلاد والضحية، طالما ليس هو من أهل الدار كي تمتد المشانق لتلتف حول رقبته رغم أننا لا نؤمن بموت الإنسان كرهاً كما حملته أمه (وهناً على وهن) مهما كانت درجة (شريريته) وسلبياته، كان يجب أن يعطي (الآخر) حق قول ما لديه، (حتى تكتمل الصورة) إن جاز التعبير، ويأتي الكتاب بشكلٍ أكثر مقبولية لدى جميع الأطراف، المتضادة والمحايدة،

وربما يكون هو (فاعل خير) إن حصل من خلال إيصاله صوت (الآخر) المراد قمعه للآخرين، بطريقة مقنعة توضح نواياه وما يرغب أو يريد من أساليب بغية التعايش السلمي دون اللجوء إلى منطق الغاب ونزف المقدرات البشرية والموارد هباء، أليس الوثائق كتب موضوعة تضعها أيدي غالباً ما تدوّر العربة لصالحها، ألم يبدل التأريخ ويكتب وفق رؤية كل عصر ونهج كل مصر، ألم تطلق تلك (الظاهرة العراقية) حملة كبرى دعي إليها من دعي لإعادة كتابة التأريخ، ألم تزحف مكنسة الحق لتكنس كل ظلاّمٍ للعبيد، هذا لسان حال الواقع، وما يجري اليوم بالتحديد رغم الكثير من القنوات التي لا ترحم بل تروّج لثقافة العنف، كونها بدأت تتحسس بلهيب حرية غير مزيفة هذه المرة ما فتئ يأكل عروشهم الورقية، وهي تعي مسبقاً ما ستؤول إليها قوادم السنين بعدما تتهرأ أوراقها وتستفلس أفكارها، يذهب الكاتب/كانوا يخوضون قتالاً من نوع آخر، من أجل وحدة العراق الوطنية أو تطبيق الحكم الذّاتي، قتال ضد قوى التخلف والرجعية وهكذا تمضي الخطوط متوازية/ (ص7) ، أين هم الآن تلك (الفئة) التي أذكت روح الحماسة لدى متورطين بالتلميع من غير رؤية أو سابق معرفة، بطبيعة الحال يمكن الوصول إليهم بيسر، كونهم الآن صاروا عراة تتقاذفهم ألسنة الحق إلى الدرك الأسفل من التأريخ، والذين وصفهم الكاتب بـ/قوى التخلف والرجعية/عادوا من رحلة جهادهم، بهم تستقيم الحياة، يواصلون رأب التصدعات التي خلفها (الظاهرة) في مجتمع راقٍ أرادوا تفكيكه، لكنه صبر حتى ظفر،

وأن/وحدة العراق الوطنية/عملت السلطة المنحلة على نهشها وتمزيق أواصرها المتشابكة كي تتمكن من الهيمنة عليها، وعدم نزف كثير جهود لترويض أجيالها الناهضة، ولم يكن/الحكم الذاتي/إلاّ تمويهاً شيطانياً لنرفزة الجيران (سوريا وتركيا وإيران) كونها دول تقمع أو تصهر أشلاء حيوية من الأمة (الكوردية) الممزقة قسراً، أراد عرّاب السياسة المنقرضة أن (يحرّك الجو) كما يحلو لدعاية تلفازية أن تصف مشروباً غازياً أسمه (كاديه) ..!!

* * *

السياسيون على علم أن من ذهب إلى (الجزائر) ليوقع تلك الوثيقة المشؤومة، تلك الصفقة العلنية التي باعت ميراث شعب وهيأت أرضية خصبة لحربٍ تدميرية أشعلت الضوء الأخضر لبداية النهاية لعصرٍ مظلم، تلك هي أجندة أصحاب النزعات المريضة، التضحية بالغالي والنفيس من أجل السلامة والصحة والعافية الشخصية، لقد أهدى نصف (شط العرب) ومواقع أرضية حيوية (زين القوس وخضر وهيلة) مقابل وقف الإمدادات وفرض أسلاك الحصار حول فرسان (الكورد) وهم يناضلون من أجل حقوق إنسانية لا تهدد أو تبدد بل تقوي من كيان المجتمع وتنشر السلام، يسمي الكاتب التمرد الكردي بـ/لجيب العميل/كما كانت تحلو لصحافة النظام وأدبيات الحزب أن تصف، ولا نبغي سوى تسليط قليل ضوء على الواقع، لنرى من أتخذ السياسة هواه، ومن أتخذها منارة لنزع حقوقه، ألم يقف مُوَقِع تلك

(الوثيقة الخيانية) إن جاز التعبير وأمام أنظار العالم عبر جهاز التلفاز ليمزق ما أبصم عليه ويعلن الحرب على دولة جارة ربما كان هو مختلف من حيث وجهات النظر مع سياستها فدفع الشعب الثمن باهظاً جراء تهوره، في حربٍ شرسة دامت لسنواتٍ ثمان أغرقت البلاد تحت وزر الديون والفوضى والفساد إلى أجيالٍ ربما تمتد وتمتد، وهيأت أرضية خصبة لاحتلال كامل لكيان البلاد شعباً وأرضاً ومقدرات، ألم يطعن بالبلد الذي سانده من أجل تحقيق هدفه، كيف يا ترى تمكن الكاتب من تفسير مجريات الأمور وقولبتها تحت يافطة (دفاع مشروع) لاستئصال/الجيب العميل/ألم يكن في بال (الغيطاني) أن نضال الشعب (الكوردي) كان أقدم من السلطة، يقول الكاتب/ ليس من خلال الوقائع المدونة، إنما من خلال البشر الذين خاضوها/ تأكيد من الكاتب على لجوئه لأنفار مهيئون مسبقاً ومعدون أيديولوجياً لمناسبات إعلامية تلميعية في كل المجتمعات التي راهنت على الفردانية في الحكم تحت شعارات مسوّقة قسراً، أن التأريخ بات وثيقة متحركة على أيدي تحاول تلويث براءة الحياة وأسرارها المقرورة خدمة ليس للصالح العام بل لأغراض شخصية تريد الهيمنة والطغيان في الأرض، والكل يعرف أن كل سلطة غالبة لا تتورع من نزف الغالي والنفيس من أجل إزاحة صورة من سبقتها من أذهان الرعية والعالم والتأريخ، كيف إذاً تقول الصدق إذا ما أرادت أن تنقل صورتها إلى العالم، لابد أنها لعبة إعادة كتابة التأريخ وإلاّ كيف نفسر القضية، يورد الكاتب/انتهاء التمرد إلى الأبد/ لم يوفق في رؤيته وحساباته التبصيرية لمجريات

الأمور، كون الأجوبة تأتيه لا ينقب عنها هو، أو هي محاولة استبدادية للتنفيس عمّا يحتشد في النفس من هموم وسموم، نقول أن كتّاب الشعوب والذين يراهنون على شعبية كتاباتهم يدركون أن الشعوب تتناسل ذاتياً، مهما تأخرت مستحقاتها الفطرية لابد من يومٍ (القيد أن ينكسر) تترجل من صهوة الجياد لتحصد ثمار المعاناة، فـ(التمرد) الذي أورده نما وكبر وأثمر وصار علامة مضيئة يقف (الآن.. الآن.. وليس غداً) العالم ساهراً لتطبيب جراحاته وبسط العرفان والعون أمامه، ها هو يسهر لمداواة بلاد فككها الذي وظف الكاتب قلمه وخياله من أجل نفخه وقيادته إلى حتفه، ما هكذا تقرأ أوراق السياسيين العائمين على بحور الدم والرماد أيها الكاتب الذي أحببناه من خلال رواياته دون أن نراه، وما زلنا نسامح من جرحنا وقتلنا لأننا ندرك أن التسامح ركن العافية الأساس لأرض الله الواسعة، لقد كفّر (غونتر غراس) عن خطيئته عندما أزال همّاً ثقيلاً جثم على صدره حين أعلن بلسانٍ فصيح أنه كان أحد فتيان (هتلر)، أليس (الاعتراف بالذنب فضيلة) أم أننا ما زلنا نتجنب كتابة السيرة الذاتية كوننا أمّة تستحي من الآخرين، في ص(**8**) يكتب /تلك الحقيقة التي أرجو أن أكون قد سجلتها كما رأيت وسمعت، وكما عشتها/لا نجد أنه خاض تجربة مريرة كي يحصد باقات الحقائق لتحرير كتابه، لقد كان ضيفاً معززاً مكرماً وهذا ديدن كل (عراقي) مهما كانت هويته أو طائفته ـ والمصريين بذلك خبير ـ إكرام الضيف، تنقله مروحية عسكرية تطوف به أماكن يجهلها، لابد أن بوصلة الطيار كانت معبأة بما هو

قوالب معدة سلفاً كما تسر عيون السلطة، وذلك (الملقن المرافق) لا يتكلم إلاّ ما هو نافع ومفيد ومرضي وخادم لسيده، يحدونا السؤال: ماذا رأى..ماذا سمع..؟؟ لابد أنها منتخبات تكفي إلباس السلطة ثوب الحق طالما صوت الآخر مقموع وصورته ممرغلة بأكاذيب رصينة تلهجها ألسنة معروفة لا تتعاطى الشكوك، السياسي الشيطان يعرف من ينتخب لصيانة تواجده ومن هو مؤهل وقادر من غير تردد أو خوف القيام بكل ما يومض في ذاكرته من إجراءات احترازية تدفع مركبته ضد تيار الحياة، قلنا أن الكاتب كان الأجدر به أن يتسلل إلى الجانب الآخر من تلك القضية كي يوازن الأمور ولكي يتجنب السقوط في حبائل الشيطان ويكون تأريخه عرضة للنهش، فهو يقول/واجب الكاتب أن ينقب عمّا أدّاه أبناء وطنه وأمّته/هل نقب (الغيطاني) قبل أن يطرح مشروعه، الكتاب يقول: كلا..!!كونه جلس في طائرة مروحية وراح يقتنص ما يسمع ويرى من خيال متحرك فوق سطح الواقع بمئات الكيلو مترات..!!

* * *

ليكن في علم الذين ضللتهم السياسة المنحلة أن (البارزاني) لم يرفض (بيان آذار)، إذ ليس من العقلانية والحكمة أن يرفض ذلك الطبق الشهي المقدم وهو يناضل من أجل حق العيش البسيط بأمان، أن السلطة هي من افتعلت واختلقت اللعبة كونها كانت تدرك أن (البارزاني) كان الرحم المغذي للقضية وهو راية

(الكورد) الخفاقة، سياسي معروف على كافة الأصعدة السياسية وفي كل بقعة من بقاع العالم، كانت السلطة تخشاه وتخشى أن يكون الرجل الذي حقق دولة، كون أبسط الحقوق الممنوحة له يعني جذب العالم وتسليط الضوء عليه، وهذا يؤدي إلى تكوين كيان متعافي ومتين كما يحصل في يومنا هذا، وبالتالي تكون صحوة قيام دولة ممكنة وواردة طالما الثوابت دقت إسفين السلام وتحررت من براثن الطوباوية المفتعلة من لدن سدنة الظلم، أليست تلك الحادثة الشهيرة والتي أمر بها (قائد عمليات الشمال) وقت ذاك كما يذكر الكاتب، إرسال رجال ومعهم أردية (دين) بحجة التفاوض مع (البارزاني) وكانت تلك الأردية ملغومة دون علم المتفاوضين أنفسهم، انفجرت ونجا (البارزاني) من كيد (السيد الرئيس) الذي كان (نائباً) يومذاك، تلك هي حقيقة من سيل الحيّل التي كانت تدبرها السلطة لقتل الخصوم اللامعين وهذا ديدن كل طاغية الخلاص من كل من يتخيله ند خصيم، ومن أساسيات تثبيت السلطة هو أشغال الشعب بالحروب الطويلة وبث الروع في الرعية من خلال القتل والتجويع وفرض أعلام ذو اتجاه واحد، وجعل كل إنسان لسان حال السلطة من خلال الوشاية، ألم يتم تدمير (الجبهة الوطنية) وقتل الرموز السياسية والدينية وتشريد البعض منهم وملاحقتهم من قبل أزلام مخابراتية وكتم أنفاسهم أينما كانوا، ثمة غزل يورده الكاتب، غزل بطعم العسل/در بندي خان - الجولان/ تفضيل المحلية على القومية، قد تكون شرارة تلهمنا لإدانة قلم الكاتب ووصمه بالمأجورية، كونه تغاضى علناً

عن همٍ شاغل وأنقاد لرغبة ذاتية، حين رسم (خارطة طريق) غير موفقة، فهو كما يسرد يجلس داخل (هليكوبتر) برفقة طيّار وقائد عسكري/طويل القامة، أسمر، ملامحه عربية أصيلة/ص(**11**) ، ويذهب في نفس الصفحة/لاحظت أن القائد العراقي (يوجه) الطيّار، يده تحدد الاتجاه/زلة قلم تدين الكاتب بأنه مقاد وفق خطة مسبقة، هكذا وضعوا الكاتب في حبائل وشرنقة تمويهية لا فكاك منها، رسموا له الدرب وهيئوا له كل ما أرادوا بثه عبر قلمه، وهو الذي يقول/واجب الكاتب أن ينقب/كيف تمكن من فرزنة الحقائق، وإعطاء صفة الرجحان لتلك الفئة التي تؤويه وتطعمه، وهو في علوٍ شاهق ومتحرك فوق مكان مجهول بالنسبة له، حتى أنه يصف رحلته/إنما اتجهت إليهم فوق قمم الجبال وفي المناطق الوعرة بشمال العراق/ ص(**7**)، ليس ثمة تفسير سوى انفلات خيالٍ روائي، كونه يضفي أبعاد أسطورية على وقائع تسجيلية يومية ربما هي مفتعلة خدمة أو سلّماً للارتقاء من قبل أصحاب الأحلام المريضة، /كيف يمر الليل عليهم، أي أصوات يسمعون، كيف يصعدون هذا المنحدر القاسي، كيف تمضي أيامهم.. الخ/ص(**12**) ، لم تكن محاسبة ضمير، أو تحريكه، كون الجانب الآخر أيضاً يهيم في أرض الله التي بلا قيود للحالمين والمجاهدين من أجل حقوقهم أو محاربة الظلم والظلام، يا ترى لو عرف كيف كان (الكورد) في تلك الفترة، كيف واجهوا حرباً لا هوادة فيها ولا هوان، أسلحة دولة ضد أقلية ليس في حساباتها الذهنية سوى عشق الحياة والرقص والتغني بالجمال

الـذي وهبهـا الخـالق لهـم رغـم أنـف الرافضـين أو غيـر المعتـرفين بهويتهـا، شـعب كـان أصـل حضـارة كمـا يـذهب المـؤرخ اليونـاني الشـهير (هيـرودتس)، أو مـا ترويـه الكهـوف ومخلفـات القـاطنين فيهـا فـي العصـور السـحيقة، هل عرف الكاتب ما الذي جرى بعد هطول أطنان القذائف وإزالـة غابـات طبيعيـة كانـت تثمـر وتـدر واردات معيشـية للنـاس، إزالـة أريـاف وقـرى ووقـف الزراعـة أو موتهـا، كلهـا خلّفـت آلام وفسـاد فـي تضـاعيف المجتمـع العراقـي وبالتـالي أدت إلـى سـوق السـلطة نحـو الهاويـة التـي هـي مثواهـا، لأن القـوة هـي أغـراء تـام للشـهوات الدنيويـة وانجراف أعمى نحـو الهـلاك، يصـل الكاتـب عبـر الطـائرة إلـى (زيـن القـوس) وهـي مـن المنـاطق التـي تبرعـت بهـا السـلطة مقابـل المسـاندة لخنـق (الكـورد)، وكانـت لعبـة ماكرة، لأن (رأس البلاء) أعلن صراحة استنزاف قدرات البلـد ولـم يبـق فـي جعبـة القيـادة الجويـة سـوى(**16**) قذيفـة صـاروخية، تمكـن بتنازلـه الأثـيم عـن شـرائح دسـمة مـن أرض (العـراق) أن يقنـع العـدو المسـاند لعـدوه ولـو إلـى حين، هكذا قـال التـأريخ يوم بـدأت حـرب السـنوات الثمـان تحت ذرائـع واهيـة لإقنـاع الرعيـة وسـوقهم إلـى محارقهـا، القارئ يتساءل كيف يكتب (الغيطـاني)/ألمح ابتسـامة علـى وجـه جنـدي عراقـي/ ص(**13**)، وهـو يجلـس فـي طـائرة مروحية تحلق قرب الغيوم، والمرء يبدو نقطـة واهيـة مـن علٍ (طالما الأرض تدور)..!!

* * *

هـا هـم (حـراس البوابـة الشـرقية) تركـوا البـلاد مضـغة

مهانة، أليست هذه النتائج كلها سلبيات السلطة المتراكمة، ألم يئن الأوان مراجعة الكاتب لما كتب والاعتراف الجميل كي يكون كائناً خطّاءً مغفور الزلل، على أقل تقدير محو ما أعلن حوله بخصوص (زبيبة والملك) أو ظاهرة الكوبونات التي أتلفت مواردنا البترولية، (هذه التهم ما تزال تروّج لها ما لم يخرج الكاتب من صمته كما خرج - غونتر غراس - ويعلن الصراحة التامة حول القضية، لقد حوّلت السلطة آنذاك وفيما بعد الجيش إلى أداة قمع لا ردع، فعلت ما فعلت في وضح النهار، كان من الممكن أن يتفرغ الكاتب لـ (الجولان) وأن لا يخلط بين قضيتين متباينتين متناقضتين، قضية محلية داخلية وقضية لها علاقة بوطن جريح، كان يمكن أن يسرد ما يشاء وتلميع ما يرغب، لا على حساب القومية (الكوردية)، لنجا من الحسابات المؤجلة لشعب كان يتقدم بخطوات واثقة نحو حلمه الكبير، كان من يجب أن يتجنب مثلبة تحويل موهبته إلى كراريس حزبية توزع مجاناً وتدار حولها نقاشات حزبية لا تخرج من فلك مدح السلطة وقدح كل قوى الخير المجابهة، يورد الكاتب/فأنهم يعرفون أيضاً القرى الكوردية التي يقاتل رجالها دفاعاً عن الحكم الذاتي ضد الملا مصطفى البرزاني والمتمردين معه/ص**14**، والكل كان يعرف آنذاك أن - البرزاني - ليس حالة طارئة، فهو كما كان - جيفارا - كما كان - سيمون بوليفار - رجل حمل آلام شعبه وأراد أن يجلب من أنياب الزمن بعض موجبات حقوقه، فهو إنسان ضرورة في مرحلته، سكن الصميم المرحلي لتلك الحقبة المؤلمة،

الحقبة الثورية والتي تحررت فيها الشعوب المناضلة من براثن وعنجهيات الحكومات الأوتوقراطية، إلاّ الشعب (الكوردي) الذي وضعوه بين فكوك ضارية لا ترحم، فكوك تنهش كلما بان ضوء ساطعاً من ربوعه، وحده الشعب الذي أطماعه لا تتعدى تركه العيش بسلام، لنتخذ جانب الحياد ونسمح للكاتب أن يجري على شبكات الانترنت استفتاءا عالمياً حول شخصية ـ البرزاني ـ أنا واثق أن النتائج ستأتي مدوية، ليس هناك ضد، ليس هناك جهة محايدة، ستصب النتائج كلها حول مكانته بين الشخصيات الثورية، فكيف يكتب القرى تقاتل (المتمردون) وهو يجلس في عرش متحرك، داخل طائرة مروحية، يتحكم الطيّار بالقيادة والسير وفق خطط الطيران ومناطق الأمان، فالكتابة من الهواء عن ثوابت تاريخية، أشبه بالمثل الشعبي (من الماء للماء) صحيح أن السلطة أتت بمغررين ضعفاء النفوس أغرتهم بالمال والمناصب الورقية ودفعتهم لمواجهة أخوتهم، بعدما وضعتهم بين المطرقة والسندان، بين مطرقة السلطة وسندان التهجير والترحيل إلى صحاري الموت، أكثر هؤلاء كانوا من سكنة المناطق غير الخاضعة لسلطة (الحكم الذاتي) وحتى هؤلاء كانوا ينسلون من المجابهة كلما سنحت لهم الفرصة ليلتحقوا بأخوتهم في الجبال، ينفلت الكاتب من سكة الواقع ليهول الجانب المقاتل، يقول/أسلحة متقدمة لمقاومة الطائرات، بعضها أمريكي، وبعضها انجليزي وإسرائيلي/ص**14**، من يقرأ هذا المقطع لابد أنه يقع في فخ الكتابات الأيديولوجية لتجيير النفوس البريئة، وضخ الحماسة الهوجاء في تضاعيف

قلوبهـا، يريـد الكاتـب أن يـوهم أن (الجيـب العميـل) كمـا وصـفه تنغيمـاً لمقولـة الحـزب آنـذاك، يريـد ربطـه بالعمالـة وتسـليخه مـن ثـوب ثوريتـه، أي أنهـم (مرتزقـة) ضـارباً عـرض الحـائط المسـيرة التـي بـدأت بـإعلان الدولـة الكورديـة (مهابـاد) علـى يـد القاضـي الشـهيد (محمد)، وناسـفاً كـل البطـولات التـي سـطرها (هيـرودتس) فـي مدونتـه التاريخيـة، والتحـديات المصـيرية ضـد العثمـانيين والإنكليز، لا يجب التعامل مع شعب دخل الإسلام من غير ترهيـب وحـرب، ولـو كـان الشـعب (الكـوردي) صـاحب أطماع مثلما الشعوب الأخرى لكان صـاحب إمبراطوريـة كبيـرة، وقـف فـي محلـه غيـر راغبـاً بـالغزو والسطو علـى جاراتها، كما فعلت كل الأقوام الأخرى، لـو كـان مـا أورده الكاتـب بخصـوص مصـادر الأسـلحة صـحيحاً لأنتصـر الكـورد فـي معـركتهم ونـالوا كامـل حقـوقهم، طالمـا تقـف وراءهـم ثـلاث قـوى عالميـة تمتلـك صـولجان تحريـك التـاريخ كيفمـا تشـاء، لا ينـأى (الغيطـاني) مـن التنميـق الروائـي فـي كتابـه، فالرومانسية حاضـرة وبقـوة، كمـا أن التجـزيء المتبـع يصـب فـي صـالح عـدم إمـلال القـارئ، يسـحبه بمهـل إلـى منطقـة القناعـة المزيفـة، تـارة يسـحب قارئـه إلـى حـرب (الشـمال) وطـوراً يأخـذه إلـى حـرب (تشرين) كـأن القـارئ يبحث عن لغز بوليسـي وهو يعب فـي جوفـه مشـاهد لا تخـرج مـن فلـك التحـديات التـي تواجهـه، كونـه معبـأ سـلفاً بترنيمـة (الثـورة الفلسـطينية) عبر كتب المراحل الدراسية، وهو يعيش في أفق غـائم كما صـورت الحكومـات المستقبل الـذي استشـرفوه بعقول خاملـة وإرادات واهنـة، أمّـا بخصـوص زحـف الجـيش

(العراقي) إلى نصرة الأخوة (السوريين)، ليس لنا رغبة الخوض فيه، كونه جانب عسكري، ربما هناك قادة شاركوا فيها ويمكنهم بيان صحة ما ورد في كتاب (حراس البوابة الشرقية)، يصف جبل (به مو) /هذا شهد خلال عام **1965** وفي منطقة مضيق ـ سه رتك ـ معارك قاسية/ص**33**، أليس هذا اعتراف نبيل طرحه الكاتب من غير وعي وعبر مقصلة الرقابة التفتيشية، أنه يقر بأن الحركة الكوردية عريقة، أقدم من السلطة التي أرادت طمسها عبر حرب إبادة شاملة، أمّا (الجناح الرجعي في الحركة الكوردية لمشروع الحكم الذاتي) مغالطة تاريخية في التوصيف، كان يجب أن يصفهم بـ(الجناح المسلح)، لقد أظهرت الحكومة رجعيتها السلفية لحظة بدأت بتطبيق مشروعها الشوفيني لصهر الأقليات الأخرى ضمن أطرها الراديكالية، وكان خير شاهد على ما نقول التعداد السكاني للعام **1977**، كان الإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما، أمّا أن تكتب قوميتك (عربي) أو(كوردي) وليس هناك مجال للأقليات الأخرى، فكان حقاً على أصحاب الأحلام التحررية أن يحملوا السلاح ويعرقلوا المشاريع التدميرية للبشر مهما كانت التضحيات ومهما أمتد بهم الزمن، فالثائر يدرك أن النزعات الدوغمائية للحكومات الشمولية مجرد هذيانات مرحلية شيئاً فشيئاً تتحطم على صخرة الواقع، رغم قوة الأعلام وتحريك الأقلام المأجورة لتشويه الحركة (الكوردية) وتلميع السياسة الدموية بقت الطموحات قائمة للحركة المسلحة وراحت تتحدى رغم تضييق الخناق واستخدام الوسائل التدميرية الشاملة بحقهم،

يواصل الكاتب دس أشياء منافية ومخالفة للواقع، يبدو أنه يمشي في مكان مظلم، أو كأعمى ترك في عراء، يكتب/وفي نفس الوقت يضربون جسم السد نفسه، بغرض تدميره/ص**34ـ35**، يقصد سد (دوكان) هذه مغالطة لا تغتفر للكاتب، لأن الشرفاء والثوريون لا يحاربون الجماد، كيف يريد المقاتل (الكوردي) تشويه سمعته النضالية، وكيف يريد تدمير حواجز تخدمه في نضاله وهو بالتالي زواله يدمر الكثير من شعبه أرواحاً وممتلكات، وبالتالي تزحزحه نحو خانة (الإرهاب)، لنرى من قام بتدمير الطبيعة، أليست الحكومة هي من قامت بإزاحة الغابات المثمرة، أليست هي التي دمرت الحقول المنتجة للمحاصيل المهمة لقوت الناس، أليست هي التي أبادت الزرع والضرع، أليست هي من جففت (أهوار) الجنوب، من هو أيها الكاتب الذي ما زال يشغلنا بأدبه صاحب النزعات التخريبية في (بلاد ما بين النهرين) يقيناً لو جئت إلى ربوع الشمال، ضيفاً عزيزاً مكرماً، ستجد أنك كنت في حالة سرابية لانصهار إيديولوجي أتى في زمن ركود العقل العربي، هنا ستجد الحقائق التي كنت أو جئت يومها للبحث عنها، ستجد الفئات التي قلت عنها (المرتزقة) تحمي الحرية وتدافع عن السلام والتآخي، سيمطرونك بالبسمات والمصافحات وربما ستقرأ في عيونهم تلك الفطرة الكونية التي أمتاز بها الشعب (الكوردي)، فطرة مسامحة أعداءه مهما أثموا بحقه، يقول الكاتب/ماذا لو تحرك الظهر، الذي نركبه نحن وهوت الطائرة وأفضل ـ لو حدث لنا الحادث ـ أن نسقط فوق حشائش الوادي/ ص**35**، رغبة عجيبة

للكاتب، رومانسية الجرس، تدخل باب الأسطرة، ربما هي ممارسات ترطيبية لجو السرد، أو رغبة (صبيانية) لتقريب النفس قربان للسلطة الطاغية، /الجنود القدماء يستطيعون التسلق المتواصل لمدة أربع ساعات بدون تعب، ويتنافس الجنود في قلة عدد الوقفات/ص**36**، هذا الشطر منقول من قبل الملقن الذي يرافقه داخل المروحية العسكرية، فالقادة غير ميدانيون، أنهم يلمعون تواجدهم بحكايات خرافية لإرضاء القيادة العسكرية والحاكم، فالأوامر قاسية في الجيش، وكانت البنادق مهيأة لإعدام من يتلكأ، وكم من تابوت عاد كتب عليه (جبان)، لقد كان الجندي تحت مطرقتين تطرقان بلغة الموت، وكانوا يفضلون الموت كشجاع كي تستحق عائلته راتب الشهيد، ومن المفارقات القصصية التي يزجها الكاتب من عنديات في متن الكتاب، سقوط قذيفة تقذف بجنديين إلى وادي سحيق، يبقى أحدهما(**12**) يوماً، قبل أن يراه جندي ويمد حباله لسحبه مع الجندي القتيل، /كان أحدهما قتيلاً والآخر في حالة سيئة، لقد عاش الجندي الأول سبعة أيام، كان جريحاً، وكان الجنديان يتبادلان الحديث، يسليان بعضهما، حتى أستشهد الأول على مرأى من زميله، فبقي الثاني وحيداً مع الجثة لمدة خمسة أيام في وحدة وصمت وعزلة وسبات الموت، كانا يقتاتان على الحشائش المزروعة حولهما/ص**37**، لا أعرف كيف تمكن الجندي الناجي الجائع المتهالك فاقد الطاقة من التسلق بالحبل، وفي نفس الصفحة يورد/يبللان لسانهما بقطرات الندى والمطر المتساقط من السماء/يمكننا أن نحيل هذه

القضية لطبيب متخصص كي يبين صحة المعلومة ومدى قدرة الإنسان على التحمل في ظرف مشابه، ربما كتب الكاتب الكثير من الشطور بنفسه الروائي، كون الخيال يتواجد بشكل غير لائق وغير معقول في كتاب تسجيلي يحكي الواقع بكل تجلياته، والبحث كما هو سائد ليس ميدان الخيال، والبحث يحتاج إلى إقناع علمي، كونه تعامل صريح مع المحسوسات والثوابت، أمّا الأدب ميدان حر بلا حدود أو حواجز يمكن للأديب الخروج من الواقع وترتيب الكثير من الفصول الغرائبية والرمزية حتى لو جاءت فنطازية لا تصالح الذائقة البشرية، يذكر جملة (طلع الجبل) فهو يريد وسم الذين التحقوا بالثورة المسلحة بعد بيان الحادي عشر من آذار من عام **1974**، واصفاً إياهم بـ(القوى الرجعية) و(معاداة الثورة والإنجازات التقدمية)ص**38**، لا أعرف عن أي إنجازات عنى الكاتب، أليست كانت ثورة (خيانية) داخل بيت الحزب، شلّة تكنس شلّة، ذلك هو المفهوم الثوري عبر التاريخ لكل حكومة أتت بمكنسة الثورة التي لا تستحي، أعني التآمر داخل البيت الرئاسي تحت مسميات يتم توظيف المال بغية حشره في أذهان الناس، لا تعدو المنجزات سوى (تأميم النفط) غباء معلم كونه تجاهل الحسابات التي ستترتب على الفعلة فيما بعد، والتي جاءت ردة فعل مؤجلة كلّفت المنطقة شرفها ومالها وأرواح ناسها وتراثها ومستقبلها الغامض، محاربة الأقليات وتصهير إرثها داخل بوتقة العرقية السلفية، كما فعل النازي (هتلر)، (مجانية التعليم) والتي تحولت بمرور السنوات إلى (مجانية التسليب) وتدهور المستوى

العلمي والثقافي، وتم العودة إلى (النظام الإقطاعي) وتحويل أراضي الدولة إلى ممالك زراعية للمسئولين، لا أيها الكاتب، ليس من منجزات مشرفة للسلطة إبّان فترة غطرستها، لقد تم تصفية (الجبهة الوطنية) وقتل الرموز الحزبية بلا أسباب كي تنفرد السلطة (بالواحدية المستبدة)، فالقضية (الكوردية) قضية حقوق خادمة لكيان الدولة لا حقوق انسلاخ، وليس وراء كل بوق ناعق نافخ حقيقي، لذلك تأتي الصيحات الإعلامية مزيفة قالبة الحقائق بأباطيل مفتعلة وأكاذيب يتم حشرها قسراً في أذهان الرعية، لقد وجد (الأكراد) أنفسهم بين خيارين قاتلين، خيار الرضوخ والانصهار القسري في مجتمع يدفعهم إلى مرتبة أدنى، وخيار التهجير والتغريب والتدمير النفسي عبر وسائل تعليمية غاصبة، يحاول الكاتب أن يقسم هؤلاء إلى نوعين من الاختيار المصيري لأتباع قائد الكفاح المسلح، قسم يربطه بحكم العلاقة بـ(البارزاني) يسميه (الارتباط العشائري المتخلف) والقسم الثاني يقول عنه (لأنه قدر الموقف لصالح المتمردين)، ليس هذا ولا ذاك، فالمهمة كانت مصيرية، كون العشائر كانت على حدٍ فاصل، في كل جانب يتربص الموت، فبقاءهم يعني أن السلطة ستجعلهم أكباش فداء، لأنها ستقوم بدفعهم أمام زحف الجنود كي يضرب (الأخ أخاه) فتكون المحصلة النهائية قتلى الطرفين هم أكراد، لذلك وجدت العشائر أنها تعيش مرحلة اختبار وتقرير مصير، ولم يكن المثقف الكوردي (انتهازياً) كما يصف وليسوا أصحاب قلوب هشة كي يحلموا بحيوات رومانسية، كانوا حملة مشاعل تنويرية، بحثوا عن

ملاذات آمنة كي يسطروا أحلامهم بحرية تامة، رافضين أن يتحولوا إلى غربان ناعقة أو أبواق كاذبة تنعق من أجل تجميل سحنة السلطان، لقد مرت سنوات الهدنة من **1970 - 1974** بترقب وتربص من قبل السلطة، كانت تهيأ المستلزمات التدميرية لصهر القومية (الكوردية) وتبديل جغرافية المكان، بعد تجريد ناسها وتبديلهم بناس لا تنسجم طبائعهم مع المكان، ولا المناخ، يراود الكاتب سؤال يقف أمامه بخجل مفتعل، (موقف بعض المثقفين الواعين محل تساؤل) ص**38**، مأزق آخر يقع الكاتب فيه من غير وعي، تلك هي صفة الكتابات التي تعالج مواضيع خارجة عن أرادة كتّابها، أليس من حقنا أن نرد السؤال له/ما هو موقفه من القضية الكوردية/لم أختار الكتابة عن سلطة لا يمت لها بصلة، أليست الطبقة المثقفة مستهدفة عبر كل العصور من الساسة والحكام والملوك، أليس من حق المثقفين (الكورد) أن يدافعوا عن قضيتهم وتراثهم ضد سياسة ديالكتيكية لا تبقي ولا تذر، استخدمت العنف لتحقيق منجزاتها الشوفينية..!!

* * *

[قرر مجلس قيادة الثورة أن تكون العمليات العسكرية ذات طابع إنساني تماماً.....أن الجيش لم يحرق قرية ولم يعدم امرأة ولم يمس طفلاً]ص39

وفي نفس الصفحة (والتي رأسها صدام حسين، كان يتابع بنفسه أدق الحوادث وأصغرها شأناً)، لنبدأ أولاً بقائد عمليات الإبادة الجماعية، كان آنذاك في (خريفه) الـ(**39**) أليس هذا دليل قاطع على التهور وعدم العقلانية

لشاب بعمره يمتلك سلطة قيادة شعب صاحب تراث وتاريخ عريق، خصوصاً أنه يتعامل مع قضية كبرى وحساسة، تتعلق بمصير شعبين ومستقبل المنطقة، وهو يقود حشود ضباط متمرسين، ثم أليس هذا يعني أن العلاقة التي تمت بين الكاتب وـ صدام حسين ـ آنذاك تقدمت مع السنوات كي تنهال السهام على الكاتب بخصوص (كوبونات النفط) ورواية (زبيبة والملك)، لنعد لذلك القرار الذي أورده الكاتب في متن كتابه، ليقم بزيارة ميدانية إلى ربوع الشمال، ليرى بنفسه كم قرية أبيدت وكم شجرة اقتلعت وكم طفل دس في التراب وهو حي، وكم امرأة اغتصبت ودفنت في مقابر منسية، كشفتها الأيام بعد انقراض السلطة، كم شيخ قتل، كم حقل دمر وكم غابة حلقت قبل حرقها، مرة أخرى يزل قلم الكاتب الذي راح خبط عشواء، يلصق الحدث بالحدث كي يجعل من كتابه مدونة نادرة وخادمة، حين يورد ملحمة (مم وزين) الشهيرة، هو يريد تبيان النهاية المأساوية على أنها نهايات مقرورة لدى القومية (الكوردية) ، متناسياً أنه أقر بشرعية الأمة (الكوردية)، لأن الملاحم هي هويات الشعوب الكبيرة ونتاج ثقافة متنورة ومؤثرة في الذاكرة البشرية، زبدة حضارة لا يمكن المساس بها، ويغالط الكاتب التاريخ حين يعرج نحو الشيخ (محمود الحفيد) يقول/وذلك منذ العشرينات عندما قامت بريطانيا بمساندة ـ الشيخ محمود ـ وتنصيبه ملكاً على الأكراد في ـ السليمانية ـ وذلك بهدف إرهاب العناصر الوطنية التي برزت خلال ثورة العشرين/، أليس هذا يجافي الحقيقة، لقد كان الشيخ (محمود) من أعداء الانكليز، وهو من قام

بإرسال القوات لمحاربتهم في الجنوب هكذا يقول التاريخ، كان الانكليز يمارسون لعبة (جر الحبل) معه، تارة يشدون عليه وتارة يرخون الحبل له، وفق أهواءهم السياسية، والكل يعرف أنه كان يتمرد دائماً عليهم فكيف يقوم بمعاداة عدو عدوه، ولدينا الفلسفة الكاملة حول هذه القضية (عدو عدوك صديقك)، يذكر ص**58**، /مما يبرز البعد الإنساني للقومية العربية أثناء تعاملها مع قومية مختلفة /أي بعد إنساني يريده صاحب كتاب (حراس البوابة الشرقية)، في أي بلد عربي يتمكن نفر من القوميات المختلفة أن يرفع رأسه أو ينادي بلغته، في أي رقعة، أين هم (الأمازيغ)، أين هم (جنوب السودان)، أين هم (أكراد) العراق ـ لحظة كتابة الكتاب ـ (أكراد) سوريا، (أقباط) مصر، لا يبدو أن القومية العربية اليوم تشبه القومية العربية في السابق، شتان ما بين زمان الوصل وزمان الفصل، ثم أين هي الحرية كي تتمكن الأقوام المختلفة أن تعلن عن نفسها، ألم تقم معظم الحكومات العربية بطرد (اليهود) من أراضيها مما ساعدوا مساعدة تاريخية لتكوين (إسرائيل)، كان يجب أن يتركوهم أشلاء ممزقة متناثرة في أماكن منسية، كي لا يسقطوا في فخ الخيانة الكبيرة، ألم تهجر السلطة الناس التي لم تمتلك الجنسية العراقية لأسباب كانت تتعلق بالـ (سفر برلك)، حصلوا على الجنسية التبعية كي يتخلصوا من براثن ـ العثمانيين ـ يوم كانوا يسفرون الشباب للحروب التي لا تنتهي، لقد كان بيان (الحادي عشر من آذار) مصيدة سياسية لتحويط وتقويض الشعب (الكوردي) قبل صهره في فرن النسيان، جملة

أهداف كانت تحاك خيوطها سراً، منها التخلص من الرموز (الكوردية) القيادية، وتنصيب (أذناب) تعمل بعصا السلطة السياسية لتحقيق (الآمال الكبيرة) لـ(المهندس) الذي راح يصوغ القرارات ويسيّر القافلة (العراقية) نحو أحلامه، في ص**80** يكتب الكاتب/وثمة أوراق فوقها كلمات بالكوردية أو العربية لقد أحرقوا القرية وأجبروا جميع سكانها على الرحيل معهم إلى ـ إيران ـ حيث معسكرات الإيواء/ لقد وضحنا أن أصحاب القضايا المصيرية يتعاملون مع أعدائهم أو هاظموا حقوقهم بروح نضالية نزيهة، لأنهم يفكرون بالمنجزات التاريخية ووسائل الأعلام الخارجية وهم يواصلون درء الأخطار عنهم، فليس من المعقول أن يلوثوا سمعتهم بطرق (تترية)، فالأشراف لا يحاربون الجماد، والتاريخ كشف ولو بعد حين من كان عدو الجماد والبشر والطبيعة، يقول أيضاً/بعد **11** آذار بدأ ـ الملا مصطفى البرزاني ـ في تنفيذ مخططه الرامي إلى الانفصال وفي المعارك الهامة كان يقدم ـ السورانيين ـ في المعارك ويجعل ـ البهدانيين ـ في المؤخرة وهذا هو أسوأ شكل للقيادة يمكن أن يصاحب الزعامة العشائرية/لنطرح سؤالنا على الكاتب، لم قامت السلطة بتقديم حشود من (أكراد) خارج نطاق (الحكم الذاتي) أمام الجيش وهم غير عارفين بالشؤون الحربية وأسلحتهم يدوية، أليس الهدف ضرب (الأخ أخوه) والتخلص منهم معاً، والتقسيم الذي أشار إليه ليس تقسيماً عشائرياً، بل هو تقسيم (جيبولكتيكي) للمنطقة (بهدينان ـ سوران ـ كه رميان) ، وبعد انتهاء المعارك مباشرة كشرت السلطة عن أنيابها

العرقية وراحت تزيح القرى والغابات في أسوأ عملية تهجير جماعية عبر كل العصور، ما تزال آثار التدمير واضحة حتى يومنا هذا رغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً ناهيك عن تسكين أو توطين آلاف العرب الملمومين من شتى البلاد أولائك الذين كانوا في فقر مدقع أو بلا معيشة جلبتهم السلطة لتغير وجه الشمال ولغته (الآرية)، فالدلائل ما زالت تبرز وتعلن أن (خمسة آلاف) قرية كوردية كانت بعيدة عن خط المواجهة كلها دمرت بعد ترحيل ناسها إلى الجنوب، الجنوب القاسي على ناس خلقهم الخالق يتحملون الثلوج وبرد الشتاءات الصارمة ويعشقون الحرية والسلام..!!

* * *

[سيدي نحن نتدفأ بالثلوج]ص86

على ما يبدو أن (الغيطاني) أعد صاروخاً من العيار الثقيل كي يتبرع للمجهود الحربي أو يجحفله مع جيش السلطة، لتدمير شعب لا يريد سوى التكلم بلغته والاحتفال بتراثه ضمن المحيط الشامل للحاضنة التي تؤويه، حاضنة بلد تشكلت من أعراق متناصرة عبر التاريخ، أمّا رؤيته بخصوص (بيان آذار) لم تكن موفقة، لأنه لم يكن خدمة لوجه الله، كان اتفاقا خلا من كل نزاهة (الأرض مقابل التأييد)، وكانت تلك الوسيلة الشيطانية لخنق القضية (الكوردية) بعدما لاح في الأفق الضوء الأحمر لبداية النهاية للسلطة التي جاءت من أبواب خلفية من غير إرادة الشعب، كان من الممكن أن يجنب (الغيطاني) نفسه من مصيدة وفخاخ التاريخ، لو أنشغل

بتأليف كتاب رحلات، كون الشمال مكان يجذب ويعطي الشهرة لأنه غير مرسوم بدقة في أذهان الناس، وهو ربما يدرك أن اللعب بالسياسة ديدن العاطلين وأنصاف الموهوبين والعاجزين من الكتّاب، حين تتعطل ملكة الكتابة، غالباً ما يستدير الكاتب الفاشل نحو منصة السياسة كي يدفن فشله بمقالات واجبها صبغ الصحف، ليغطس في عالم متنافر مع جمال الأدب وتأثيره في حياة البشر، في ص(**103**) يحاول الكاتب أن يلصق صفة الخيانة والغدر على (الأكراد) يورد/طلب العصاة من جندي أن يصيح منادياً رجال الوحدات الخاصة، يقول لهم أن الرابية محررة وعند اقترابهم يفتحون النار، لكن الجندي رفض فألقوه حياً إلى المضيق/من يقرأ هذه العبارة سيدرك أن الكاتب ضعيف الرؤية وفقير الثقافة، كيف يلقي فئة مسلحة تبحث عن حقوق بأسير إلى الهلاك، لم لا تحتفظ به من باب تبديل الأسرى أو تحقيق مطلب آخر، فالأسير كنز كبير في الحروب يا صاحب السعادة، والنقطة الأخرى، هل من المعقول أن يفعل أسيراً تلك البطولة الشخصية، فالأسير ذليل ضعيف بوسعه أن يبيع الدنيا من أجل حريته، هكذا فعلوا (حراس البوابة الشرقية) أيام أسرهم في حرب السنوات الثمان، لأنهم يدركون أن السلطة التي قذفتهم في آتون المحارق سلطة باطلة، وأن الفئة التي تقاتلهم ليسوا قوات غازية كي يبدوا بطولاتهم الشخصية، بل هم أخوة تربطهم روابط لا تنتهي، وهناك فاصل حيوي في لغة الحرب، هو فاصل الخدعة، إن لم تخدع عدوك ليس بوسعك أن تفلح في حربك، تلك هي فلسفة الحروب في كل العصور من

أيام المنجنيق والسيف والرمح وحتى أيام الصواريخ القاريـــة، والســـنوات التاليـــة كشـــفت الأوراق الكاملـــة للسلطة، فعرف العالم من هم أولئك اللذين أعلنوا وطنيتهم وأسرفوا في تبذير أموال شعوبهم من أجل الذات وليس من أجل المصلحة الكبيرة للشعب، يمضي المؤلف في رص استفزازاته التشويقية/وفي مواقع أخرى قاموا بتلغيم بعض جثث الجنود لتنفجر عند شدها أو أمساسها وهو أسلوب لم تتبعه إلاّ القوات الإسرائيلية/ص(**103**) ألـيس هذا تصريح سافر بدمج القضيتين، وأن الغاية منها هو ربط المقاتلين (الأكراد) بالدولة العبرية، تلك هي المقبلات الإغوائية لدس كل ما هو خادم في أذهان الناس، كجزء من متطلبات التلميع الشكلي والأخلاقي للدكتاتوريات التي تعج بها المنطقة عبر كل العصور، بطبيعة الحال أنه طلاء مؤقت لتمرير المرحلة، سرعان ما تتكشف الأوراق وتستوضح الأمور، عند ذاك يغدو كل من كتب ووصف أنه مجرد بوق وآلة تلميع ليس إلاّ، كان يجب أن ينتبه الكاتب لمستقبله قبل أن يغامر ويخاطر في أرض ليس هو منها، ألم يكن الشعب (الكوردي) محاصراً بالدبابات والطائرات وكل أنواع المسوغات الخادمة لخنق المنطقة، وأن الذي حصل مجرد تطبيق فقرات وبنود قرار(آذار) بعدما قامت السلطة استغلال مدة الهدنة من**1970**إلى**1974**وتلغيم المنطقة الشمالية بالجيش وأزلام الحزب وكل أنواع السلطات الأمنية والمخابراتية للإجهاز على الشعب (الكوردي) ورموزه في لحظة التطبيق، لقد وعت القيادة (الكوردية) ما يجري بين أعينها لذلك احترست من كيد

الكائدين، هذا الفاصل تكرر لدى السلطة يوم قامت بزج مئات الرجال من صنف المخابرات في السفارة (الكويتية) لاحتلال البلد الشقيق كما حصل، قبل أن تجر السلطة المنطقة كلها إلى وحل تاريخي لا ينضب، نتساءل هل حقاً يفعل (الإسرائليون) مثل هذه الأعمال، الجواب يأتي من مخلفات السلطة، فالبلاد اليوم فيها هذه الأشكال الدنيئة والتي تفخخ الحيوانات والأجداث البشرية لقتل ناس البلد تحت ذرائع انتقامية وليست ذرائع التحرير كما يتوهم كل من لم يكتوي بنيرانها، يواصل الكاتب/ويعلوا الجنود على الموقف، لا يمثلون بجثث العصاة كما فعلوا هم، لا يلقون بها من الجبل بل تم نقل الجرحى من العصاة إلى المنطقة الطبية التابعة للقوة، عولجوا وبعد السيطرة تماماً على الموقف قاتم الجيش بإعادتهم إلى قراهم/ص(**104**) ياسلام (ياحضرة الناظر) أنك تكتب ما يملون عليك، تلك هي حقيقة كتابك، تعال و(بص) ما الذي ظهر من حقائق، آلاف الأجداث بملابسهم بهوياتهم مدفونيين، تعال وأسمع من الذين نجوا أو الذين هربوا من الضباط خارج البلاد والذين تحت رحمة القضاة وهم يخرجون أوراقهم البغيضة، كيف تم قتل العزل من نساء وأطفال وشيوخ لا ناقة لهم ولا جمل سوى أن أبنائهم يريدون تحيق أحلام شعبهم، سأسرد لك واقعة مشهودة وبلسان من حضر تلك المحاكمات الصورية الفورية والتي أجازت لكل جندي أن يفعل ما يشاء على هواه، قال لي أحد الجنود (دخلنا قرية وأمرنا الضابط: نسائهم حلال عليكم، الذكور يجب أن تقتلوهم، تم قتلهم وإلقاء جثثهم إلى الوديان، فجأة رأينا

شاباً يتقدم من الضابط، أوقفوه وسأله الضابط: كم عمرك..!! أجاب بلكنته المتعثرة: **17**سنة..!!: في أي مرحلة دراسية أنت..!!: في الصف السادس..!!: ما تريد أن تصير..!!: أريد أن أدخل الكلية..!!صاح الضابط خذوه وأرسلوه إلى الكلية..!! قام جنديان بسحله وأوقفوه على تلة ورشقوه بصلية قذفت به في آتون الوادي بينما كان الجند يواصلون تحطيم الفتيات داخل الغرف وفي الهواء الطلق/هذه حالة واحدة بإمكانك أيها الكاتب أن تزور الشمال وتسمع بنفسك وبأدلة دامغة وقائع تلك الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب (الكوردي) زمان السلطة الهمجية، وكيف يجرأ (الغيطاني) أن يقول أن السلطة تقوم بعلاج الجرحى وأعادتهم إلى قراهم، فالقرى أزيلت يا عالم، وأن الذين تم إعلان العفو العام عنهم وعادوا إلى منازلهم تم سوقهم إلى معسكرت بحجة ترتيبات تتعلق بأمورهم الخاصة وتسريحهم من الخدمة، اكتشفوا أنهم في سجن كبير، فيما بعد عرفوا أسمه (أبو غريب) !!..

* * *

يريد الكاتب أن يربط القضية (الكوردية) بدولة (إيران) متناسياً أو غير عالم بأن (إيران) هي من قبرت الحلم (الكوردي) ومن يومها راحت دول المنطقة تراقب وتحاصر وتميت كل بادرة حلم، يكتب/ يوضح هذا درجة الارتباط بين قيادة (الملا) وإيران، أن الذي يطلب وقف إطلاق النار هو شاه إيران ثم يلتزم به (الملا) /ص (**120**) لو كان الأمر صحيحاً لما أجبر ـ الشاه ـ (الأكراد)

التخلي عن مطاليبهم، خصوصاً أن ـ الشاه ـ أستغل الموقف لصالحه، كورقة ضغط على حكومة مستجدة قوامها (عسكريتاريا)، لقد قدمت السلطة أجزاء من البلد كي تتخلص من (أبن) يريد الحرية والسلام، لقد وجد (الملا) أن المؤامرة الخيانية ستفتك بالقضية كلها، كان يجب أن يتخذ الحل الصواب ويوافق على وقف أطلاق النار للعمل من مكان آمن وبطرق أخرى لنيل حقوق شعبه، وفي ذات الصفحة يقول/وفي نفس اليوم أصدرت أوامر محددة إلى الطيارين العراقيين وبطارية المدفعية الثقيلة بعدم تدمير الجسور التي تقع في المناطق الخلفية المتاخمة للحدود الإيرانية/ يا ترى لم تركت السلطة تلك الجسور والسدود طيلة فترة الحرب، إذا كانت تمد المقاتلين الأكراد بكل أنواع الإمدادات (اللوجستية)، لابد أن الكاتب كتب ما يمليه عليه شخص غير متمرس بالثقافة النقدية، مجرد يحكي لصحافي كي يأخذ ما هو مفيد، لكن الكاتب مرت عليه مثل هذه الهفوات، كونه دوّن ما يسمع وتسارع لطبع كتابه من غير أن يقرأه خبير كون الأسماء المعروفة تطبع كتبها بلا مراجعة، يقول أيضاً/لإتاحة الفرصة أمام القوات الإيرانية للانسحاب /لو كانت القوات الإيرانية في داخل الفرن لقامت المباغتة من الجنوب والوسط، تلك مثلبة أخرى يسقط فيها الكاتب..!!

* * *

ص (**125**) يقول (الغيطاني)/وهو فردي في قيادته، إرهابي، أنه خبير في تحطيم نفوس من يحيطون به/ربما

وصف من غير أن يدرك سيرة حياة صاحبه (قائد عمليات الشمال آنذاك)الذي جلبه للكتابة عنه، فالأيام كشفت من يستحق هذا الوصف، وهذه التوصيفات تثبت أن الكاتب غير ضليع بقراءة الأوراق المستقبلية، وهو مستقطب للسباحة في نهر يجهله، ولكي ننهي قراءة الكتاب بعجالة بعدما تهرأت حكاياته، وبان الغاية منه، في ص(**170**) يشهد الكاتب بقول (مصري) يريد من خلاله أيهام السلطة ونفخه كي يطير /إن الثورة التي عالجت تلك المشكلة المعقدة بهذه البراعة، سوف تعالج المشكلة التي ستنشأ منذ الآن بنفس القدرة، وأنها تدور حول البناء والاستقرار بعد أن انتفى منها عنصر الحرب/ لقد قلنا بما فيه الكفاية أن الكاتب كان تائهاً في صحراء من غير دليل، كان دليله أعمى، أو مخادع من طراز نادر، ساقه ليسقط تاريخه الأدبي في مستنقع السلطات الدكتاتورية، هذا يكشف لنا التاريخ، أن الدكتاتور غالباً ما يستقطب الأسماء اللامعة من الأدباء كي يتدثر بكتاباتهم ويحقق لنفسه مواطئ أقدام في النفوس، كي يستر جرائره، أين هي حكمة القيادة، أين منجزاتها، ماذا فعلت بخيرات بلد تكفي سد حاجات ربع العالم، لا أيها الكاتب، أن السلطة لم تحتمل السلام والهدوء، جاءت من الشوارع الدامية للحياة، وراحت تبحث عن الحروب، مثل الكلاب المسعورة، لا تقر لها قرار مالم (تعظ)، أو الأفاعي المجروحة، لا تهدأ ما لم تلدغ، كل ما تركوه، بلاد مدمرة، محتلة، جائعة، تحت ديون قاسية، فقط الحسنات الوحيدة التي تركوها، أنهم دفنوا الضحايا مع هوياتهم الشخصية، وفي قبور جماعية، ربما كان

غباء منهم أم أن الله تدخل وأعماهم كي يكشف جرائمهم فيما بعد، كونه (يمهل ولا يهمل)، وإنهم تركوا قصور شخصية تفوق القصور التي تحفل بها (ألف ليلة وليلة)، تركوا بساتين استمدوها من حكايات (شهرزاد) وأضافوا عليها الخدمات التكنولوجية..!!

* * *

قد يسقط الكاتب جراء ظروف قاهرة، وقد تقوده شهواته العمياء إلى مطبات، لكن من يعي نفسه بعدما تتكشف له الأمور ويعلن براءته أو سهوه لابد أنه يرتقي الذاكرة ويجد من حوله مناشير التأييد تنهال عليه من لدن أصحاب القلوب التي تنشد الأعمار والجمال والحرية والعدالة وإسقاط أوراق التهميش والإقصاء، ليجد من تعثر أنه تعافى من أدران الكوابيس التي باغتته في لحظة فقدان الوعي، وأن الجليد لا يذيبه إلاّ (الصفح) كما جاء في رواية (أندريه موروا)..!!

* * *

** (حراس البوابة الشرقية) جمال الغيطاني ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ غير مثبت التاريخ..
ملحوظة مهمة: توجد عبارة (**printed in italy**) ..

اندحار قلاع الصبر

قراءة في قصص/جولة في مملكة السيدة هاء/ لـ[عدنان حسين أحمد]*

/يجب أن تعني القصة ليس فقط الكلمات ولكن ماهو وراء الكلمات/.. بورخس.

كل قاص يقول ما لديه من أشياء بطريقة تحقق رغبته من جهة ومن جهة أخرى رغبة شريحة لها اتصال غير مباشر معه، لا تجيد فن القول، بل تمتلك قدرات معرفية على الاستيعاب والفهم من خلال القراءة، طالما النص حسب تعبير ـ تودوروف ـ/مجرد رحلة خلوية يجلب فيها الكاتب الكلمات بينما يجلب القرّاء المعنى/..منذ البدء يسحبنا القاص (عدنان حسين أحمد) إلى واقع مختلف مشوش، تختنق فيه الوقائع عبر لغة تنزلق كثيراً عن المحور قبل أن ترتد كالسهم إلى قلب الحدث، فالوصف كما يقول ـ فلوبير ـ/ لا يأتي بلا مبرر، بل أن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث/تنثال لغة القصص بطريقة إرهاصية، تستفيد من شعرية الماضي لخلق التوتر الملائم للحدث، واقتحام ذات الشخوص وبالتالي تعبر عن

حالات إخفاق واندحار لتشكل إرهاصات القاص ومعاناته أبان ظروف قاهرة، أجبرته اللجوء إلى الجنس لينغمس فيه قبل تحرير غضبه واحتجاجاته، من خلال قراءة متأنية نكتشف أن القاص يرى الشهوة صرخة الجسد عند وجود دافع أو أزمة نفسية، والشهوة هي بوح من ملاذ آمن، يستوعب المسكوت عنه طالما الوضوح يقود صوب المهالك، كل شيء يتسربل بالشهوة والعبث واللامعقول وهذا بطبيعة الحال سؤال صارخ بوجه الحياة، قد يحاول القاص من خلال رؤيته الاقتراب من وجهة نظر - غوركي -/أن الأدب الروسي هو أدب السؤالين.. من المسؤول..؟ وما العمل..؟ /يريد القاص تحميل الواقع وأصحاب السيادة مسؤولية الانحدار والدمار الذي لوّث النفوس وجرد الإنسان من فطرته العقلانية، فـ(هدى) عاشقة، لا غبار على عواطفها، كائن جميل مسكون باللوعة وسعة أحلام، لكن القدر يرميها ضحية في أحضان زوج غائب، زواج غير متكافئ بين نقيضين، رغم انسلاخها عن ماهيتها نراها ملتصقة بجذورها، تريد أن تنمو، لا أن تشكل (شر لابد منه) تسقط في بركة الإثم لحظة تنهار قلعة صبرها، يخاطر القاص حين يترك القارئ في حيرة، نجد أن الحبيب في (أنقرة) هذا ما تأكده المهاتفة بينه وبين أمه، رغم وجود دليل أخلاقي بيد (هدى) النائمة في مدينة تبعد بأيام عن الحبيب المتلبس بالإثم، ثمة سؤال لابد منه: ماذا يريد القاص من هذه اللعبة..!؟. أنه قول بطريقة ملغزة أو بوليسية بحاجة إلى تحري طالما مغاليق القضية قابلة للتأويل..(وصال) أيضاً نسخة من (هدى) ضحية زواج

قسري، فـ(حميد الناصر) يشبه زوج (هدى) في غيابه وثقل تواجده، وأن (أحمد محمد الناصر) هو القرين لـ(عبد الهادي) عشيق (هدى) ومثلما يشتركان (هدى وعبد الهادي) لدحر الحياة الرثة، كذلك يفعل العشيقان (وصال وأحمد محمد الناصر) بقتل الزوج ورميه في الماء، حالة القتل كما هو معروف لن يحصل ما لم تتهدم/قلاع الصبر/، وما فعل الإثم لدى (هدى) وحالة القتل عند (وصال) سوى انتفاضة للخروج ـ بعد نفاد الصبر ـ من واقع مشلول يغرق تحت مداميك ماض خانق لمّا يزل سلطة الأب واضحة الهيمنة عليه، تنسحب (نسرين) إلى الضحيتين (هدى) في ـ جولة في مملكة السيدة هاء ـ و(وصال) في ـ أسرار مملكة الوهم ـ لكن (نسرين) في ـ نخلات السيد معصوم ـ تنكس لواء أرادتها على ما يبدو أن صبرها ما يزال فيه متنفس، تزوّج قسراً وتمنح العاشق (ماجد الخالدي) فرصة صياغة القرار ورسم لوحة المصير، طالما سبقها في نفاد صبره وانهيار قلعته، في لحظة اهتياج قصوى يندفع نحوها، يقتلها وينتحر، ثمة معادل موضوعي يلجأ القاص بدراية إليه، هذا اللجوء منح قصته مصداقية وواقعية، كما يعرف أن الكوارث (آيات للسائلين) فسقوط النخلات رمز الشموخ والأصالة تحت عصف الريح هو سقوط رمزي يقابله سقوط أخلاقي، وكل سقوط هو نهاية مرحلة، يعني انهيار ثابت استوفى شروط بقاءه، ففي عالم القص، أيّة وسيلة لاستفزاز الذائقة أو ابتزازه من خلال خلق نص مشوش لابد من مبرر، لأن كل كاتب لديه قضية وفي متناول يديه جملة رؤى وأساليب لقولبة ما يريد إيصاله

إلـى الآخـرين عبـر فـن القـول، ومـن حقـه المراوغـة والغمـوض وصـياغة أقنعـة مموهـة لتلافـي التابوهـات، النصـوص لـن تعطـي نفسـها بسـهولة، لأن القـاص يحـاول جهـد مسـعاه عبـور المسـالك الـوعرة علـى حسـاب فنيـة العمل، وهذا مـا يـدفع القـارئ نحـو أبـواب التأويـل وضـياع الكثيـر مـن الحقـائق التـي يريـدها القـاص، لكـن السـؤال : هل يجب أن تنهار أخلاق..!؟.هل بات الحب يتحكم بـإرادة الإنسـان..!؟. فسقوط ـ نخـلات السيد معصـوم ـ لـه مبـرر، أنـه انتصـار زمـن ودحـر زمـن نفـد صـبره مثلمـا انتفضـتا (هـدى ووصـال) بعـد نفـاد صـبريهما والمغـامرة لاقتحـام عـالم يـرفض تحويـل الإنسـان إلـى سـلعة استهلاكية تتحكم بها مخالب الأبوّة، اللجوء إلـى وسـائل القتل تعبير واقعي عـن الفشـل والاسـتلاب وانحـدار الأخـلاق وانهيـار/قـلاع الصـبر/، ومـا قلـق الشخصـيات سـوى تعبيـر عـن صـرخة نهائيـة لتحطـيم السـدود المقترحـة للخـروج مـن مـأزق الوجـود، وحـين ينشـغل القـاص بصـياغة متاهـات للتمويـه أو مسالك لعبور التابوهات لابد أن يترك وراءه مفارقـات أو خروقـات فـي جسـد الـنص، فالعاصـفة كمـا جـاء فـي القصـة تقتلـع ـ نخـلات السـيد معصـوم ـ وتزيـل أسـيجة وتخلـف دمـاراً ملحوظـاً كيـف غـاب عـن ذهـن القـاص أن ورود (ماجـد) تنجـو فـي حديقتـه مـن مخالـب العاصـفة، ونجد أنـه يجلس بـارد الأعصـاب كمـن يفكر بقدوم حبيبتـه لا كمـن هـو فـي طريقـه لقتلهـا، علمـاً أن علـم الـنفس التحليلي يؤكد أن القاتل أو المنتحر قبل وقوع الفعل يمر بأزمـة نفسية حـادة وتـوترات ذهانيـة، بـل أنـه يقطـف وردة ويشـمها، لابـد أن صـبر (ماجـد) لمّـا يـزل فـي لحظـات

تلاشيه، قد تكون مشاكسة من القاص قبل إنزال الضربة الفنية، هل يمكننا أن نستدل أن قطف الوردة هو قطف (نسرين)..؟ ثمة مفارقات قد يريد منها القاص إضفاء السخرية على قصصه طالما هو يسبح في بركة واقع آسن، فأسماء الشخصيات تحمل دلالات إيمانية رغم غرقها في برك الشهوات (عبد الهادي، هدى، وصال، حميد الناصر، أحمد محمد الناصر، موسى، حسين، السيد معصوم، نسرين، ماجد الخالدي، حامد، هيام بنت عبد الله، أحمد العامري، عبد الله، جلنار، عبود، ذكرى عبد المجيد، حسن، وداد، يسرى، نجوى، جيهان، سندس، هند، عادل، عبد العزيز، حميد، جوان عبد المنعم) هذه الموازنة تمنح القصص فرص متكافئة طالما الحياة تقف على طرفي نقيض خير وشر، لم امرأة مثل (هدى) تردد / يقضي الله أمراً كان مفعولا/ في وقت تستعد للسقوط في بركة الإثم بغياب الزوج، التضمينات القرآنية والنفحات الإيمانية، ربما هي أسئلة القاص وحيرته كونه يعيش في موقع مثخن بسلطة الماضي وفروضات الأب، يستعين القاص بجمل جاهزة قد تكون هي من مخلفات عصر الرومانسية، مثل/ألفاه طافحاً بالأنوثة والشهوة القاتلة/.. جمالها الهستيري/.. جمالها الجحيمي/.. نظرتها الشبقية الفاحشة، جذوتها الجنسية اللاهبة/..بعريها الناري/..جغرافية الجسد المحروم/.. ردفين رجاوين.. فخذين مدورين لساقين لفاوين رشيقين/.. هذه التوصيفات قد تأتي هادمة للنص لا خادمة كما يظنها القاص، وربما هو تعبير صارخ لذات القاص تجاه واقعه العليل، وربما طريقة مبتكرة لقول المسكوت عنه، كون

الشهوة مباحة في ظل الدكتاتوريات، بالتالي يقلب القاص أسفل الواقع لرسم المشهد الحياتي، فهو يريد أن يقول هذه إفرازات سياستكم يا سادة، في معظم قصص المجموعة يتسلل القاص أو يتوارى خلف شخوصه، يدفعهم بجرأة قول الذي يريد قوله هو، التحرك بحرية كما كان ينشد، فهو محمل بإرهاصات وكبوات وحيف، يرفض واقعاً يسجن الذات ولن يسمح للمرأة التعبير عن خلجاتها والنظر صوب آمالها، مجتمع ذكوري، سيده المطلق الرجل الشهواني الذي لا يتورع من ارتكاب الخطيئة والقتل لمجرد نزوة عابرة، مجتمع محكوم بالعذاب، لكن للصبر حدود كما يذهب القول، والصبر مصباح الذات حين ينفد زيته ينطفئ الذات ويستحيل الضمير إلى قرش فتاك، يتخبط بحثاً عن إضاءة أخرى، من هذا المنطلق يبدأ القاص رحلة رصد الظواهر المتباينة لشخصيات مشاعة تقف على حافة الهاوية، رغبة هذه الشخصيات هي رغبات للخروج من براثن الماضي، تريد حياة متحررة، وربما هي محاولة لقتل الغضب في الذات تجاه صنّاع القرار، كون الشهوة غضب الجسد والتنفيس الملائم للهروب من المصادمات العلنية، في القصص تجاوزات علنية، علاقات مفتوحة، أزواج لا مكترثون، قتل، خيانات، لا نجد توافق بين الأزواج وهذا دليل اللاتكافئ في ربط المصائر، الزواج القسري لابد أن يولد صدامات حياتية تستحيل إلى عاطفية، لأن ثمة عاشق في مكان قريب، والعشيق في التفسير المنطقي هو المطر المنهمر على قلب يبغي الربيع، في القصص ورود بتشكيلاتها (القداح، الوزال،

الخزامى، الجوري، شقائق النعمان، الرازقي، الياسمين، أرجوان، النرجس/.. هل يعني هذا أن القاص يريد أن يوحي بتواجد الأمل، والمغامرة لابد منها، تعبير منطقي عن جمالية الحياة ونبل مشاعر الشخصيات، وقد تكون انتباهه ذكية من القاص لجعل هذه الأشياء الجميلة معادل موضوعي لما في القلوب من رغبات وأغان مقابل كمية الشر المستفحل فيهم، أن حالة جلوس(جندي) في أخدود أرضي هي حالة يأس من الواقع وإفرازاته، ينسلخ من مكانه روحياً ليستحضر (هيام بنت عبد الله)أليس هروبه من واجبه كمقاتل هو أدانه صريحة للحرب، الجندي يريد الحياة، يريد الخروج من مأزق وجوده العقيم، ينشغل في لحظات سماوية مع الفتاة الهابطة كملاك فوق المنبسط المائي قبل أن يأتي واجبه كمطرقة أبدية تهوي على كل انفلات من مسالك القهر والاستلاب المقرور، النهاية مقنعة، هي فرصة انفلات بحثاً عن ملاذ ـ بعد نفاد الصبر ـ لا يغفل القاص الرتوش المكملة للوحة الجمال والسلام، يستعين بـ/البلابل، العنادل، الحلزون، العصافير، النوارس، الكلب، الذئب، السلحفاة، الجرذ، الأسماك، الثعابين، الحمام، الخيل ، القرش، الحيتان، الغزلان/.. تأتي القصص عامرة بالحياة، الرجل والمرأة.. النبات والطير، لا يبرح القاص الواقع، يمازج جغرافية المكان بتقويم الزمان، يلتقط أمكنة مثل /السعدية.. خانقين.. الأعظمية.. جلولاء.. كلار.. كوكس.. الإصلاح.. أنقرة/.. قد نكتشف مفارقة حين نضع الجمال والشهوات التي يوصفها القاص في ميزان هذه المدن ـ باستثناء أنقرة ـ إذ ليس من المعقول أن تحتضن مدن غير معروفة على

المستوى الجمعي مثل هذه الاضمامات الجسدية والرغبات الراقية، نجد الحلول من خلال قراءة متأنية، ومن خلال نظرة شاملة لسيكولوجية البشر على وجه البسيطة، فالمشاعر والشهوة والصبر هبات فطرية تتقاسمها الإنسانية، وكل إنسان ينظر من خلال واقعه ويفكر منطلقاً من بيئته، والحب من وجهة نظر امرأة قروية هو نفس الحب عند سيدات المجتمع الراقي، والشهوة ضراوتها واحدة وأن اختلفت سبل تصريفها، والقاص وعى ذلك وتعامل بحساسية مع دمج التضاد ورسم الحلول الملائمة لكل حالة أو سؤال، يريد أن يخبرنا القاص من خلال تشابك الأحلام أن العالم بات رهن الأصابع لا كما كان رهن الخيال، فالبشر متساوون متساندون تؤرقهم ذات الأحلام وتختلج فيهم ذات الرغبات، وليس للمكان من تأثير على الرؤى أو تحجيم الأفعال طالما الفطرة الإنسانية هي وقود الزمن، للمكان أيضاً صبر، فكم من مكان زال وأقيم على أنقاضه أمكنة أكثر تحرراً، أجمل وأشمل بصرياً، من هنا نجد أن (قلعة الصبر) هي محور قصص ـ جولة في مملكة السيدة هاء ـ الصبر الآيل للتلاشي جراء رثاثة الأمكنة ورداءة الأزمنة، في ـ رأس يأكله العث ـ والرأس مستودع الحواس، صندوق آيل للانفلاق عند وجود عوارض أو انتهاكات، نجد القاص يتواجد داخل فرن واقعه بلا تكليف أو تهويل، يرسم مشهداً مقارناً للضياع والعبث، الشخصيات تستسلم وتتفق أن المصائر مكتوبة، ليس ثمة داعي للمغامرة، ورغم وجود مفارقة مقصودة نلتمس مصداقية فنية، هذا ما مطلوب من كل كاتب كونه

شاهد عصر سيمضي ولسان حال واقع لا يثبت، هو من يبسط الحقائق ويفرزن الأشياء المتداخلة، وليس في بال قارئ اليوم قتل الوقت أو الهروب من جحيم الواقع كما كان سائداً في زمن ما، لديه من الوعي ما يؤهله لخرق النص وقول رأيه ربما يطابق أو يخالف واضعه، وقارئ اليوم يتسلح بثقافة (سمعية ــ مرئية ـ مقروءة) وهو يبحث عن مكان تواجد كونه يسبح في حوض الواقع المدان، بطبيعة الحال ليس من الضرورة نقل التفاصيل بدقة متناهية كون الزمن يقترح التقاط الشفرات وتأهيلها لضخ الحياة بوقود مساندة لا مربكة، ومن هنا يمكننا أن نصرح أن ليس كل حدث يصلح أن يكون نصاً قصصياً وأن توافرت المقومات، لأن ما قيل من قصص ضاع، وظلّ الكل يتدثر بمعطف (غوغول) ويصغي لحوذي (تشيخوف).. باستثناء ــ رأس يأكله العث ــ تشترك وتتقاسم القصص المرأة والرجل، في قصة ـ الوريث ـ يستفيد القاص من ـ برومثيوس ـ حين يمنح بطله فرصة سرقة النار الإلهي إرضاء لـ(جلنار) يفلح في تطويع اللغة لخلق أسطورة بشفافية عالية، مسترسلة، ثمة إشارة لابد منها، تبدأ القصة بواقعية قبل أن تنقلب إلى ميتافيزيقيا، كان بإمكان القاص الإشارة إلى زمن مؤهل للقص، أو استخدام وسائل إيعاز أو تنبيه أوان الانتقالات كون الأسطورة لا تستند على إيهام وغموض وألاعيب فكرية، ولولا الإنقطاعات المعرقلة لحركة السرد لجاءت ـ الوريث ـ أسطورة واقعية فيها من منافذ التأويل ممكنات ومتاهات، يخبرنا القاص أن الأب عنين، وهذه الصفة يشتركان بها زوجي (هدى ووصال) فعقم الواقع يعقم

بشره، وتشترك قصة ـ كوة الخلاص ـ مع قصة ـ حلم مرمري شفيف ـ في حالة واحدة، الترقب والانتظار، الشخصية أيضاً تنفلت من قلعة المكان ـ بعد نفاد الصبر ـ يهرب صوب ـ سيدة الغزلان ـ لقاء وجداني يحصل، يرسمه القاص بلغة تنهل من الشعر لتفعيل الحماس وجر القارئ صوب النهاية، وهي بطبيعة الحال مفارقة من مفارقات القاص والتي لا تنتهي بانتهاء قصته، غالبا ما تكون عنيفة كسقوط قذيفة مثلاً، الكل يبغي الانفلات من سذاجة الواقع من سجونه من جموديته، مهما كانت السبل، خيانة أو قتل، سكر أو انتحار، كثيرون يرون أن قصة اليوم تنبذ الإنشائية، كون الثيمة تفقد الكثير من قوتها أو صدمتها، داخل طنابة اللغة وتشفيراتها السجعية والتورياتية، وبات العقل محاصراً بانحسار الزمن كونه في شغل دائم، وليس ثمة مجال للتأويل، بيد أن ظروف قاهرة تدفع الكاتب اللف والدوران وربما تسويد صفحات من أجل تمرير جملة غضب واحتجاج، على رأي المثل القائل (المشي شهر ولا عبور نهر) هذه الدوافع أنتجت نصوص استعانت بالشعر كي تأجج المواقف وخلق الموازنات بين سائر الفنون، جاءت قصص ـ جولة في مملكة السيد هاء ـ تسبح على بحر من الكلمات الشعرية اللاهثة، كلمات تم رصفها كما لو أنها قصائد قصصية أو قصص شعرية، يلتقط القاص حكاية واقعية في ـ سر اللازورد ـ (حسن) يحب (ذكرى عبد الحميد) سرعان ما ينقلب على عقبيه وبلا مبرر ليقع في هوى (نسرين) ولكن هل يعني انقلاب الأمزجة ـ نفاد صبر ـ رغبة للانفلات من زمن إلى زمن أكثر أغراء،

نجد تسلل القاص إلى ذات الشخصيات جلية، عندما نتوقف عند/ قال في سره - قالت في سرها /تعبر هذه القصة عن اندحار الإنسان وانسلاخه من جذوره أو ذوبان أرادته وفقدان مفتاحها وهو الصبر، ليغدو كائناً قلقاً تتناوشه أو تستهويه رياح التغير، يحشد القاص كوكبة من النساء في - رجل تطارده النساء - مسكونات باللوعة محترقات بالحب، يتهامسن ويتغامزن بما فيهن من كلام شهوة، ثمة سؤال: هل بوسع فتاة من واقع مخنوق أن تبوح علناً بما تختلج فيها من التياعات الغرام أمام (عبد العزيز) دون جوان الكاتب..!؟.أم أنها حالة فقدان أو - نفاد صبر - امرأة تبغي الخروج عن مألوف العادة، أما (وداد) تشكل امتدادا لـ (هدى ووصال وربما نسرين أيضاً) كونها ضحية لزواج غير متكافئ وأن (وداداً) تنجب مسخاً يلتهم كل شيء إلاّ (هي وعشيقها) يقودنا هذا التطرف في نهايات القصص إلى حالة واحدة، الهروب من الواقع أو ما أطلقنا عليه ـ نفاد صبر - والقصة القصيرة لا تحتمل الاشتغال على ترميزات مختلقة لا تدنو من الواقعية المشاعة أو تبث ثغرات أو نوافذ إلى قلب المراد قوله، حرص القاص من خلال شخصيات سأمت الحياة الراكدة، انهارت/قلاع صبرها/واختارت الثورة كحل حتمي للخروج من المأزق، كل على طريقته ووفق رغبته، طوت القصص إدانات صريحة وبطرق مختلفة عن واقع حال المجتمع والسلطة، ولا أعرف كيف سمح القاص أن تنفلت من بين يديه بعض الثوابت الحياتية، مثلاً السماح لـ(ماجد الخالدي) أن يقتل (نسرين) ويذهب إلى المنزل وينتحر،

كـان الأجـدر أن يؤهلـه فنيـاً ويجعلـه الانتحـار قـرب (جوليتتـه) ليغـدو (روميـو) آخـر فـي كتـاب العشـاق، ولا أعرف كيف سمح بذلك إلاّ إذا كـان هنـاك بقايـا صبر فـي كيانـه المتزعـزع، وكيـف جعـل مـن (حسـين) أن يرتـدي هنـداماً وهـو فـي حالـة سكر قصـوى، يجـد سيارة يقودهـا بهدوء ويتعرف علـى (موسـى) فـي ـ رأس يأكلـه العث ـ ربمـا قصـة ـ النافـذة ـ لا تحتـاج لهكـذا أسـلوب شـعري انسـيابي، لتكملـة فنيتهـا، فرسـالة (عـادل) لا تشـكل سـوى قـدر عـابر تناوشـته الأقـلام فـي أزمنـة الرومانسـية المنقرضـة، ولا تختلـف ـ فصـول موحشـة ـ عـن بقايـا أخواتهـا (جـوان) ضـحية (عمـاد) تـرتبط مـع (عبـد المـنعم) بعلاقـة خـارج بيـت الزوجيـة، فـي صـالة رقص يتم اللقـاء والمكاشـفة، قـد لا تنسجم هـذه الأجـواء مـع الواقـع، كونـهـا مـن مخلفـات العصـر البـاروكي والصـالات الباريسـية المفعمـة بالخيانـات والدسـائس، ربمـا هـذا يؤكـد مـا أسـلفنا مـن وصـف حـول رؤيـة القـاص للعـالم مـن خـلال دمـج التـاريخ بـالجغرافيـة وتلبـيس الشخصـيات رؤيـة موحـدة دون اللجــوء كمـا يفعـل المؤرخـون إلـى التقسـيم الأتنـوغرافي للصـفات والمشـاعر، ومـا يجـري لـ(جـوان وعبـد المـنعم) هـو مـا جـرى لشخصـيات القصـص مـن محاولـة تـدمير الـذات القديمـة والـدخول إلـى عـالم الحلـم واللذة والضـوء السـاطع بطبيعـة الحـال بعـد ـ انهيـار قـلاع صبرهم ـ يتضـح لنـا مـن خـلال هـذه القـراءة الشخصـية أن القـاص ربمـا بـوعي أو بـلا وعـي قـد ألتقط فواصـل حيويـة عند أصحاب النزعـات التدميرية لجماليـات الحيـاة، مرعبـة هـي الصـور التـي يرسـمها القـاص، وهـذا يعنـي أن الملكـة

الشعورية للقاص مثخنة تنزف الدم بدل المداد، وهذا ما يؤكده ــ كوليردج ـ /أن الشعور هو الذي يمنحك الصور/وهل يعني أن القاص حقق بجمالية محكمة ما ذهب إليه ـ فارغاس يوسا ـ/أن القصة القصيرة هو فن الكذب/..!!

* * *

* جولة في مملكة السيدة هاء/قصص ـ عدنان حسين أحمد ـ دار أزمنة **1996** عمان.

تحقيق الرغبة..

في رواية (غسق الكراكي)

لـ (سعد محمد رحيم)*

س : ما الذي دفعك لكتابة روايتك الأولى..!؟

ج : الطموح لكتابة رواية..!!.. (كلود سيمون)

* * *

تعرف الرواية على أنها عالم متكامل غريب مبهم الجغرافية، يتوجب على السائح/القارئ/معرفة لغة هذا العالم الشائك والشيق بطبيعة الحال، قبل أن يتجشم عناء مغامرة قد تدفعه مفاجأة للحيلولة عدم مواصلة رحلته الاستكشافية لمعرفة تضاعيفه الحافلة بالأسرار، والرواية الناجحة كما يذهب (كولن ولسن)/تبني التوتر ثم تسمح بالانطلاق كالرعد/.. ينطلق (سعد محمد رحيم) من شرارة تلهب أفكاره وتشحن رؤيته بممكنات تؤهله لبناء نص روائي حر يناظر ـ وفق الأساليب الحديثة ـ الواقع ويتلاحم معه، هذه الشرارة يطلقها (كمال) الشخصية التي يجدها الروائي مناسباً ليتوارى خلفه، يتمكن وعلى لسانه طرح همومه أو التعبير بحرية أكثر

عمّا يؤرقه، لقد كان (كمال) شرارة ملهمة منحت الراوي عتبات تقود إلى شواطئ تعج بلآلئ تبحث عن يد مدربة بإمكانها أن تبهر لو تم إعادة صياغتها بما يناسب فضاء السرد الإبداعي، حيوات مشحونة بتوترات حميمة وباقة أحلام متناسقة تبحث عن فضاء أو إناء يستوعبها.. يقول (كمال)/حلم حياتي الكبير أن أكتب رواية/ ثم يضيف/ الرواية تساوي الحياة ومن لم يترك رواية قبل أن يموت كأنه لم يعش/(ص **11**) .هذا الحلم الكبير يحتاج إلى مرجعيات شائكة، وربما إلى حد ما ثقافة موسوعية وتجارب حياتية مريرة، مع قدر معين من موهبة قابلة للانفجار، إذا ما تمكن من فض المسلك السليم للوصول إلى شاطئ الإبداع، لا يملك (سعد) بديل (كمال) إلاّ قلمه ومشعل مغامرة وقودها رغبة صادقة لمواصلة المشوار، يكتشف أنه مسكون بأرق البحث عن تفاصيل متناثرة في أزمنة وأمكنة وفي ذاكرات قديمة، ثمة سؤال يلح: هل يريد (سعد) تحقيق رغبة (كمال)..؟؟أم هي غيرة فجرها (كمال) فيه لكتابة رواية وجد أشلائها متواجدة لا تكلفه سوى رحلة تقصي الحقائق لملئ حقيبته بالتفاصيل قبل تشكيلها كنص حياة، تشير السيّر الإبداعية أن الروائي الناجح هو من يزور مواقع أحداث روايته إن لم تكن تلك المواقع مواطن طفولته وله فيها مقابر آلام وسلال مشاهد، عليه أن يغامر ويخاطر من أجل هدف نبيل، فكتابة الرواية كتابة تاريخ حقيقي غير قابل للتزوير أو حذف ما هو فاضح وخادش، والروائي عبر منجز تراثي هائل تبين بما لاشك فيه أنه شاهد عصر ومؤرخ الجوانب اللاإنسانية من

إفـرازات ومظـاهر تصـنعها تيـارات تتسـيد رقـاب كـل مرحلة، هكذا فعل كبار الروائيين قبل أن يخلدوا لنـا مـآثر لمـا تـزل تثيـر اهتماماتنـا الفكريـة وهـي بالتـالي تـواريخ تنضـح بالحقـائق لعصـورها، فزيـارة المكـان الروائـي أو تخيلـه تمـنح فرصـة مثاليـة لتوزيـع الأدوار بشـكل غيـر مربك، وتمنح إلى حد معقول (الصدق الفنـي) للنص، ولن يفلـح من يجلس فـي غرفـة ويستسلم لخيالـه كـي يقوم بـدلاً عنـه فـي جلـب أو لملمـة أجـزاء قـد تتضـاد مـع الفكـرة أو تتقـاطع مـع طبيعـة الشخصـيات وربمـا تتنـافى مـع عقـول المرحلة ومـا تليهـا، هل يفلـح طبيـب معالجـة مريضـه دون معاينته والكشف عليه قبل تحرير عقاقير شفاءه.

* * *

ينطلـق (سـعد) صـوب تلـك الأمكنـة الطفوليـة النائيـة، يبحث عن شخصـيات يعرفهم هو ويعرفون (كمـال) جيداً ولهم معـه حيوات، يمكننـا أن نقول أن (كمـال) هو (سـعد) وهذا ما يشير إليه الـراوي (ص**50**)/كمـا أن مـدام بوفـاري هـي فلـوبير/ يسـتند علـى شخصـيات يعـرفهم، متواضـعون متسـامحون، لهـم ذاكـرات عفويـة، مـا زالـوا يتمسـكون بفطـرتهم وبسـاطتهم يعيشـون فـي مكـان لـم يبـرح تلقائيتـه الأولـى، ممـا كسـبت الروايـة صـفة الشـعبية، وسـمحوا بـدورهم بدرايـة أو بـلا درايـة الـراوي اللجـوء إلـى جملـة أسـاليب فـي تنـاول التفاصـيل المتشـعبة لماضـي (كمـال) العاشق والحالم والمغامر، هذه الأساليب طوّعت الأشلاء المبعثـرة لخلـق فضـاء روائيـاً حفلـت بشـاعرية دفعـت الروايـة بمسـار غيـر ملتـو إلـى أمـام، معتمـداً علـى سـرد

متداخل، تارة يمتد وطوراً يتقلص، تارة يندفع وأخرى يرتد، مما جعل القراءة لاهثة، وجاء كبديل لابد منه عن الإغراء وحافظ على عدم إملالية النص من جهة أخرى، ربما أقترب أو بالأحرى استفاد (سعد) إلى حدٍ ما من مقولة (كولن ولسن)/الأسلوب التوثيقي هو الترياق الكامل للرومانسية/. حسناً فعل حين تجنب السرد الأفقي كونه رحلة مستقيمة في صحراء إن جاز الوصف، ليس ثمة مجال للوقوف أو الرجوع، متاهة ما بعدها متاهة، هذا الفاصل يحيد عنه الراوي بطريقة ماكرة وخادمة لخلق نصه الحافل بالإغراء والتوتر، يلتجأ إلى رسائل (كمال) وحاجياته في صندوق قديم حافظ على يد الكاتب على رائحة (كمال) وكل أحلامه المؤجلة، براءته، مغامراته الغرامية، ما عشق من كتب، قد تكون مقاربة متوازنة وعلانية من قبل الراوي، فاللجوء إلى الذاكرة وما هو راقد فيها من مواقف وذكريات، تقابل اللجوء إلى صندوق يحوي الأشياء الغامضة والسرية، في ذلك الصندوق يتم العثور على أشلاء ـ رواية ـ لم تكتمل، كانت رغبة صادقة ووثابة قمعها الزمن ومنح الفرصة لـ(سعد) البديل الممكن لاستكمال المشروع الحلمي لـ(كمال)، فالرواية مكتوبة أصلاً في الزمن لكن فصولها متناثرة في أمكنة وذاكرات ما تزال متواجدة أو وثائق غير ممحية، أنها تشبه إلى حد ما عملية لصق أجزاء صورة ممزقة، البارع وحده من يرجع الأصل بفراسته ومثابرته.

* * *

تبدأ اللعبة الروائية بعملية لملمة الجذاذات المتناثرة، عبر لغة صادمة أحياناً تنزلق في سياحة شعرية لتحميل المتن جواً رومانسياً، كون الثيمة تعالج حلماً غاطساً في رحاب علاقات عاطفية وإنسانية حفلت بعفويتها، ومن خلال جملة محمولات ينثرها الراوي في بقع يجدها محطات ضخ الروح لقطار رحلته، بإمكان الدارس أن يستنتج أن (سعداً) هو(كمال)، (من خلال زج طروحاته بخصوص كتابة الرواية غالباً ما تتمرد شخصيات الروايات على مؤلفيها وتصبح صعبة السيطرة عليها)(ص**13**) ويضيف في (ص**26**)(المهم هي الطريقة..طريقة الكتابة..الأسلوب) لنرى ما الذي يقوله (كولن ولسن) (الأسلوب يهتم بنفسه عندما يعلم الروائي ما يريد قوله) لنعد إلى (سعد) ما هو دافعه لكتابة هذه الرواية (لأثبت أن كمالاً قد عاش) (ص**12**) ويؤكد رغبته (استناداً إلى أية قواعد للصيغة يمكنني أن أبتكر كمالاً في رواية) (ص**17**) تتولد لدينا رغبتان متداخلتان، رغبة (كمال) لكتابة رواية، ورغبة (سعد) لكتابة رواية أراد (كمال)كتابتها، يقترح (سعد) (كمال) النول الذي ينسج حوله رداء رغبته، رغب الراوي أن ينفرد أو يتخلص من فكرة تحقيق رغبة (كمال) لكتابة رواية كي يعيش أبداً كما جاء في مستهل الرواية، (يمكنني أن أبتكر كمالاً في رواية) بيد أنه سرعان ما وجد نفسه يلهث بحثاً عن كل تفاصيل حياة (كمال) الذي بعث جذوة الشرارة ووزع أشلاء حلمه في أمكنة متيسرة الغوص فيها، لا تلين عريكة الراوي، يجتهد لإثبات كينونته وصنعته الروائية (كيف يكون الأمر مع شخصية حقيقية) (ص**13**) محاولة

لإقناعنا أن العمل السردي يتطلب اللجوء إلى الخيال واجباً إلزامياً لصناعة فنية العمل وسحريته، والرواية المفعمة بروح الخلود كما هو مألوف لا تحقق شعبيتها من واقعيتها السطحية، لابد من صنعة محكمة ولمسات فنية تبعث نشوة الانسجام وتجذب الحواس وتستفزها، لابد من فواصل إقناع، موجبات صراع ونتائجها العقلانية، أن تشكل مع المتلقي وسيلة اتصال لا مرئي وحوار ودود، أن تمنح أجوبة لأسئلة قابعة في ذات القارئ الولهان، ثمة حالة غالباً ما يغيبها أو يقصيها الروائيون في الكثير من أعمالهم، حالة توازن الأضداد والنقائض، فالحياة كما هو معروف قائمة على شطرين متكافئين، حرب وسلام، ليل ونهار، خير وشر، بعث وموت، أنثى وذكر، صدق وكذب، يبقى فاصل الجذب بين الطرفين هو المحرك الأساس لديمومة الحياة وجماليتها، لكل فعل رد فعل يساويه قوة ويعاكسه اتجاهاً، كيف لم يلتفت الروائي لهذا الفاصل الحيوي وتوظيفه كحق عن مشروعية الحياة وسر انبعاثها وتجديدها، كثيرة هي الروايات التي فشلت كونها سارت على مسلك أمين، هاملة الجانب الجاذب الموازن والخادم لتفعيل النص وشحنه، فزج شخصيات مضادة تمنح فرص متكافئة لخلق حوارات تحاول هدم فكرة الروائي، شخصيات تعاكس وتخاصم، تفند وتقصي، تخلق صراعات جانبية تحاول إرباك أو عرقلة إيصال الفكرة، مما تفتح أمام المتلقي حلبة صراع، ما بين راوٍ يريد إقناعه وآخر يخلق أجواء مشوشة له، فالرواية هي (دعني أخبرك ما يحصل)كما هو مشاع، ينتظر المتلقي النتيجة النهائية

مشدوداً، كي يضع النص في موقعه المناسب، هنا أيضاً بإمكان الراوي أن يجد فرص متوفرة للمراوغة للتخلص من مطبات وعراقيل الشخصيات المضادة، والتي وجودها ملح لابد منه لتعقيم الرواية من الروتين والملل، وربما فرصة مناسبة لدفع المتلقي ليكون طرفاً مشاركاً أو حكماً على ما يجري، ومساحات أوسع لتبرير المواقف وقيادة سفينة الثيمة عبر مسالك متشعبة هي في النهاية ترسيه في بر الأمان، هذه الفواصل دفعت روايات كبار الكتاب نحو خلودها، روايات/دستوفسكي وتولستوي وفولكنر وهمنغواي وكازانتزاكس/، كانت حافلة بصراعات فكرية بين شخصياتها، منحتنا فرص ممتعة لنكون مشاركين مستفيدين، (سعد) لم يلتجئ إلى هذا الفاصل، يقترح أسلوباً متناوباً مقتضباً مبتوراً أحياناً، سريع التحول من وإلى، بين ماض مغر يجذب ورغبة تستعر كلما اندفعت الرواية صوب متاهات ومقتربات من ميراث (كمال)، هذا الأسلوب منح الرواية فرص قراءات متوالية هندسية، قبل تكوين الجواب النهائي حول (تحقيق الرغبة) في (غسق الكراكي)، هذا ما يطرحه الروائي (لذا فأن هذه الرواية ستبقى تكتبني ما حييت) (ص**150**) يزرع الكاتب عدة كاميرات ويستنفر ذهنه.

1ـ كاميرا لرصد حياة (كمال).

2ـ كاميرا متنقلة تبحث عن حوارات وعن أسرار دفنتها الطفولة في نهر مدينته أو في ظل أشجار البساتين وربما في طوايا الجدران.

3ـ كاميرا تطارد رسائله، تلك الأسرار الأكثر شخصية.

يولي الحريق اهتماما ملحوظاً كون الحياة عبارة عن حرائق متلاحقة مشعلها ووقودها الإنسان، لا فرق الرغبة تساوي الحريق لكل مبرراته وأسبابه، كما للنهر دلالته في الرواية كونه دافن أسرار، وكان لـ(كمال) مع رفاقه في أزمنة متباعدة رغبات جرفته النهر في قيظ الظهيرات اللاهبات، كل مكان ممكن أن أحتفظ بشيء ولو برائحة أو كلمة وربما همسة انفلتت من بين شفتيه، صار هدفاً مغرياً لـ(سعد) وهو بطبيعة الحال لا يريد كتابة سيرة مختزلة، أو رواية عابرة، يريدها رواية حياة وحلماً قائماً تؤكد أن (كمالاً) أو (سعداً) قد عاش، التفاصيل الحميمة تزيد من ضراوة النص وتدفعه إلى الأمام، (كمال) باعث شهوة الكتابة هو خارج الزمان والمكان، لم يترك سوى خطوط كافية لتحقيق رغبة، رغبته أو رغبة من يحقق رغبته وربما رغبة من يبغي قراءة رواية، (غسق الكراكي) رواية رغبات، رواية بوليسية، رواية تحري، رواية رحلة بحث عن حالم كبير خنقه ظرف طارئ، رواية رحّال يسافر عبر طرق شائكة، يرغب أن يحقق رغبة، فالرواية كما أشرنا مأمونة مصانة مفاتيح الولوج إلى أسرارها متروكة، وحده (سعد) أمتلك الشفرات السرية، وراح ينقب بطريقته النادرة كي يرتق المعطف الذي أراد (كمال) ارتداؤه كي يخلد، لا فرق إذاً لدى الطرفين، سواء حمل الغلاف أسم (كمال) أو (سعد) فالمتن يحرره الراوي، (كمال) يسرح ويمرح في خياله، يتدخل في أوقات حرجة ليدس معلوماته عن سبل إنقاذ الرواية الحاضرة من مخالب التكرار والتسطيح، فهو لديه رغبة سواء لتحقيق رغبة

(كمال) أو رغبته الخاصة، حول نظرية كتابة الرواية الحديثة، من خلال أسلوبه المتقافز كما ألمحنا، ليس بالضرورة أن تكون الرواية مدونة، هناك من ترك حياة ملحمية تسرطنت في الأذهان ومضت من جيل لجيل تنتقل شفاهاً، قبل أن يزحف عصر التدوين ويأسر تلك الملاحم في أقفاص الورق ويجردها من التشظي المتنامي عبر الأجيال، قد تتغير الكثير من موجبات الشرارة الدافعة لخلق التوتر، مما يجد الراوي نفسه في دوامة شكوك، قد يغير من فكرته أو رغبته، (ماأعنيه هو أن كمالاً مثلنا جميعاً، كانت له أخطاؤه وشطحاته وخطاياه) (ص**26**) يمنح الكاتب شخصياته حرية وطرائق تعبير دون أن يتكفل هو التعبير عن ما يريده، لا يجبرهم أو يحملهم أفكاره كما يفعل البعض من كتاب الرواية، يبيح لهم قول ما يبغون قوله حتى لو كانت خارج حساباته الروائية، فهو مشحون بجملة أسئلة، تشكل لديه إرهاصات لا يريد البت بها، وفق قناعاته أنها تربك نمطية السرد وانسيابيته وبالتالي يرتبك الإيقاع، يتجنب الخوض في مستنقع المفاجآت، كنت أرجو أن لا يهرب من ذلك، طالما الروائي عليم بما هيأ من دروب خلاص وسبل إقناع، (السؤال هم ضاغط في النفس، ولو كان متاحاً الجهر بأسئلتنا كلها لكان العالم غير هذا العالم، السؤال يغوي أسئلة أخرى) (ص**104**) هل حقاً يخشى الروائي قول الذي في باله..؟؟ أم عليه أن يبتكر وسائل ومسالك تجنبه الفخاخ المنصوبة لقنص أصحاب الأقلام المتحررة، كي يعبر عن فكرته دون ترك الإجابات لتؤرق ذاكرة المتلقي وبالتالي يحرمه من فرصة المتعة

المرجوة، أم أن (سعداً) يريد أن يؤكد أن ما يدونه ليس رواية أسئلة انسجاما مع متطلبات مرحلة الكتابة، دفعاً للتأويل المضاد، وهو يدرك أن الباحثين عن الروايات غالباً ما ينشدون محطات تعج بأجوبة للذي يحصل في عالم اليوم، لذلك يدفع عن نفسه بهذه الجملة أنفة الذكر شر المتصيدين في بحار الكلمات بحثاً عن مصابيح الحقيقة، الهم يسكن الراوي ويقلقه لذلك يراوغ ويخادع بتنقلاته، فهو يعلم أنه قادم للتعامل مع أشياء قد لا تسر، لابد من وجود أسرار تخدش حياة (كمال) أو حياته كون العرف السردي يؤكد أن كل شخصية هي إطار واهن للسارد، وهو يدرك أنه أسير مجتمع لم يتحرر بعد من خصوصيات الماضي بعد رغم الفاصل الزمني الطويل، مجتمع لامع بيد أنه لا يتعامل بعملة الصراحة، الكاتب يريد أيضاً أن يبعد الأذى عن شخصية (سارة) أيضاً، وهذا مايدفعنا أن نمسك بشخصيات حقيقية لما تزل حاضرة لذلك يخشى (سعد) البوح بكل ماهو سر أو له خصوصية معينة تخرق الفضاء الأخلاقي كما تحسب له قبل الخوض في رحلته، (سارة) شخصية مهمة وشاهدة للكثير من أسرار (كمال) و(سعد) يشعر بتأنيب ضمير حين يكتشف أن الأسئلة تحدث خدشاً لها (أكون قد دفعتها إلى دائرة التعذيب) (ص**104**) تأكيد واضح على أن (سعداً) هو (كمال)، وإلا كيف عرف أن أسئلته ستحدث ماتحدث لها، يترك (سارة) وفي لوحاتها الكثير من أجوبة وتفاصيل ودودة مزجتها برغباتها عبر تلاوين عاطفتها، تعبير واضح عن إيروسيتها، عن تمازج رغباتهما الجنسية، هنا لابد لنا أن نترك (سارة) (غسق الكراكي) ونبحر قليلاً

باتجاه (سارة) (جون فاولز) في رائعته (امرأة الضابط الفرنسي) لنكتشف أنها أيضاً أسيرة ماضي يكويها، ماض حافل بأسرار مؤرقة، هذه الأسرار دفعها للعزلة في مجتمع صارم يفسر الأخلاق وفق قواعد تحرسها مخالب لا ترحم، ونجد أن الروائي (فاولز) هو من سبق (سعد) في شحن روايته بخصوص نظرية الكتابة الروائية وتوضيح قناعته بالأسلوب المقترح لبناء هرم النص، وهو يقول (أنني أعلم أن سارة في سياق واقعية روايتي ما من شانها أن تكفكف دموعها وتميل إلى أسفل وتقدم فصلاً في الاعتراف) ويقول (ص**126**) أيضاً (أن نساء عصريات من مثل سارة موجودات ولم أفهمهن قط)، كلتا (السارتان) تحملان أسرار شخصيتين عسكريتين غابا، أحدهما برحيل عبر البحر وآخر عبر الحرب، تلاعب (سعد) بكلمة (البحر) وجعلها (حرب)، ولنا حول هذا الآتونين وجهة نظر لاحقة، ما الذي دفع (سعد) إلى هذه المغامرة إذاً، إذا كان دافع (فاولز) هو تبرير عمل إنساني نبيل تطور بفعل ظرف طارئ إلى عمل خادش للحياء في عصر التقاليد الصارمة لمجتمع متزمت هو المجتمع البريطاني ، فما هو دافع (سعد) لكتابة (الغسق) واتخاذ شخصية رقيقة مماثلة أو مناظرة ولها نفس الدرجة لكتمان ما يسكنها من آلام..؟؟ هل كانت مجرد رغبة محض غير مكتملة من الجوانب القدرية دفعته اللجوء إلى خيال رحب لم يستخدم (فلترات) التجنب من السقوط في آبار حفرها كتاب آخرين..؟؟ أم فقط أراد أن يحقق رغبة (كمال) كما يدعي مستنداً على قواعد اللعبة الروائية كما يصرح بذلك..! وهل كان يعلم أن (كولن ولسن) حدد الملامح الأساسية لمفهومية الرواية (يمكن

اعتبار الرواية طريقة لاكتشاف قوانين العقل البشري من خلال التجربة الفكرية) يقول (سعد) (وأنا أعرض حكاية كمال مع هذا العالم، أجدني إزاء الأسئلة الوجودية الصارخة، أسئلة الذات، والحياة، والحرية، وآخرين، والغربة، والمصير، والموت)(ص**105**) مرة أخرى يجد الكاتب نفسه محاصراً بأسئلة هي متعلقات يومية لعالم لا يرحم، نستنبط خشيته التوغل أكثر لمناطق الغموض والتي تعطي تفاسير شتى، يكتفي بتلميح دقيق حول هول الأسئلة، فالذات الإنسانية غالباً ما هو رافض وغامض ومناهض وغاضب، والحياة تمزقها مخالب اليأس ومقامع الوحوش، لا حرية بطبيعة الحال، يكتفي بكلمة (صارخة) لينجو من أجوبة الرواية الحديثة المطلوبة والتي هي سباحة في برك الشياطين، يريد (سعد) (تحقيق رغبة) ليس غير، لابد من مغامرة والمغامرة تغوي وتغري وفيها اكتشاف ما هو صادم ومفيد، أو إخماد شهوة ملحة تعمي بصيرة حاملها وتشحنه برغبة أسطورية لتحقيق الهاجس المقلق، يستفيد الراوي من طبيعة لغته، اللغة الموجزة الموحية، لغة تتشرب بالشعرية كونه يتعامل مع رغبات وتفاصيل حياة، وأنها تحافظ إلى حدٍ معقول على إيقاع السرد، بالتالي تغري القارئ قبل أن تدس محمولات الرواية في ذهنه، كلما تندفع الرواية خطوة باتجاه المرفأ، تتكشف أوراق تحتاج لدربة فنية لصياغة قيافة الرواية، يراوغ (سعد) بين ماضٍ يلهث إليه واللجوء إلى مذكرات هي لعنة زمن وهي أجوبة لأسئلة كان يخشاها أو يريد أن يتحاشاها ضمن السرد، أيام معجونة بالنار والقنابل والموت، والروائي العليم، الضابط لأدواته البنائية، ينأى عن السرد المباشر

حين يتعامل مع المواضيع الحيوية والتي هي وقائع مرحلة ساخنة، وصناعة أو خلق أي نص إبداعي يتطلب عصا سحرية، هذه العصا هي الرغبة الصادقة كما يقول (كولن ولسن) (سر نجاح الرواية في القرن العشرين تحقيق الرغبة)، لنعد للمذكرات نجدها فواصل إرهاصات تتوالد إزاء مواقف متأزمة، تنتجها الحياة لحظات التوتر ووجود خرق في القوانين، تشكل فقرات متناثرة لحياة (كمال) أو (سعد) قد تدفع هذه الفقرات الرواية باتجاه نغمة (التعبوية) التي لوثت نتاجات مرحلة ساخنة من عمر البلد، ومن خلال قراءة تحليلية نجد أن تعبويتها جاءت إلى حد مناسب مقنعة، من خلال فقاقيع جرأة يضخها الراوي خلال سرده المتقافز، هذا الأسلوب جعلنا نتوزع بين رغبتين، رغبة معرفة حياة (كمال) ورغبة ما يريده (سعد) قوله من خلال تحقيق رغبة (كمال) عالم شاسع خاضه (سعد) وتمكن بعد رحلة موفقة من ابتكار (غسق الكراكي) رواية عراقية فلتت من نمطية ووتيرة التقليد رغم ما طوت من فواصل يمكن تجاوزها، لم يكتف بتحقيق الرغبتين فحسب بل منح فرصة ثمينة للقارئ أن يحقق رغبته بقراءة رواية ممتعة، هي رواية رغبات ورواية تعليمية، تتناظر إلى حد مدهش مع رواية (قصة غريق) لـ(ماركيز) من حيث الغرض، (ماركيز) أيضاً تستعر فيه رغبة الكتابة عن (غريق) يمتلك حياة حافلة بماضٍ عجيب أطلق شرارة لحظة غرقه، وكان قلم (ماركيز) المجداف الذي أبحر عبر مغامرة شيقة لإنقاذ رواية كانت من الممكن أن تضيع، رواية متناثرة دهم بطلها (الغرق)، لا فرق إذاً بين الحرب الذي لاك (كمال) والبحر الذي لاك غريق (ماركيز)، الحرب الذي أسأم حياة

(سارة) (سعد) والبحر الذي بدد أحلام (سارة) (فاولز) البحر والحرب كملة قدرية مهولة (تم تغير مكان حرف الباء فيه)، ومثلما الحياة حريق فهو بحر مجهول أيضاً، البحر والحرب يلتهمان الإنسان كل بطريقة مرعبة وصادمة، لم تبارح الواقعية ذهن (سعد) نراه يلتجأ إلى البساتين والنهر، النخيل، جبهة الحرب، الصندوق، الأصدقاء، الرسائل اللوحات، فالواقعية هي الرحم المنتج لكل عمل إبداعي، بدون مكان لا حياة، وبلا حياة لا تكون هناك تفاصيل حياة أو رواية، وكان موت (كمال) حالة منحت الرواية العافية ودوام (البقاء)، مثلما فعل اختفى (ضابط) (فاولز) أو موت (غريق) (ماركيز) الشخصيات تموت والحياة تتواصل، كون الحياة هي رواية الروايات، ثمة نقطة حيوية تخدش الذاكرة، محافظة المفتاح المعلق في فروة النخلة على بريقه، كما جاء في الرواية، يجعله (سعد) صامداً بوجه أعاصير الزمن وقسوة المناخات المتلاحقة، ربما غاب عن ذهنه أن النخيل أشجار تتعرض لحلاقة إجبارية كل موسم قبيل التلقيح، كيف تمكن مفتاح من معدن لدن قابل للصدأ أن يجابه مواسم لا ترحم من أمطار غير منتظمة ورياح مغبرة وشمس تنقض بوحشية لتلتهم الحديد واللحم، وكيف فلت من أيدي تسلقت لإزالة توحشات السعف، يبقى سؤال المفتاح مفقوداً في ذهنية المتلقي، وسؤال تشابه (السارتين) وتناظر الرغبتين، رغبة (سعد) ورغبة (ماركيز)، ثمة ميزة مهمة تسقط الرواية في سلة الضعف الفني، هي العجالة في الكتابة، غالباً ما يجد الكاتب نفسه أسير حمى لا تدعه يلتقط أنفاسه، يشعر بهم ضاغط يدفعه لتفريغ حمولة ذهنه، الأمر

الذي جعل النهايات للكثير من الروايات مبتورة أو ناقصة وربما منفلتة من سحر الإيقاع وخارج الخطوط البيانية لسياق البناء الروائي، أعتقد أن هذا الخطأ الفادح سببه كما أسلفنا هو عدم إشراك شخصيات مضادة تقوي من متانة البناء الفني وتضخ السلامة الفكرية للنص، هذه الرواية توفرت لها فضاءات ساحرة للسياحة لتشكيل الكثير من الأسئلة وحصد باقة إجابات حول إمكانية تعبئة الرواية التعبوية بأشواك تدفع الغاية باتجاه مضاد لهدف إشاعة هذا النمط الروائي أوان المنازلات الحربية، تمكن (سعد) أن يقول أو يصرف غضبه بهذه الطريقة، كونها المسلك الوحيد لقول ما يبغي قوله، أسر لي الكاتب ذات يوم أن الشاعر (سامي مهدي) كان خبيراً لروايته، كان معجباً بها لحد الذهول، وأعلمه بموافقته على طبعها، لكنه تمكن أن يقصم ظهره، حين أجهز على ضربته الغاضبة في نهاية روايته، أزاح جملة كانت حسب قناعته غاية في الأهمية (من الذي قتل كمال، الله أم نحن أم.....!!) أراد الكاتب أن يقول أن أصحاب الأحلام النبيلة هم أهداف أكيدة للموت من قبل صنّاع الشر، في بلد أجهز على كل مصباح تنوير كونه ينير الضمائر النائمة، نجد أن الرواية تحتاج لجزء ثان، طالما أسئلة الكاتب زمن كتابة الرواية ظلت تؤرقه، بإمكان (سعد) أن يفترض أن (كمالاً) لم يمت، كأن الجثة لم تكن جثته، هذه الحالة كانت واقعية وكم من عائلة دفنت جثث محترقة أو أشلاء تجلب ممزقة داخل صناديق غير مسموح فتحها، جثث كانت ليست لأبنائها، وأنها باب مفتوح لميلاد إدانة أخرى ضد طلاب الحرب ومشعليها، عودة (كمال) صحوة ممكنة لميلاد فجر جديد من خلال رحلة أخرى يقوم

هو هذه المرة بحثاً عن أصدقاء رحلوا، أمكنة تم أزالتها، مذكرات لاكتها أنياب التغير وسلبيات الحرب، هذا الأمر متروك لـ(سعد) إن رغب تشظي رغبته الأولى منطلقاً من (المبدأ الأساس للإبداع البقاء للأصلح) كما يقول (كولن ولسن) لقد كان الترياق الكامل للرومانسية في (غسق الكراكي) هو (تحقيق الرغبة)، وكانت المغامرة هي بحد ذاتها رواية، رغم اعترافه (كلما سعيت إلى لملمة ما يلوح متشظياً ومبعثراً باغتني ـ كمال ـ من حيث لا أتوقع ليطيح بالبناء كله مشكلاً أبعاداً وزوايا وخطوطاً جديدة ومقترحاً تناغماً آخر، وتعاملاً مبتكراً مع عناصر روايته زماناً ومكاناً وفضاء وتفاصيل حياة)(ص**111**)، يقول أيضاً (لم تنته رواية كمال بعد) (ص**150**) أليس هذه شرارة أخرى للانطلاق..؟؟ أليس لدى الكاتب جملة أسرار أخرى كما يؤكد من خلال لوحات (سارة) أو حين يتجنب خدش حياتها..؟؟ يبرر الكاتب من خلال هذه التمريرات الصريحة أنه لم يبغ إلاّ رواية حياة كما يسميها، رواية تساوي العمر وتجعل كاتبها أن يعيش خالداً، (فهل مات كمال) (ص**150**) يتساءل، أزعم أن (كمالاً) لما يزل يعيش في ذاكرة الكاتب والمتلقي طالما أجوبة الأسئلة ما تزال غير مكتملة وأن الفضاء الروائي يبيح للنص أن يرتدي أجزاء متلاحقة كأن تكون ثلاثية أو خماسية أو سباعية، أن أسئلة الكاتب هي شرارات جاهزة للانطلاق، هذا إلاّ إذا كان (سعد) يبغي أن يترك قارئه في حيرة وتأويل دائمين عبر قراءات متكررة للوصول إلى خيط الرواية السري، من خلال سكوت (سعد) أزمع أنه يريد ذلك..!!

* * *

* غسق الكراكي - رواية - سعد محمد رحيم - دار الشؤون الثقافية العامة - **2000**
الرواية نالت جائزة الإبداع للرواية العراقية لسنة صدورها.

موت الواقع في رواية
(موت الأب) لـ (أحمد خلف)

[مساء رطب يسترجع صوتاً، /هو الصوت المطلوب../أبي الذي عاد.. لم يمت..] (بورخس)

* * *

أن تكون مع (أحمد خلف) يعني أن تكون مع أشياء دقيقة، مألوفة ورهيبة في آن واحد، تجد نفسك في عالم شائك تتفاعل فيه نقائض وحقائق، تشعر حتماً أنك جزء من الشخوص وربما تجد جزءً من أسرارك يندلق بين

الناس، يلتقط نماذج بشرية لها أحلام ومشحونة بطاقات تغامر ولو على حساب الذات، ناس بسطاء اختبروا فرن الحياة قابعين في مكان قريب من الجحيم لا يهابون التحديات ضد من يبغي قمع أو منع أحلامهم من المثول، يحققون إلى حدٍ ما رغباتهم ولو بمشقة وتضحيات، ناس يتجاوزون المألوف بقدراتهم الغريزية لا يتورعون من فعل كل ما هو منافي أو يجافي الحقيقة، نساء حالمات يشكلن نصفاً حيوياً من مجتمع يخضع لسلسلة متتالية من الكبت والحرمان والعوز وفقدان فرص الفوز بنهايات سعيدة، ستتجول في تشعبات مدينة تدلق إلى حد اللعنة أسرارها المطمورة بلا اكتراث، أسرار العيش الضنك وتفاعلات العلاقات المحفوفة بالتلصص والغيرة، هي بالذات أحشاء (بغداد) مدينة الكاتب الأثيرة، /بغداد أنبل مدن الدنيا/ص**128**./ سوف أعد بقائي التزاما أخلاقياً تجاه المدينة/ص**95**./انطبعت الفكرة في ذهني في أن أكون الواحد والوحيد الذي لا يغادر المدينة/ص**130**.هذا ما يجعلنا أن نتذكر صرخة الكاتب الشهيرة (نبيع الكتب ولا نرحل)، وكان جواباً سابقاً في لقاء صحفي أجري معه لسؤال مؤجل طرحه لاحقاً في (موت الأب)/لماذا لا تغادر خارج البلد لتعيش بعيداً عن المحنة/ص**129**.كل شيء متوفر ومؤثث في قصص (أحمد خلف) ماض مغلف بكثير من الملابسات والغموض والتسويف، /لماذا خلط هولاكو رؤوس الناس بالكتب/ص**127**./الماضي لا يتلاشى أو يختفي أنه هنا في الرأس/ ص**29**. وحاضر تحتدم فيه صراعات خفية وعلنية لعجن البشر تحت مخالب الاستلاب والقهر الاجتماعي، /ألا ترى النساء

كثيرات هذه الأيام/ص**167**./ما من أبٍ وإلاّ ترك هاملتاً بعده يئن تحت وطأة العذاب الذي خلفه له أبوه/ص**105**.حروب حمقاء تستعر بلا داعي بين أكباش بدافع غريزي تأكل وتشغل الشباب والرجال، مستقبل توضحه أسئلة يطرحه الكاتب من خلال مشاهد واضحة النهايات، عبر سرد ما حصل من خلال مرجعيات تم إهمالها وإقصائها من راهن الحياة وما يحصل من مغالطات تنهش الجدار الحصين لأخلاقيات الأجيال الوافدة، /الموت حقيقة نلمسها كل يوم، ولكنه حقيقة تقع على الجميع دون ممارستها/ص**172**.في معرض وصفه لنتائج الحرب ومخلفاتها يقول/..سواء بالسيف والرمح أو المنجنيق يدك البيوت ويهدم سقوف الجدران ليترك وراءه عويلاً لا ينتهي وصراخاً ينداح في البرية لعشرات السنين/ص**34**. ربما أدق ما ينطبق على ما يكتبه الكاتب من روايات بعد سنوات عصيبة وملغومة مع القصة القصيرة، ما يقوله (ميشيل فوكو) /ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب/يؤسس الكاتب في روايته (موت الأب) على جملة تحولات في مسار الحياة يمكننا أن نرهنها تحت مدلول واقعي هو (موت الواقع) مع فواصل واضحة لإدانة الكثير من المستجدات المستحدثة، يمكن رصد ذلك من خلال حشد مداليل شكّلت الفضاء العام ـ القابل للتأويل ـ الذي أراده الكاتب منبراً لقول ما يريد قوله، مع اللجوء إلى فاصل حسّاس كنسق تاريخي يحاول الكاتب أن يثيره أو يريد أن يخبرنا أن الحياة عبارة عن سفينة تخنقها قوانين ثابتة، يلجأ وبكل جرأة إلى قصة (قابيل وهابيل)، كبداية مفعمة بالمتغيرات

القادمة في ديدن الوجود الإنساني على وجه البسيطة، يؤسس الكاتب خطابه الروائي عبر تداخل وتشابك في طبيعة السرد من باب الإيهام والتمويه كي يجتاز خنادق خانقة لحرية التعبير، فهو يرغب قول ما هو خادم ومناسب بعيداً عن الزيف وإقصاء ما لا يخدم المرحلة أو ما هو منافي للموجة المتسلطة، تتمفصل البنية الأساسية للرواية على مستويين متوازيين، ليس بمكان تفضيل أحدهما على حساب الآخر، مستوى الانحراف الحاصل في الطبيعة الأخلاقية للمجتمع، عبر حشد تبدلات جوهرية في القيم والمبادئ المتوارثة وما هو وافد أو مفروض بسبب متطلبات الزمن جراء خنق الواقع بسلسلة حروب لا تنتهي بموت مسبّبيها، ومستوى سطوة (الأب) والتي تمكن الكاتب التعبير عنها بطريقة ماكرة ومثيرة، سطوة الدين الراسخ في تضاعيف الإنسان، فمهما حاول الإنسان وبذل من جهد كي ينسلخ أو ينأى عن واقعه المتوارث يجد نفسه منساقاً وفق ذات ملتهبة بجملة ثوابت يصعب التعاطف معها، سلطة الوهم القابع في الذات جراء إقحام قسري لمكوناته من خلال تواتر وسائل عفوية أو مفروضة منها ما هو متعلق بالتنشئة وما هو متعلق بالبيئة والمناهج الموجهة لخدمة الفئات المتعاقبة على استلام رقاب الناس، أن وجود (رامي الرمح) في النافذة ومواصلة مهنة التسديد بدقة ويقظة تجاه (ذئب متواري)، هو إعلان واضح لعين الواقع المتربصة لخنق كل ما هو مقتحم أو يخرج عن السياق، ربما هي رسالة لا تحتاج إلى تأويل، أن الإنسان بات رهن مراصد قوة تطارده من حيث لم يحتسب،

مطارد أينما يكون حتى أوان خلوته أو في زياراته إلى من يحب، يذكرنا هذا المشهد من وجهة نظر خاصة بسلطة (الأخ الأكبر) في رواية **(1984)** لـ(جورج أرويل)، الأب ذو طبيعة مرعبة إلى حد ما، يرفض أنداداً من مثله، /كان أبي يكره الغرباء بل يحذرهم/ص**14**. هذا ما ألبس النص الروائي رداء التحليل السيكولوجي لشخصيات الرواية لتفكيك الشفرات السرية وأجراء مسح شامل لتشخيص مسببات تصرفاته والغموض الذي يسربله والعلاقة المتشنجة مع الواقع الغامض والمتبدل، من خلال قراءة تمحيصية نكتشف أن الرواية تتشكل من الكتابين الأول من الصفحة **(9- 89)** والكتاب الثالث من الصفحة **(199- 289)**، أمّا الكتاب الثاني من الصفحة **(93- 190)** على ما يبدو إقحام للوهلة الأولى قبل أن يعلن الكاتب في نهاية الرواية، /سأكون مضطراً لكتابة روايتين في نص واحد /ص **279**. فهو يمتلك الكثير من الهموم لا يريد أن يكتبها في نص روائي تقليدي، كونه يتعامل مع مهيمنات تلح وجو ملغوم بالرهبة، منها ما هو تاريخي/أذن هي رواية تاريخية../كلا تستطيع القول التاريخ في خدمة الرواية/ص**68**. ومنها ما يتعلق بالحياة المعيشة للناس تحت مخالب الحرب، فقدان الرجال واستحالة العيش جراء تنامي مافيا التجار لسلب ونهب كنوز البلد، في الكتاب الثاني نكتشف جملة عذابات يريد الكاتب طرحها جراء تبدل الواقع واستحالة العيش تحت نير الحروب المتلاحقة، يلتجأ إلى مهنة بيع الكتب كي يدفع شبح العوز عن عائلته،/لم يعد عملي في الجريدة ليدر عليّ ما يكفيني ويسد احتياجات أسرة

وجدت نفسي بين ليلة وضحاها مرغماً على إعالتها كلها/لا يريد مبارحة عالم الكتاب لشدة تعلقه بموروثه من جهة ومن جهة ثانية تمثل العلاقة الوطيدة بين المثقف وأرضه، فهو يمارس عمل الصحافة وهو متمرد عن الموجة السائدة ولا يرغب الخوض في أشياء لا تعنيه رغم هيمنتها على الواقع، /أنا لا أميل إلى قيد يربط نواياي/ص**68**. كيف يكون التمرد عن الواقع وما هي مسالك قول أو قذف البصاق بوجه خانقي الحياة والكوابيس المغتصبة لإرادة الشعب، ليس من الحكمة اللجوء إلى المباشرة كي يعلن الفنان أو الأديب عن رفضه ونبذه لما يجري إلاّ من خلال صناعة لوحات أو حكايات ذات أبعاد شعبية تبرز احتجاجات وجملة أسئلة صارخة، أن كل كلام في النص هو ثوب الكاتب لذلك تتجرد الصحف عن الآراء والمقالات وتدفع التهم والمسؤولية القانونية على عاتق كاتبيها من باب التعبير عن الرأي الشخصي، يقول (طه حسين) في حديث الأربعاء/الأدب مرآة لنفس صاحبه وهو مرآة لعصره وبيئته/، فليس بمكان أن يتخلص الكاتب من همومه الشخصية أوان التدوين، لكن البارع وحده من يتخذ من نفسه الرحى لتدور من حوله طواحين الواقع وملابسات مرحلته، /هذه الرواية تتحدث عن القلب الإنساني وعذابه/ص**171**. فحالة جوع الصحفي معادلة لن تقبل القسمة إلاّ على ميزان الواقع، الصحفي الخاضع لأنظمة شمولية تقايض وتقامر بكل ما هو نفيس مقابل ما يصب في نهرها بغية تأطير صورها بما يلائم الواقع الأسطوري المتفرد، وكما ساد في سنوات الحرب أن

الذين جاعوا من أدباء وكتّاب كانوا خارج سرب الأحلام، لم يغردوا كما كان مطلوباً منهم، ربما نجد/ عار من يغني وروما تحترق/مقولة (لا مارتين) الشهيرة هي تعبير شامل لكل العصور، إذ ليس من المجد أن تنهمك الأقلام بالنزف المترف والرياء المفتعل والبلاد تكتوي على لهيب نيران حروب متوالدة وفق مزاج ساسة لا تنام إلاّ على طبول الموت ودمدمة القنابل، لابد من صمود من يجد نفسه قادراً على تحمل المشاق ورفع راية التحدي كي لا تخلوا البلاد من رجالها، أن اللجوء إلى كتابة الروايات هاجس ملح أوان الضياع أو فقدان الآمال، وربما هو تعبير تاريخي وفني لحوادث مرحلة تفردت بخصوصيتها، تقول (أحلام مستغانمي)/ عندما نفقد وطناً نكتب رواية، فالرواية هي مفتاح الأوطان المغلقة بوجوهنا/هذا ما أراده الكاتب كونه تائه في بلاد غدت سفينة بلا ربان تتناهبها رياح قادمة وغامضة يديرها من هو غير مؤهل لقيادة السفن عبر بحار ومحيطات السياسة المليئة بالكواسر والوحوش، في (الكتاب الثاني) الملحق حسب قراءتنا أو ما وجدناه نصاً غائياً توضيح عن القلق والخوف واللجوء إلى بيع الكتب ورفضه مغادرة بلده خوفاً عليه من الضياع أو تركه فريسة تتناهبها كوابيس السياسة الحمقاء، فالبلاد حين يغادرها الشعراء والأدباء والفنانين تغدو صحراء، أو بساتين بلا طيور، يمرر حواراً خطيراً لم يتجرأ كاتب روائي عراقي تمريره في مرحلة الغليان الذي عصف بالبلاد وكثرة الوشاة وحراب المتربصين في دار (التخريب الثقافي) من خبراء وطبّاعين ومصححي كلام

لا مصححي حروف، كاتب من طراز (أحمد خلف) كان المؤهل لقول ما يريد قوله وبكل وضوح أو اللجوء إلى الرمز، /تحت أية دوافع أصبحت الهجرة ممكنة..؟؟/ أنت تعلم دوافع شتى بعضها غامض..!!/ ما معنى أن تكون الدوافع غامضة..؟؟/ في هذا الكتاب أيضاً يخبرنا الكاتب برغبته في كتابة رواية، /أطمح إلى خوض تجربة كتابة رواية عن الذي جرى وحصل في أيامنا هذا/ص**32**. يمرر الكاتب ما يريد وفق نسق متصاعد ومتباعد، /أنا لست معنياً بالجري اليومي وراء الأخبار السعيدة/ص**29**. /لقد كانت لي محنتي وبلواي/فهو لم يرغب الانهماك بالمستجدات المتواصلة تحت طواحين القنابل والموت المجاني للناس، لديه رغبات مثلما للآخرين، أختار (الجوع) بدلاً عن (الخنوع)، أختار مهنة بيع (الكتب) بدلاً عن بيع (الكذب)، فهو يمتلك وعياً لا يرغب التنازل عنه في بلاد تتناهبها الوحوش، يريد أن يدوّن تاريخاً أدبياً/ عن بلادي وهي تمر عبر أحلك سنواتها/ص**32**. يمرر خطابات غاية في الخطورة والأهمية كإدانة لا بد منها من قبل أصحاب الرأي المضاد كي يتخلصوا من ملابسات المرحلة وينجو بأنفسهم من مقصلة التشهير، / متى كانت الذئاب حامية للديار/ص**34**./ صراحة أنا لا أحب السياسة/ص**99**./ نحن نملك أكبر مقبرة في العالم، كما لنا أكبر سوق لبيع الكتب/ص**121**./الواقع هنا معتنى به لا ليوحي بحقيقة ما يجري/ص**73**./ العمل هنا ـ أي في الجريدة ـ لا يكفي لشراء طبقة بيض/حتى أن جملة مثل/زقاق تآكل الإسفلت فيه/ص**132**. كانت تعتبر في أدبيات السلطة من الجمل

المضادة لأفكارها، كانت كافية لدفع قائلها إلى غياهب السجون، وهل من الممكن إغفال لجوء الكاتب للتحدث عن جوانب حساسة تخص أمن المجتمع، حين يبحث عن هاتف يقول له صاحب الدكان/ أسمع لا سياسة ولا بنات/ وآخر لا يتورع من قول/ لا تطل المكالمة لأني أستطيع سماعك تتحدث من سماعة أخرى/ص**165**. الوشاة في كل مكان وسطوة السلطة متغلغلة في تضاعيف الأذهان، هذه الحوارات قالها الكاتب بكل وضوح وهو يقدم رواية عن مرحلة حساسة وحاسمة في تاريخ البلد، قد نجد أننا نخرج من قوة الرواية وخطابها لو أضفنا هذا الجزء أعني (الكتاب الثاني) إلى ما صنعه الكاتب من نص روائي محكم المضمون وفاعل من حيث الأداء اللغوي اللاهث، يكاد يلامس من جوانب حيوية نص رواية (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، كون الروايتين انطلقتا من الحاضنة التي دفعت صفات البشر نحو التشتت وضياع مسالك الفردوس، (أولاد حارتنا) بدأت بالبيت الكبير كمكان وفضاء مستوعب أو يساوي وفق رؤية الراوي ما هو خيار مطروح كتاريخ حاسم لبداية النشوء الأخلاقي والأسطوري للبشر، كذلك يتخذ (أحمد خلف) بيتاً كبيراً هو المكان الملائم لفكرته كي تتبلور وتستكمل قيافتها كنص له دلالة وربما دلالات لو قمنا بتشريح المضمون على مذبح التاريخ وما نزف منه من تراكمات، لقد قتل الأب أخيه (نوح)كما قتل (قابيل) أخيه (هابيل)، كلتا الجريمتين كانتا جراء التنافس الذكوري المشروع لامتلاك أنثى كما تؤكد بعض الروايات المتواترة كون الخالق أعطى (هابيل) امرأة جميلة، على أية حال

التنـافس سـواء مـن أجـل المـرأة أو قبـول الهـدايا، كـان تنافساً بـين أخـوين، آلـت النهايـة إلـى جريمـة قتـل، وكلتـا الجـريمتين كانتـا بـأداة واحـدة هـي الحجـر، ربمـا يحـدونا اليقـين أن الرجـل الـذي كشـف الجوانـب الغامضـة لحيـاة الأب هو معادل موضوعي لشاهد (قابيل) أعنـي الغـراب، كمـا أن (أحمـد خلـف) حشـد فـي روايتـه بطريقـة ملتويـة ومتلبسة بكثير من الأسئلة أسماء ذات دلالات راسخة في الذاكرة الجمعية للبشر، (الأب ونـوح وإسماعيل ويوسف وسارة وهاجر) ويضـمن نصـه باستعارات من المصـحف الشريف، /هي عصـاي أهش بهـا الأولاد ولـي فيهـا مـآرب أخـرى/ص **256**./ إسـماعيل أعـرض عـن هـذا/ واللجـوء إلـى سـورة (القارعـة) ص**124**. قد يستوقفنا سؤال ملـح، هل يمكن أن تنطلق من بين شفتي طفلين هكذا حوار..؟ أعنـي التفـوه بـالموروث القرآنـي، أم أن الكاتـب يريـد ترطيـب نصـه بشـيء مـن نفحـات الأيمـان كونـه إنسـان ملتزم طالما لم يركب زورق الموجة مع الراكبين وظل صامداً محافظاً على بريق قلمه ونقاوة مبادئه، ليس هذا بجديد علينـا، نجـد أن الكاتـب (أحمـد خلـف) ملتـزم أمـام نفسه وواقعه، كما يقول (أرسكين كالدويل)/الكاتب ملتزم أمـام نفسـه وأمـام قـراءه وأن كـل جهـوده ينبغـي أن توجـه نحـو هـذين الطـرفين/ومن خـلال قـراءة واحـدة لقصصـه وجدناه لا يتورع من استخدام كل أنـواع السـخرية واللاذع مـن الكـلام للتعبيـر عـن غضـب أو حالـة تسـتوجب التفكـه والتنـدر، ربمـا يـدفعنا هـاجس ملـح أن نقـول بـلا خـوف أو تـردد أن (الأب) يمكننـا أن نسـميه (إبـراهيم)، مسـتندين على مـا هـو مشـاع مـن كنـى شـعبية تداولتها الأجيـال تيمنـاً

ببركات تلك الأسماء الإيمانية الراسخة فينا، فكل (إبراهيم) هو أبو (إسماعيل)، كما أن كل (إسماعيل) أبو (خليل)، تستوقفنا حالة اختفاء (سارة) حفافة وجوه النساء مع (إسماعيل)، ربما هي قراءة جديدة لما جرى عبر التاريخ العقائدي لنا وتلك الملابسات المدونة لزوجتي (إبراهيم)(ع) ولكن كاتبنا بطريقة مغايرة يستفيد من تلك القصة، فـ(سارة) (أحمد خلف) و(إسماعيل) ليس ثمة رابط بين الاثنين إلاّ هاجس الصوت الساحر والنظرات القاتلة، وهي مفاتيح جنسية بطبيعة الحال، تحتاج هذه الرواية بالذات إلى قراءة متأنية كون الكاتب لديه الكثير من المفاجآت ويلجأ إلى اللف والدوران كإيهام يدفع الرواية إلى الأمام، وأنها تتناول جوانب واقعية مدانة وآيلة للموت مع اللجوء إلى مرموزات دينية حساسة، /هل السير في الرواية بخط مستقيم نافع في حالتي هذه، أم التقاطع والتداخل في الفصول والصفحات أنفع/**173**. نجد أن السارد هو (يوسف) هذا ما نعرفه بعد رحلة شاقة من اللهاث، (هل أنت يوسف..؟؟) طفلة صغيرة تبوح به وسكوت الولد ـ وهو يسرد رحلة طفولية ـ دليل صحة ما نادت به تلك الطفلة، ومثلما كان الصديق (يوسف)(ع) محبوب والده، (يوسف) الكاتب يمتلك ذات النفوذ لدى أبيه، انتهت رحلة النضال للـ (يوسفين) إلى عمل متقارب وهو التجارة ووفرة المال، نكتشف أسرار ملهمة ينثرها الكاتب في أماكن متناثرة قبل إنزال الضربة الحاسمة للرواية، هذه الأسرار منها ماهو متعلق بـ(الأب) علاقته المتوترة مع أخيه (نوح) ، علاقته الجنسية مع (سارة) حفافة وجوه

النساء، علاقته الحساسة مع زوجته، علاقته الذئبية مع الرجال، وهو الهارب من وجه العدالة كونه تسبب في قتل مسافرين كانوا في حافلته يوم تسبب في انقلابها، ثمة ملامح توضح (موت الواقع) تنساق مع الطبيعة السردية للرواية، أليس تخلي الأم عن أبنه الرسام (عادل بيكاسو)، دليل على تصدع الجدار الحيوي والأخلاقي لبنيان المجتمع..؟؟ كذلك ضياع (إسماعيل) المطرود والمنفي من فردوس ذويه، جراء خيانة مزعومة، انهيار آخر في حصن الواقع، التبدل الجوهري للوحات الرسامين من أجل الحصول على المال الرخيص/ لوحات بلهاء توزعها نساء وأطفال في غاية الأناقة والترف تعكس رخاء الواقع ونعيمه لا دناءته وانحطاطه اللتين كانت اللوحات القديمة للرسام تزخر بها /ص**72**. هجرة الناس من الأرياف إلى المدن، تمثل ترك الفطرة والبراءة وموت واقعيتهم من جهة ومن جهة أخرى البحث عن لقمة العيش المتعذرة، موت الشعر برحيل (إسماعيل) هو موت الرغبات وزوال لذة الحياة، دفع الموظفين أبناءهم إلى العمل، كناية عن موت الواقع والتوجه نحو حياة عسيرة، حتى التخبط بأعمال شتى وعدم الاستقرار بوظيفة واحدة دليل تنامي الهوس وفقدان الرشد، عدم رد الشاب وهو في الثلاثين من عمره التحية، تبدل واضح في ملامح الجيل الجديد، حتى من يرتبط بأهداب السلطة وظيفياً خرج عن القوانين وراح يعمل وفق مزاجه، /أنظر إلى هذا السائق لا يقف في المناطق التي يمر بها/ص**193**./ تجاوز الباص موقفين أو ثلاثة/ص**194**. سلوكيات الناس تبدلت وبات الإنسان مثل

سفينة تائه بلا ربان، بينما كان الراوي يسرد رحلة سير قصيرة مع (هاجر) حين تزوره في الجريدة، نجد بروز حالات جديدة/مد شاب رأسه وأطلق صفيراً حاداً ثم حركة من كتفيه تحدياً لنا/ص**178**. هذا غيض من فيض كما يقال عن رؤية الكاتب لما يجري وهو يسرد بعجالة مخاضات المجتمع تحت مخالب الحروب، فجملة مثل/ أقترح البيع والشراء في الكتب/ص**101**.تجعلنا أن نتأسف لحال الثقافة، كونها صارت سلعة للمتاجرة بدلاً عن سلعة لإخصاب العقل وتنويره، وهو ما آلت عليه حياة الكثير من الكتّاب والأدباء أبّان سنوات الحرب وما تلاها، بل صارت الثقافة من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها، فما بال رجل يتاجر بالكتب يقول عنه الكاتب/ بائع غشيم لا يعرف عبقريات العقاد/ ص**128**. وآخر/داس بطرف حذائه على الكتب القريبة منه/ص**127**. نجد أن الكاتب يخبرنا بطريقة مناسبة ودون اللجوء إلى المباشرة زمن الرواية، من خلال مشاهد وسلوكيات الناس، /مرّ بي عدد من الفتيان يعلقون على أكتافهم بنادق رشاشة ويرددون أغنية حب شائعة فيما بينهم/ص**116**./ وها أنت ترى أن العمل في الجريدة ما عاد يسعفك كما كان قبل فرض العقوبات على البلد/ص**117**.أن الكتابة عن الواقع يتطلب صبراً بطعم العلقم كونه إبحار في عذابات منها ماهو شخصي ومنها ما يمس المجتمع، ليس ثمة مجال لإغفال أو إهمال أية إشارة، تحديداً في النص الروائي، استغرقت سنوات خمس بالتمام والكمال، لا كما جاء في نهاية الكتاب بل كما صرّح الكاتب يوم تقديمها إلى دار (الشؤون الثقافية)

العام (**2002**) على ما أظن وكانت هناك ردود أفعال من قبل الشاعر (سامي مهدي) في لجنة مشروع طبع الكتب، أبدى الكاتب تذمره وكنت أرصد من كثب القلق في عينيه وهو يستعين بتشخيص الناقد (باسم عبد الحميد حمودي) الذي وصف مخطوط الرواية كما جاء على لسان (أحمد خلف) هذه الرواية ستشكل علامة فارقة في (الرواية العربية)، ولست أعرف فيما بعد كيف أجيز طبعها، وهي رواية تتناول إفرازات السلطة واللجوء إلى موروث ديني حيوي لا ترضي طبعاً الواقع المفروض، ونجد أن الكاتب القدير (أحمد خلف) من بين أكثر الأدباء العراقيين جاذبية للكتابة عن أعماله، فهو يمتلك خصوصية نادرة جداً، لأنه يكتب عنّا وهو لا يبارح زمنه وواقعه، ويوزع كميات الغموض داخل نصوصه بشكل متوازن، فاعل وملهم، يعطي نفسه بسهوله كونه صادق فيما يقول، وأنه يهمل كل ما يجده غير واضح الملامح أو ليس لديه التعامل معه عكس الكثير من الكتاب حين يلجئون إلى إقحام نصوصهم بكل ما يخطر ببالهم من باب تغليف النص بالغرابة والتفرد، /أننا نروي الجانب الذي نعرفه فقط، وما لا نعرفه نتركه لغيرنا يرويه وقد نجافي الحقيقة في روايتنا أو نغمط حقها في الوضوح/ ص**32**. فهو يدرك جيداً ما معنى الفن في المجتمع وما الذي يترتب فيما بعد من نتائج غير قابلة للجدال حين تتكشف الأقنعة وتزال حواجز القمع والمنع، ليس سوى الحقيقة الناصعة تصمد، لقد عانى الكاتب كثيراً وعبر مسيرة حافلة بالتبدلات الجوهرية في بنية الحياة وشهد زحف الكثير من التيارات الفكرية

والأيديولوجية وتجاوزها بحنكة كاتب متمرس ومؤهل لتقديم موائد للفرح وللعلاج من أمراض المراحل المتعاقبة/ الحرمان والألم ينشطان الموهبة الفنية لأن الفن تعويض لخسارات الحياة/ (داركو ليدس)، /لماذا يكتب قاص كـ(أحمد خلف) عن اليومي، لكنه يخلق بجواره أسطورته موازية، هي أسطورته التي لم يأخذها من أحد/ القول للروائي العراقي (عبد الرحمن مجيد الربيعي)، يجتهد الكاتب لعدم تفويت أو نسيان الحالات المستجدة، أسلوب السرد المتواصل وحشر الممكنات من الحوادث دفعت الرواية نحو دروب سلسة جعلت من القارئ متأهباً مستفزاً لتصريف ما يمتلك من هموم تجاه ما يجري على أرض الواقع، ولا ننكر أن السرد المتواصل واللاهث للرواية تركت أسئلة من غير إجابة، /أكان إسماعيل يقلد سطوة أبي في البيت على الجميع/ سؤال الأخ وهو يسرد للصحافي، نجد أن (إسماعيل) لا وجود له ولا دور يذكر داخل الرواية إلى من خلال بعض التمريرات العاجلة للسارد، أية سطوة زعمها إذاً..؟؟ في الوقت نفسه نجد أن الأب كان يشبه إلى حدٍ ما، (مصطفى عبد الجواد) في رواية (بين قصرين) لـ(نجيب محفوظ) من حيث الجبروت واللجوء إلى العلاقات مع النساء، ثمة إشارة أخرى، حين يرجع الصحافي مع شقيقه وهما يستقلان سيارة، يطرح السائق سؤالاً /أتشتري الكتب وتبيعها /ص**136**. يبتر الكاتب السرد بإهماله الجواب لنجد أننا في مفترق طرق مع طبيعة انسيابية السرد، مع وجود مساحة واسعة جداً من (الكتاب الثاني) حول الكتاب المفقود والرحلة السندبادية التي استغرقت عملية

البحث، رغم أن (أحمد خلف) عبأ الفراغات بكثير من المواقف، مثل السير مع ابنة الخال (هاجر)، الوقوف مع فتاة صالون الحلاقة وتمرير جملة غاية في الأهمية بطبيعة الحال تمس أسرار تلك الغرف المليئة بالأسرار، /لابد أنك تفكر أني وحدي في الصالون، أليس كذلك..؟؟/ص**168**. مع بيان الكثير من النقاشات داخل غرف تحرير الصحف عن السياسة وملابساتها مع وجود فاصل الترقب والخوف من الوشاة المندسين لأغراض التلصص وكسر رقاب المتجاوزين على أمن السلطة، ربما هو ديدن الكاتب في كل ما يكتب، أنه يعطي نصوصه كمية واضحة من الغموض، يترك القارئ في حيرة أحياناً وفي لعبة الجري وراء التأويل والبحث عن أسرار الكاتب، لنستحضر المستوى العقائدي الذي أراده الكاتب العمود الفقري للرواية، فمن هو يا ترى العم (نوح) وما سر التجافي والغضب الذي يتملك (الأب)كلما يراه زائراً إلى بيته، العم/ دخل السجن مرتين متتاليتين بأوقات متقاربة/ ص**249**. دون ذكر سبب دخوله السجن، سوى التباهي أمام (يوسف وإسماعيل) بـ(لعبة السياسة)، نجد أنه زار العائلة مرتين بعد السنة الرابعة للزواج، وأن الأم كانت حسب قول السارد كانت مرصودة له، والأم لم تنجب سوى الغائب (إسماعيل) والحاضر (يوسف) حتى أنه كان يردد/لولا أمكما لما وصلت إلى هذا الدار/ص**245**. ثمة سؤال يطرحه الصحفي/كم مرة زاركم فيها عمك نوح..؟؟/ ص**48**. ونكتشف أن الدافع من الزيارات المتكررة هو بدافع الاستحواذ، وشيء مجهول لا يبوح به السارد الابن/نعم.. نعم.. وربما شيء

آخـر لا أعرفـه/ ص**48**، حقـاً نـال العـم (نـوح) مـا أراد وتزوج الأم بعد تطليقها من قبل (الأب) وهي حالة فقدان السـطوة والمثـول أمـام المتغيـرات الحياتيـة الزاحفـة المتمثلـة بـدخول (سـاهرة) زوجـة غريبـة والسـكن فـي غرفـة (سـارة) العشـيقة الهاربـة، سـكنها فـي تلـك الغرفـة دليل تمسكه بـ(سارة) الهاربـة، فهو يرغب ملأ فراغها واستحضـارها من خـلال (سـاهرة) كونهـا كانـت ملهمتـه وجعلتـه يطـرد أبنـه لحظـة هجـس أنهمـا عشـيقان، هـذه الـ(سـاهرة) عكسـت الحيـاة السيوسـولوجية لـ(الأب) /أن السيطرة على الرجل تتطلب تعويده على الحياة المريحة/ (إيزابيل الليندي)، نكتشف حالـة مرعبـة تمفصلت داخل النص الروائي، (الأب) يتمسك بـ(يوسف) أبناً مدللاً، ينـال ما يطلب من الزوجـة الجديدة (سـاهرة) عكس (إسماعيل) الـذي يطـرده (الأب) لأنـه أرتـبط بمحضـيته، وتكمـن المعضـلة فـي قـول العـم (نـوح) /جعلـت إسـماعيل أبنـاً لي/ص**210**.هنـا يمكننـا أن نعجن الأفكار ونخرج بتوليفة نتاجهـا أن (يوسـف) مـن صـلب (الأب) وأن (إسـماعيل) يحدونا شك أنه من صلب العم (نوح) بسبب ما جرى لـه مـن إقصـاء متعمـد مـن قبـل الكاتـب مـن جهـة ومـن قبـل (الأب) وقسـوته ومقتـه لـه ولأخيـه (نـوح)، /هـل يخفـي عمي نوح سراً لا يعرفه أحد غير أبـي وأمـي وعمـي، هل كنّـا صـغاراً عندما بـرز السر بينهم، أم تشكل السر ذاتـه قبـل أن نخلـق أصـلاً/ ص**234**. خصوصـاً أن العم (نـوح) كان يزور البيت سواء بوجود (الأب) وأولاده أم بغيابهم، هـذا مـا يصـرح بـه (يوسـف)، لابـد مـن دوافـع أقـوى مـن الخلافـات البسـيطة والتـي دفعـت (الأب) أن يستصـحب

(يوسفاً) لينتقم بطريقة (قابيلية) ويعود لينزوي بقية أيامه فأراً بعدما كان متهوراً لا يتورع من الشرب الوحشي وإخراج عضوه الذكوري كي يتبول كالحمير أمام كائناً من يكون، مع زوجته (ساهرة) في مكان يعج بتحفيات نادرة، وأثاث فخم، مع وجود وفرة من النياشين والأوسمة غامضة المصدر كما يقول السارد، بعدما ماتت الأم بعد مرور أربعة أشهر على موت أو قتل العم (نوح) الذي كان لحد ما أشبه بأب حقيقي للولدين جراء حبه لهما والهدايا التي يجلبه لهما، وليس الذي صار كومة لحم منزوية في بيت كبير، على الرغم أن السارد يقول/أنه هو أبي/ص**285**.ليضع القارئ في حيرة واستفهام، ولكن قراءة متأنية تجعلنا أن نتوقف على أن الموت الذي أراده الكاتب، ليس سوى موت السطوة والرغبات، موت الحياة، موت الواقع..!!

* * *

موت الأب.. رواية../أحمد خلف/ دار الشؤون الثقافية العامة.. بغداد.. **2002**.

الفواصل المتلاحقة..
في قصة/أحماض الخوف/
لـ (جليل القيسي)*

بات النص الأدبي يشكل هوية سرّية للكاتب، كونه يتوارى فيه أو يتخذ من الشخصيات أقنعة لتحرير ما يؤرقه من هموم أو طروحات فكرية، وليس من السهولة بمكان الوصول إلى الغايات والمداليل ما لم يتم احتواء النص من عدة جوانب، والكل يدرك أن النص مهما كانت إجناسيته ـ شعراً أم نثراً ـ هو نزيف ذاكرة اكتوت بنيران معرفة صادمة تتقاطع مع ما يجري على أرض الواقع، والنص ـ إن جاز التعبير ـ هو قيئ لجراحات تولدها التوترات الحياتية والأزمات النفسية، هذه الجوانب لم تهملها التحليلات النقدية النفسية، كون الظروف المحيطة بالكاتب هي الحاضنة لإفرازات العقل، والكاتب لابد من وجود أرضية تحمل بذور أفكاره وتخصبها قبل دفعها إلى سطح الواقع، ومهما حاول للنأي من واقعيته تراه يغور فيها ويضيف إليها، كل ما هو نافع وحرك، أن دليل الولوج إلى أي نص إبداعي يقترح استحضار جملة

أمور، /بيئة الكاتب/زمن كتابة النص/توجهاته الفكرية/. أسوق هذه السطور قبل قراءة قصة (أحماض الخوف) للقاص والكاتب المسرحي الراحل (جليل القيسي)، لما طوت من نهج مشفّر خلاف ما عودنا عليه في قصصه المنتجة خلال السنوات الأخيرة، كونه كان يسرج عربة خياله ويمخر عباب المتاهات بحثاً عن أسماء سكنت ذات يوم في ذاكرته، جرّاء قراءاته الثرّة وثقافته الموسوعية وأسفاره ومغامراته، بدأ يستدرج تلك الأسماء والتي دفعت بذاكرته إلى إقامة جحيم أسئلة ما يزال يبحث عن أجوبتها عبر محاولاته التجريبية، ليقيم معها علاقات جدلية لا تخلو من المبارزة المعرفية.

* * *

في هذه القصة (احماض الخوف) نجد القاص يمرر نداءً مشفراً ورغم فنيّتها المتعالية، جاءت كرسالة محسوسة تنزف بمعاني وتجليات ذاتية تبتغي لفت انتباه الزملاء، تبدأ القصة (قبل أن يهبط الظلام بدقائق) وهي إشارة تعني الكثير فالوقوف على مشارف الظلام يقابله وقوف الكاتب على مشارف الحياة، خصوصاً وهو يتذمر من عزلته ومتاعبه الصحية ونسيانه من قبل رفاقه (هيفاء تنتظر الحبيب، سماء ترسل وابل المطر، مشاجرة ما بين رجل مهلهل الثياب وشاب، قطتان تتغزلان، الرجل يقتل الشاب، تستجيب ـ هيفاء ـ لطرقات الباب بلهفة، الرجل يداهمها ويقتلها، ترعد السماء، تموء القطط، طرقات تتواصل على الباب)، يتبادل القاص الدور مع شخصية (هيفاء) كون المرأة أكثر فاعلية وحساسية

بسبب تكوينها الفيزيولوجي، وهي أكثر ديناميكية لتوظيف الجسد لصالح التعبير، أختار (هيفاء) لتكون لسان حاله وحمّلها همومه وأفكاره وأرادها وسيلة اتصال مع من يعنيهم، ثمة إشارة (ألقت نظرة هادئة حزينة إلى السماء) هي نظرات الوداع لمن يحتضر، نظرات ألم لزمن يغادر، زمن تجلت فيه حياة حافلة بالمجد والرفقة، تقول (هيفاء): (بمجرد أن أسمع صوته أغفر له هجرانه)، يمنح الكاتب فرصة المغفرة رغم دنو الظلام، وهي كناية عن الموت، في وقت (أصبحت المدينة في قبضة الظلام) وتردد (هيفاء) للاستعانة بالهاتف هو تردد الكاتب وتمسكه الأخلاقي وعدم اللجوء إلى بث ما يسكنه من جراء التهميش والنسيان علناً، فيختار النص الأدبي لتمرير رغبته، الأمل في عودة الأدباء لمعاودة الاتصال به وتسليط الضوء على ما أنجزه (قبل أن يهبط..) ملك الموت، ومثلما يتوارى القاص خلف (هيفاء) نجده يصرّح بذلك (غير أنها بكبرياء أنثى مجروحة المشاعر تصورت أن مبادرتها هذه تعني ضرباً من الاستسلام) وهي إشارة لما ذهبنا إليه بخصوص رفضه المكاشفة العلنية بما يرغبه، ولكن من المعلوم أن المرأة أسرع نفاداً للصبر، وهل يعني أن القاص الذي تماسك وحافظ على هاجسه، بدأ صبره يتهشم..!؟، أن تردد (هيفاء) هو تردد القاص ويمكننا الاستدلال بما تقوله: (كيف أفهم أعماق هذا الأديب الغامضة)، وتعلمنا من خلال قصص الكاتب أنه ينشطر إلى شخصيتين، شخصية يستحضرها من الماضي ويتلبسها أمام شخصيته الواقعية، كذلك يفعل في

(أحماض الخوف)، حين يكون هو الحبيب القادم وهو(هيفاء) المنتظرة، الحبيب كناية عن من يبحث عنهم (جليل القيسي) ويراهم كما تصرح به (هيفاء) بغموضية أعماقهم كون الزمن السابق تجلى بصور حياتية ووشائج باتت مفقودة في زمن صار في قبضة الشجارات العلنية والموت السهل وبمساندة مطر يمحي اثر كل جريمة، في القصة تتفاعل الدراما وفق إيقاع موسيقي وتنسجم مع التوتر المتنامي لـ(هيفاء) وهي رغبات ما قبل الموت، كون حلاوة الحياة لا تكتشف إلاّ أوان الضيق والأزمات الاجتماعية الحادة، نكتشف جملة شهوات تتعاضد لرسم الفضاء القصصي الملغوم ـ شهوة امرأة تريد الاتصال بالحبيب ـ شهوة رجل يبغي القتل ـ شهوة سماء تريد تفريغ (منيها) لإخصاب الأرض ـ شهوة قطط تريد دحر البرد المتدفق في عروقها ـ شهوة ليل يزحف لقهر النهار ــ ووراء هذه الشهوات لابد من شهوة مقصودة، هي شهوة الكاتب والتي دفنها داخل النص لاعتبارات فنية، وترد جملة (لم يقبل الحب كل هذا الذل) ما الذي يعنيه الكاتب بـ(الذل) وهل الإهمال والإغفال في حساباته المهنية ككاتب له زملاء يساوي (الذل) فمحكومية العزلة آيلة للاحتضار واحتدام الرغبات دفعت إلى رغبة الاتصال عبر الهاتف قبل الأحجام، وما مراقبة (هيفاء) للشجار و إلتماعات نصل المدية إلاّ مراقبة القاص لما يجري من تدهور في العلاقات وتهميش لمن نذر نفسه ووهب عصارة حياته لصناعة الفرح للآخرين، وغالباً ما يلتجأ القاص للمفارقات كي يحافظ على التوتر الفني ولهفة قارئه، وهذه المفارقات هي جماليات قصص

الكاتب عبر مسيرته الحافلة بالإبداع، ابتداءً بـ(صهيل المارة حول العالم) مروراً بـ(زليخا البعد يقترب) و(في زورق واحد) وليس آخرها (مملكة الانعكاسات الضوئية) وفحوى معظم حواراياته ومسرحياته، (هيفاء) تهرع استجابة لنقرات على الباب وكلها لهفة أن الحبيب أخيراً قد وصل، فحالة تحقيق رغبته وهو يائس من احتمالية عودته إلى ذاكرة الزملاء، جعلته يستعين بالمفارقة ويجعل (هيفاء) تصطدم بـ(الرجل) المهلهل الثياب والقاتل، وهو انسجام إيقاعي ما بين الظلام الذي أرخى سدوله والموت الذي اغتصب جسد الشاب وانتهاء وقود شهوة (هيفاء) المتمثلة كما أشرنا (محكومية العزلة) للقاص وانتهاء السماء من شهوتها، هذه التراجيديات صنعت ما يبرر النص وتحويله إلى نص إخباري تشبه إلى حدٍ ما مدوّنة قصدية تنذر بكارثية المستقبل والأسباب كما أشار إليها حسياً لا صراحة في (أحماض الخوف)، ومن المعلوم أن ملك الموت يستلم ماأمر به برفق وتأني لاعتبارات غيبية، نجد القاص يرسم المشهد التمهيدي للموت أيضاً، (هيفاء) تسبح في وادٍ والرجل يبغي استكمال مشروعه التدميري، ويبقى السؤال هل هذا الفاصل يتكافأ مع حوار الموت مع الجسد، تسقط (هيفاء) في فلك الموت وبنفس آلة القتل التي فتكت بالشاب الذي يساوي براعم الحياة الجديدة والزمن الجديد الذي يبغي إزاحة أغلال الماضي، ونجد انتصار الماضي يتواصل على كل ما هو قادم طالما هناك فتور وإهمال وتغافل من لدن الناس تجاه بعضهم، وكان القاص ممن مسه الحيف رغم استعداده المتواصل

لإعطاء المغفرة لمن يأتي إليه ولو بعد حين، موت (هيفاء) موت الرغبة، والتخلص من (هيفاء) هو التخلص من شاهد عيان والذي يساوي القتل المتعمد لإبداع المبدعين وهي طريقة متفشية تتناصر - ربما بوعي أو بلا وعي - أقلام لإهمال نتاج كاتب ما كي يطويه النسيان، نجد الفواصل المتلاحقة عند المشهد الختامي للقصة هي قيامة جنائزية - البرق والرعد - مواء القطط - رنين الجرس - هيفاء.. هيفاء.. - أليست هذه تشبه حفلات التأبين وراء المبدعين بعد نسيانهم في الحياة ..؟! وهل بات التأبين أشبه برمي جمرات السخرية على الجسد، لقد ظل المبدع (جليل القيسي) أميناً أبياً لمحبوبته (القصة القصيرة) لا مكترثاً بالمجاملات وظل يشق متون الورق كي يوصل(صهيله..) إلى العالم في زمن بات الإبداع سلعة يتلاعب بها كل من هب ودب، وما(أحماض الخوف) إلاّ واحدة من القصص التي تؤكد حضور القاص وتواجده في قلب المشهد الحياتي رغم ما يجري من تهميش وإلغاء للمبدعين، أجدني هكذا قرأت القصة وهكذا شعرت بالشفرات السرية استنادا لما رصدته من معاناة الكاتب عبر سنوات إبداعاته.

عسا أن أكون قد سرت عبر درب لا يحيد عن رؤية الآخرين ..!!

** (أحماض الخوف)قصة ــ جليل القيسي ــ الأديب/العدد(**2**) كانون الأول ــ **2003**../. .مجلة سردم العربي.. العدد(**2**) خريف (**2003**).

مسرحيات مفخخة..

حين يكون ـ الكاتب المبدع ـ أداة مجابهة..

(محي الدين زنكنه) في مسرحية (زمرة الاقتحام) أنموذجاً..!!

فيما يشبه التقديم:

يمتلك الكاتب المسرحي والروائي الكردي البارز (محي الدين زنكنة) الكثير من مقومات الشخصيّة الأنموذج، مما يمكن الاستعانة بها لتجسيد دور البطل في أي نص مسرحي ثوري يواكب الواقع ويعطيه زخماً حياتياً دافعاً، ليس قولنا هذا من باب التملق أو التجميل والمزايدات الثقافية الشائعة في ثقافتنا الحالية، فالدارس لإبداع هذا الإنسان لابد أن تستوقفه جملة خصائص هي هرم الرجال الأبطال، فهو متواضع يمكن الانتباه لهذه الخصلة من خلال عدم لهاثه وراء الأضواء، أو الترويج لما أسس من مكانة مسرحية نالت الإعجاب وحصدت جوائز الإبداع والتقدير في معظم المهرجانات المسرحية، وهو شجاع، لم يهادن أو يتزلف في تسويق أفكاره، كتب ما أراد كتابته، في أحلك الظروف التي مر بها (المثقف

العراقي) ظل ينشر علناً أو تحت أسمٍ مستعار ما وجده سلّماً للارتقاء بالمسرح النبيل والأصيل والهادف في زمن ساد المهرجون المسارح وراحوا يروجون لثقافة التجهيل والعنف عبر التهريج والرقص على حساب قداسة الكلمة التي كانت البدء كما تؤكد ملحمة (كلكامش)، في مسرحياته، زاوج التراث المطموس بالواقع (المعلوس)، دافع عن الإنسان المهضوم والباحث عن الحقيقة، عبر توليفة توازنت فيها الكوميديا السوداء بالدراما، ومرر فلسفته حول ما يجري على أرض الواقع بلغة مرنة حافظت على إيقاع النص وفعّلته لخدمة الغرض، ليس ما نبغيه دراسة شخصية الكاتب أو الخوض في محيطات أفكاره، قدر تعلق الموضوع بتلك الومضة الساحرة لشخصية (محي الدين زنكنه) والتي تلهب حماس أصحاب النظرات العميقة وتشغل مخيلتهم لتتويجه بطلاً جاهزاً لخدمة أي نص ـ قابل التجسيد ـ قبل التشكل، لقد وجده الكاتب المسرحي والناقد (صباح الأنباري) شخصية تستحق الخلود لما تطوي من مقومات التكامل والتوازن في الصفات ما بين كتاباته وبين شخصيته الثقافية واللمحات الإنسانية التي تسكنه، تمكن رغم ضبابية المناخ وحراس السلطة المتأهبين لكل بادرة أن يجسّده بطلاً في نصّين من نصوصه ونالت إحداهما جائزة قديرة لما طوت من براعة في الصياغة وجرأة في الطرح وتجديد في الأسلوب، كانت المسرحية (زمرة الاقتحام) التي نحن بصدد تشريحها وفق ميزان الواقع لا موازين التنظيرات السفسطائية والتي راكمها أقلام غير واعية أو مسؤولة وأغرقت سفينة الثقافة

الحيّة في برك الحداثة المزعومة، لم تكن سوى اللعب الحر بالكلمات واستعراض غير موفق للعضلات، أمّا النص الملحمي الآخر (ليلة انفلاق الزمن) أرجو أن نتمكن من الكتابة عنه في وقت لاحق كونه يتطلب جهداً ووقتاً حافلاً بالأمان وتحسن فولتية الكهرباء، وربما يجد من قرأ مسرحية (من أجل صورة زفاف) والتي نشرتها جريدة التآخي (أبعاد ثقافية) العدد - **129** - **2006/3/30**، العدد الخاص باليوم العالمي للمسرح، يجد أن كاتب هذا المقال استهوته شخصية (زنكنة) مع (صباح الأنباري) وتمكن من تجسيدهما بطلين لمسرحيته..!!

* * *

[تشريح مسرحية (زمرة الاقتحام) لصباح الأنباري]

رغم يقظة الرقباء تمكن المسرح (العراقي) أن ينأى من مثلبة الانزلاق إلى برك التأويل المضاد على أيدي صنّاع مهرة، ظلوا في قلب المشهد الحياتي الساخن دون اللجوء إلى مسميات أو أساليب قد تكون وبالاً على رؤاهم من جهة، ومن جهة ثانية تضيع من بين أيديهم فرص الارتقاء ومجابهة الواقع عن قرب، طالما أهلوا أنفسهم محاربون ثقافيون.

ومن النصوص المسرحية التي عبرت حواجز الرقباء (زمرة الاقتحام)../لصباح الأنباري/والتي حازت على جائزة مجلة (الأقلام) للعام -**1993** - ونشرتها المجلة في العدد -**10 / 11** - **1994** .في هذا النص المسرحي، يحاول الكاتب أن يرسم لنا مشهداً واقعياً يعادل لما يجري عياناً، فالشخصية المركزية - بروفيسور- يبغي تحويل

الدمى إلى بيادق تتحرك وتأتمر بأمره، قبل أن تتنامى أطماعه وتتشظى ليكون القطب الأوحد، ومن خلال تجارب علمية هي من بنات خياله العليل يخضع ـ الدكتور جيم ـ لعملية تحويل ملامحه لصالح دمية بعد جملة تجارب فاشلة بلغت (**103**).. تجربة وهذا دليل مادي على عناد أصحاب النزعات التدميرية وعدم احتكامهم للعقل أو العدول عن رغباتهم والاعتراف بفشلهم القيادي والسياسي، يريد (البروفيسور) إخضاع (مدينة) لنفوذه كخطوة أولى باتجاه (العالم) بأسره، فهو يبحث عن (زمرة كاملة) تتمكن بـ(خمس دقائق) تحقيق حلمه، يريد رؤوس تحمل أفكاره ولا تتحرك إلاّ بإيحاء من خياله، لا يتورعون من ارتكاب أيما عمل يقربه من حلمه، لا يمانع من استخدام كافة السبل والوسائل الكفيلة حتى لو تطلب الأمر اللجوء إلى (سلاح التدمير الخلوي ـ السلاح الشعاعي ـ السلاح الفوتوني)، يمرر الكاتب جمل صريحة لا تقترح تحريك الذهن واستنفاره لتأويلها، فهو يدرك أن الإنسان (كتلة مادية خلوية تؤثر وتتأثر بجميع العوامل المحيطة) لكنه يجهر برغبته ويريده كائناً (يؤثر ولا يتأثر بالعوامل المحيطة)، يريده إنساناً خاضعاً مجرداً من صفاته البشرية طالما أختار الدمى جنداً يحركهم كيفما يقترح مزاجه، هذا النص هو عبارة عن واقع حال كل (دكتاتور) يناضل من أجل تجيير كل شيء لصالحه، وهي إشارة لتوحيد وتسيس الرؤوس بعد تفريغها من مبادئها الفطرية، كي يكون الفرد محصناً من فايروسات ما يجري خارج حدود مملكته، ولا يشكل موت ـ الدمية جيم ـ هاجساً أو إرهاصة لديه طالما يصرح: (بقرص

التحكم الذاتي الذي زرعته في دماغه) .أنّ ما يهمه تنفيذ ما يركبه من طيش ولابد من تضحيات وأن كانت جسيمة، وهو لم يبال بأحد ولا يريد من كائن أن يبدي رأياً، بعد نجاحه في ترقيق الطبقات الدنيا يريد أن يحقن تجربته في: (إنسان القرن العشرين). الإنسان الواعي والمثقف، الإنسان الذي ترك الثورات والنوم في المزاغل والكهوف من أجل تحرير بلاده: (أقرها وأعترف بصلاحيتها لتجربتنا). ينبذ فكرة الاستعانة بالأشباح لحقن مبادئه وإنتاج زمر مؤهلة أن تموت من أجله، يريد كائنات مادية تتعذب وتتلوى بين يديه، تنزف حد الانسلاخ من جلده البشري، وما يفه به (معاونيه) ما هو إلاّ درس تلقنوه وكلما ينظر إليهم يرددون ما يريد: (أنكم تقصدون الشخصيات الروائية والمسرحية التي خلفها أسلافنا القدامى). دائماً يضع (الدكتاتور)المثقف نصب عينيه كونه صاحب الحقيقة، ويمتلك دروباً للخلاص من مخالب السلطات القمعية، فالمثقف الذي أقض مضجع (غوبلز) وزير الثقافة النازية وجعله دائماً متأهباً لسحب مسدسه، هو كائن متمرد، وغالباً ما نجد الطغاة يلتجئون إلى الرموز التاريخية كي يتستروا بهم لإضفاء القدسية على أنفسهم وتحقيق أكبر قدر من التأثير الساحر في نفوس الضعفاء، هنا يريد الكاتب أن يعلن وعلى لسان (البروفيسور) أن الغزو موجود كنبوءة كما تؤكد الكتب التراثية، لذلك يحاول أن يستعين بشخصيات هي من الماضي تتصف بصفات لا تخرج من فلك مبادئه ورؤيته للحياة، كذلك يرفض اللجوء إلى (حيوانات متوحشة شرسة).. قد تنقلب وتغدو متمردة عليه: (نريد قوة تعقل

الكيفية التي يتم وفقها تنفيذ مخططنا). يريد شخصيات: (تتصف بالوحشية والشراسة..أعني الغدر والعنف) .يختار الكاتب مدينة (بعقوبة).. مكاناً، ليس لأنه مع الشخصية المقترحة لأجراء التجربة من قبل البروفيسور ـ محي الدين زنكنة ـ من أبناءها، كونها مدينة تاريخ وحضارة ولابد أنها تحتضن مواهب وطاقات بشرية غير محمودة الجانب وكونها مدينة تربط (شمالاً)ظل عنيداً وعصياً على السياسات الشمولية الهاضمة حقوق الأقليات المتناصرة، بـ(وسطٍ) قبع تحت أوزار التخلف والنسيان والتهميش، وأنها مدينة تتحاذى مع جارة لدودة أو مقلقة وربما كونها مدينة الثورات والأحزاب السياسية كما تذهب بعض الأدبيات الحزبية غير الموثوقة، يمكننا أن نستشف سبب اختيار الكاتب لهذه الشخصيات/ الدكتورة باء ـ الدكتور ألف ـ الدكتور جيم/ نجد أن الدكتاتور قد أختار لنفسه ثلاث شخصيات كنواب للرئيس، أحدهم كان أشبه بالمرأة، كما ذهب المثل (لا يحل ولا يربط)..!! يستقر الرأي على اختيار (محي الدين زنكنة)..كونه كاتب المدينة من جهة وأن شخصياته حملت هموم إنسانية كبيرة، تمردت وقاومت وحملت كل صفات التناقض، (لا حاجة لي باسمه).. أنه يريد عقله، يريد أفكاره، تؤرقه شهرته الشخصية، واختيار (ستة) لتشكيل (زمرة اقتحام مثالية).. نجد أن الاختيار قد وقع على من كان متطرفاً ومؤهلاً للقيام بما هو ـ شر ـ وأن العدد المنتخب هو عدد أعضاء ما كان يسمى (بمجلس قيادة الثورة) وكان الكاتب جريئاً وذكياً حين علّق في الواجهة (مسرحية من الخيال العلمي) وبذلك نجا من

مقصلة التأويل أو أوهمهم بأهون الأسلحة وحقق الخرق المادي والمعنوي ودق فوق ضريح السلطة وتد الاحتجاج، قبل أن يرسم المصير غير المأسوف لرجل مريض أحلامه، (أيّ كاتب شرير هذا) هكذا يخبر الكاتب السلطة دون اللجوء إلى اللف والدوران في تقديم الأدباء المتمردين، يحاول ـ الدكتور جيم ـ أن يفرغ سموم أفكاره (ضيق الخناق على ما يسمونه قوى الخير كي لا تنتصر أبداً) وهذا ما حصل على أرض الواقع، يقوله الكاتب علانية (ترك لقوى الشر حرية التحرك الواسع على رقعة أعماله الكبيرة والصغيرة) ونجد أن الكاتب (صباح الأنباري) حاول من خلال المسرحية أن يستعرض جانباً من اهتماماته النقدية خصوصاً نقد أعمال (محي الدين زنكنة) وإبراز أهم ملامحها الملحمية وما فيها من مجابهات علنية تصب في خانة عدم الولاء أو في دورق المعارضة، يقدم الكاتب لمحات مّما جرى لدى بعض سدنة السلطة ورقباءها والذين سهروا وتدارسوا كل جملة من جمل المسرحيات بحثاً عن كلمة قد تغدو طلقة قاتلة ونالهم ـ الفشل الذريع ـ دون أن يتمكنوا من حفر حفرة تلقي بالمسرحي في غياهب الجب، وقد يرى البعض أن المسرحية حملت أشياء ثقيلة كان يمكن أزاحتها، وأعتقد أن مهمة المسرح هي تبسيط الأمور الحياتية وعرض أوجه الحياة الدائرة ووضع الحلول الملائمة إن لم نقل المناسبة لها وأن الكاتب يوم قدم نصه المسرحي أراد أن يجازف ويحاول الاختراق جراء ما ناله من ظلم وسجن، يتصف الطاغية بصفة الواحدية (لا تحدثاني بأكثر من هذا) أنه لا يريد

شخصية أو أسم الرجل المنتخب لأغراض التجربة، يريد فقط ذاكرته وسر العبقرية الممنوحة له، ومن خلال الشخصيات - الست - يحاول تطويع الكاتب وضمه لحاشيته، ولا نستبعد (من خلال الظلام شيئاً فشيئاً) عملية تذليل الرعية وفق تدرج ضخ الجهل كما يفعل السرطان بالجسد، (أعرف أنكم جاهزون وما أريد أن تعرفوه أنتم هو أنني قد جئت بكم من حيوات مختلفة)/ (لأمنحكم فرصة تحقيق ما سعيتم لتحقيقه)/ (لكم من القوة ما لم يكن لكم من قبل) ويمضي البروفيسور في تلقين الشخصيات قبل إدخالهم إلى الحاسب الآلي وتحميلهم أيديولوجياته لتنفيذ مآربه وكل ما يقوله لهم من كلام لا يبعد عن الواقع المعيش وما حل بالبلد من خراب وتفكيك، (وأن أحداً لم يعد قادراً بعد على مواجهتكم إلاّي، فبدوني لن تستطيعوا فعل أي شيء) وقد تكون المباشرة كما يزعم أهل النقد وبالاً على النص الحديث، لكن لا يجب أن ينطبق هذا على المسرح كونه خطاب مباشر مع الناس وأن المسرح السياسي يقترح التبسيط الممكن لتوضيح القضايا الحيوية الراهنة وإن كانت تدخل في حيز المغامرة وتوقع العراقيل، ولكي نبرهن على أن هذا النص كان مفخخاً بالحقائق وكان يعني به الكاتب التصوير الصادق لمرحلة خطرة نجد أن من الواجب التقاط أقوال (البروفيسور)كونه القرين الذي وجده الكاتب للطاغية (أنا أوجهكم إلى حيث يمكنكم ويمكننا تحقيق رغباتنا في امتلاك العالم) فالطاغية غزا الشرق وغزا الجنوب ولولا العوارض التي وقفت بدربه لسار بعيدا من باب توحيد وتحرير ومسميات سلفية كان

يحقنها في رؤوس رعية سلموا أمرهم وباتوا قرابين مهيأة للنحر من أجل تحقيق هدف بمجرد خطر في باله، (البروفيسور) يقف أمام لوحة المدينة ويزعم أنه تمكن من لملمة التفاصيل (بمساعدة عدد من الخبراء المتعاونين معي) أننا إزاء خطاباً مسرحياً مجابهاً وراصداً، محترفاً لكل التفاصيل الدقيقة رغم الهالة الإعلامية التهريجية، والستر الحديدية الحاجبة لكل ما هو منافي للحقيقة، لقد زرع الطاغية حشداً من الوشاة لفرض هيمنته، ويعلن الكاتب هذا صراحة يمنحهم صفة خبراء، لنقترب أكثر من مكامن الخطر، هناك ثلاثة مراكز في المسرحية (مراكز المدينة الثلاثة ذوات الدفاعات الذاتية المشتركة والمستقلة) وهي واقعياً أو جغرافياً مناطق توزيع المهام الحزبية أو ما تسمى بمكاتب تنظيم شؤون (الشمال والوسط والجنوب) أوان كتابة المسرحية قبل أن تولد مكاتب أخر.. (وكل مركز من هذه المراكز يمكن أن يعمل ذاتياً في حالة تمكنكم من قطع الصلة بين مركز وآخر) كان لأركان السلطة المقبورة صلاحيات تنفيذ القتل والإبادة كونها من بنات أفكار الطاغية، لا يعنيه أي شيء سوى أهواءه النفسية ولا قيمة للموجودات والبشر لديه، كونها قرابين ليس إلاّ، يبدي نوعاً من الغزل المبطن وهذا شعور بالهزيمة وطريقة لتحبيب النفس لدى المارقين، يتولى القيادة من قمقمه ولكن الخرق المزعوم يبوء بالفشل (المؤشرات والبيانات تؤكد ذلك) فيصاب باكتئاب وتردد فاقداً السيطرة على نفسه (لقد قضيت عشر سنوات من عمري وراء قضبان رهيبة)/(حتى أصل إلى حلمي) لنسترجع

شيء من التاريخ ونقول كم من السنوات قضى الدكتاتور وهو (ظل لرئيس).. قبل أن يزيحه، من العام - **1969** ولغاية **1979** - تلك هي - السنوات العشر - والتي يعتبرها سجناً كون الفرصة لم تكن متاحة له لتسيس العقول وترويضها لصالحه، ومن ميزات الكاتب الموهوب هو خلق وقائع مقترحة قابلة الحدوث كنوع من النبوءة أو استشراف المستقبل أو قراءة واعية لمجريات الأحداث ورسم النتائج لها، أن حالة الضعف والاكتئاب لدى الطاغية لم تكن بدافع الانتقام من قبل الكاتب أو محاولة تشويهية ليس غير بل هو واقع حال (لأنني تسببت في قتل طفلتين، طفلتين ليس إلاّ) رغم أن الكاتب قال هذا عام - **1993** - نجد أن هذه النبوءة قد حصلت بالفعل يوم نحر (صهريه) وبالتالي هو قتل معنوي لابنتيه كونه ذبح زوجيهما، وسبق أن أشرنا أن الطاغية لا يتورع من إعلانه المباشر بصفته الفوقية (أنا جئت بكم من عصوركم وأزمانكم لتنجزوا ما لم تستطيعوا إنجازه في الحياة التي منحكم إياها خالقكم) قد تكون هنا إشارة إلى (محي الدين زنكنة) لكن (لم تستطيعوا) تدل على تفرده كونه خلق شخصيات حقيقية وليس كما فعل الكاتب شخصيات لا تعمل خارج سطح الورق، ولحظة يلقى القبض على (محي الدين زنكنة) بغية إخضاعه إلى التجربة (يبدو أنكم من البوليس) و(أليس هذا كرسي إعدام كهربائي) كناية عن الوضع الذي يعيشه الأديب والنهاية الحتمية لكل من يستدعى للاستجواب أو الاعتقال، يبدو لنا من خلال المسرحية أن النصوص الملحمية والمثقلة بالوقائع ظلت حصينة أمام مشارط

التفكيك والتأويل وعلى هذا الأساس أشتغل كل من (محي الدين زنكنة وصباح الأنباري) في إيجاد فضاءات تحتمل الواقع ولا تعطي نفسها بيسر، ويمكن الرجوع إلى نصوص الكاتبين وللمزيد من التوضيح..(ألا ترى أنني أمسك بحياتك ومصيرك) يرده الكاتب (بل أرى أنك تمسك بأوهامك) وهذا يوازي خطاب رهط السحرة يوم حادوا عن فرعون (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) فقتل المبدعين لا يعني القضاء على أفكارهم، يريد الكاتب أن يخبر السلطة بتمرد الأديب الحقيقي والوقوف بوجهه طالما يحمل قلماً ينزف دماً مغمساً باليقين، (سترى أنك لا تستطيع إلاّ أن تنفذ أوامري) يرده (وأن لم أفعل)..(ستفعل) هذا الشد السرّي حصل بطريقة أو أخرى لكسب النخبة وجعلهم أبواق لتلميع بروازة السلطة وبالتالي هو كسب للماضي من خلال شخصيات الكاتب، (أذن أنت تريد احتلال العالم)/ (أنت مجنون) رد فعل (زنكنة) لحظة يصرخ (البروفيسور): (لنحتلها ولنحولها إلى قاعدة لانطلاقنا نحو المدن الأخرى ولنقيم نظامنا العالمي الموحد) كما أراد هو دائماً وأبداً توحيد ـ الأمة ـ في كل خطاباته اليومية، بل نجد أنه يفه بكل وقاحة (أنا أريد أن أخدم الأرض فأقيها شر الفضاء) ترى أي شر يأتي من الفضاء أو السماء، زرعه الكاتب في ذاكرة رجل عليل وجد الحياة مختبراً كبيراً لتحقيق أحلامه (إدخال التغييرات على الشخوص بنفسي) فيه شيء من عملية كتابة التاريخ كما ينشد لا كما جاء، وهنا يستوضح لنا الكاتب أن اللجوء إلى المبدعين كي يقوموا بتحريف التاريخ من خلال تغيير نوعية كتاباتهم كونهم

أدرى بشعاب الماضي ويتحقق الإقناع من قبل الآخرين أيضاً، كونها جاءت من أقلام لها مكانتها وترسخت في الأذهان، يرتقي الكاتب بالفعل الدرامي من خلال مواجهة كلامية يمرر من خلالها ما يريده من حقائق هي لسان حال النخبة المثقفة، دكتاتور يبغي إلغاء الماضي وقولبته لصالحه وكاتب يستميت في الذود عن ما أنتجه عبر مسيرة حافلة بالأشواك والتابوهات (فبتحررهم منك يمكن لي أن أحقنهم بالمزيد من الصفات الجديدة) يريد انسلاخهم من ماضيهم كي يتمكن من احتواءهم بيسر (سأمنحك نصف المدينة) و(يا عزيزي الأستاذ) غزل مبطن بالكراهية وطعم معسول لتحقيق المآرب (حتى لو وضعتم الكواكب كلها في يميني) يقول ذلك الكاتب وعلى لسان (زنكنة) وهذا الرفض مستل من الرفض الذي جابه به رسول البشر معارضي الرسالة السماوية/ بلا تشبيه/ (لم نجرب من قبل تأثير الأشعة على الإنسان) وأظن أن الكاتب قد وضع نصب عينيه أسلحة ـ الدمار الشامل ـ وكل ما ينضوي تحت هذه التقليعة الحداثية لمعالجة الشعوب والأقليات غير المطيعة لساستها، وشل (زنكنة) واحتجاز شخصياته لا أجد غير تفسيراً قائماً هو حجب المبدعين وتهميشهم، كل من لا يواليه وعدم الترويج لكتاباته أو خنقه بعدم جواز التحدث عن أعماله كما حصل واقعياً يوم تم إبلاغ (رؤساء تحرير الصحف والمجلات) بعدم ذكر أي أديب هرب خارج البلاد، يبحث (البروفيسور) عن نقاط الضعف لدى الضحية كي يتمكن من اختراقه وليس هناك حل سوى اللجوء إلى من هو مؤثر ولديه الأسرار (صباح الأنباري) كونه صديق

(زنكنة) وناقد أعماله ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه، أن السر الذي يكمن وراء هذه المسرحية هو أن الكاتبين قد تعرضا إلى - السجن - إبان السبعينيات من القرن الماضي من قبل رجال الأمن كونهما كانا يقدمان الأعمال المسرحية المثيرة للشبهات والجدل وتعرضا لمسائلات وانتهاكات وضغوطات كي يتركا العمل المسرحي، رفضا ذلك وتم توظيف ذلك بعقلانية واعية وهما يعلنان الرفض علانية ومن خلال حوار لا يحتاج إلى الوقت كي يتم تنسبه أو تأويله، ويأتي موت (زنكنة) عام - **2000** - هو موت افتراضي، وهو إعلان صريح بأن الكاتب يعرف ما لدى (زنكنة) من أعمال وهو السائر على جمر من النار ولابد أن الاعتقال سيحصل والموت هو الحل الأخير لأصحاب الرأي الرشيد من أمثاله (أ..عالم أنت وإرهابي في آن واحد) هو رد (صباح الأنباري) حين يسمع التهديد (العالم كله سيخضع لي فلا حدود لسطوتي وجبروتي)/(رضيناها منك) /(ولا تتمادى معي فأن عذابي شديد) يرده الضحية (فلا تتعبوا أنفسكم معي) ويلتجئ إلى (آلة شل القدرة) و(أشعة القهر التدريجي) يقول (صباح) لمعذبه (أنتم مجرمون وقتلة وأنذال)..(من أنت حتى أجيبك) هذه الجمل ليس بوسع كاتب أن يدسه في كتاباته في تلك المرحلة المستعرة بالرهبة والجوع، لكن الكاتب قالها وحسناً فعل حين استعان بشخصيته لأداء الدور وكان يعني بطبيعة الحال أنه رافض ومعارض، موته من قبل الكاتب أراد به الخلود والشهادة من أجل الكلمة الصادقة (لأنني كنت أريد أن أمرر الوقت) إشارة لصبر الكتّاب رغم المعاناة وحين يصرخ

(البروفيسور): (يالي من غبي).. وما صرخته (ليس قبل احتلال المدينة.. ليس قبل احتلال المدينة) دليل فشله في تحقيق حلمه ونجد أن الطغاة لا يعيرون للوقت اهتماما كونهم يعيشون في أبراج الخلود الوهمية، وما حصل من نهاية لا تسر للطاغية واعترافه العلني قبل اصطياده في (جحره) بأنه كان على خطأ حين (جوّع شعبه وأشبع كلابه)، في المسرحية تم توظيف كل جملة لا تحيد عن الواقع ولم تخرج إلاّ من فم ـ الدكتاتور ـ ويمكننا أن نقول أيضاً رغم الأسلاك الشائكة والعيون المتأهبة لقنص كل كلام يأتي بالنور إلى رفوف التاريخ، كانت هناك جهود خيرة تمرر هكذا أعمال طالما هناك لوحة (الكتابات تعبر عن آراء أصحابها) أو ربما هو اختيار من لم (يفهم) ليكون قيّماً على حراسة الثقافة السلطوية الهشة، هكذا وجدنا النص عبر مقاربته مع ما جرى على أرض الواقع، وليس بوسعنا سوى التصفيق العالي لمن جنّب قلمه من الانزلاق والتمرغل بوحل التأليه، ونال رضا الناس بعدما تمكن بصبره ونزفه نقل الحقائق إلى واجهة الحياة ولو بعد حين..!!

* * *

** صباح الأنباري: كاتب مسرحي وناقد غادر العراق مؤخراً متوجهاً إلى (أستراليا) بسبب تدهور الوضع الثقافي والأدبي واحتجاجاً على تهميش دور المثقفين والأدباء وتفويت الفرصة عليهم للمشاركة في العملية السياسية لبناء صرح ثقافي حر، وعدم السماح له العودة إلى وظيفته السابقة والتي أقصي منها من لدن السلطة

السابقة وهي مدرس مادة المسرح الريفي، رافضاً استعمال ورقة التزكية لغرض قبول عودته، تعرض للسجن بسبب مواقفه الطليعية ومسرحياته المناهضة للواقع. وهو من أكثر الكتّاب والنقّاد ملاحقاً لأدب الكاتب القدير (محيي الدين زنكنه).

نال عدة جوائز أهمها جائزة مجلة الأقلام العراقية عن مسرحية (زمرة الاقتحام) وجائزة الإبداع للدولة للعام **2002**عن كتابه (طقوس صامتة).

**صدرت له:

* (طقوس صامتة) ../مسرحيات صامتة/دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد/**2000**.
* (ليلة إنفلاق الزمن) ../مسرحيات صائتة/اتحاد أدباء العرب/دمشق/.**2001**.
* (ليلة في ملكوت الصمت) .. (مسرحيات) دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد/**2004**.
* (البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنه) ../دراسة نقدية/دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد/ **2002**.
* (المخيلة الخلاّقة) دراسة في أدب محي الدين زنكنة/منشورات مؤسسة كلاويز/السليمانية/ **2010**.

* * *

محي الدين زنكنة/قاص وروائي وكاتب مسرحي

كبير، أصدر عشرات الكتب وفاز بعشرات الجوائز في المسرح، مات يوم **21**آب **2010** أثر نوبة قلبية مفاجأة.

تحليل الخطاب المسرحي وصلته بالواقع..

مسرحية-هل تخضر الجذوع-

للكاتب القدير/محي الدين زنكنه-أنموذجا..!!

يخبرنا الكاتب منذ اللحظة الأولى، حالة تلويث الواقع، من خلال جملة إشارات محسوسة، يوزعها بدراية تصب في صالح النص المسرحي، الذي يروم من خلاله أخبارنا برؤيته لما يجري أو ما سيجري، /تناسق السنادين.. الجذوع المقطوعة الملونة..سروال (مريم) /هذه الإحالات الإشارية تؤكد سمة الصراع، بين ماض يتواصل وأمراض مدينية تزحف لابتلاع كل ما هو تليد وتبديله بما هو بليد..

../سروال أسود ضيق، بلوزة خضراء فاقعة اللون../..

ما الذي يريده الكاتب..!؟

.سؤال مطروح جوابه (نص) مفكك لأغراض فنية، يقترح رؤية ونباهة لإعادة هيكلة (الثيمة) وبيان مغزى ما يبغيه، وكما يعرف أهل المسرح، أن من واجب الكاتب، توفير أرضية عقلانية تروض الأمزجة وتقنعها، ليس ذلك فحسب، بل تمهد أمام الأذهان شيئاً محسوساً أو ملموساً مما هو قادم من أخطار تلهث وإن كانت خبط عشواء تتنافى مع الواقع، وندرك طبعاً أن الألوان والمبهرجات الظاهراتية ليس بوسعها تغير طبائع الجذور وأن الشك آفة قائمة تتغلغل لالتهام براءة الحياة، (مريم) زوجة (دلير) و(شلير) أبنتهما المنكوبة، لا يوضح الكاتب بطريقة مباشرة حالة الفراق بين الزوجين، بل يجعل الأمور تتضح على لسان (مريم) مع انتباه ذكية حين يستخدم الهاتف كوسيلة إيضاح، فالخلافات العابرة (مقارن واقعي) لما يعبر من كلام متبادل عبر جهاز الهاتف، وتمكن الكاتب من تعليب الواقع وتأهيله لبناء جسد مسرحيته، لو رغبنا أن نعرف أسباب الفراق، علينا أن نتلصص بدقة على كل سكنات وحركات (مريم) كونها الشخصية الفاعلة والحاضنة التي تتشرنق فيها المكونات المسرحية لـ(هل تخضر الجذوع) نجد أنها تبث أسرارها إلى (جلال) ـ شخصية غائبة جسداً ـ عبر الهاتف..

/ بل السبب الوحيد الذي حملني على الافتراق من زوجي هو ذلك الخانق من الشكوك الذي كان يغطسني فيه/..

وليس من الغريب على المثقف المتابع أن (الشك) أحد

أهم مرتكزات الحضارة الغربية، فالغرب دائماً يبذل مساعيه الخفية لإزاحة أو هدم القيم الحضارية النبيلة وتبديلها بحضارات مرحلية تنسجم مع قفزاتها المعلوماتية من جهة ومن جهة أخرى إزاحة الكيانات الثابتة لشعوب تلتصق بجذورها المعرفية المتوارثة، كي تتداعى وتغدو شعوب قلقة ممكنة الاحتواء، دائماً نجد ثمة تفاسير مضادة مهيأة، أو قابلة التأويل وأحداث فعل التدمير، الشك منح حضارتهم سمات بارزة، كالاهتمام الزائد بالمظهر، في محاولة لطمس الأصالة، فتنامت جراء ذلك ارتباطات اجتماعية متفتحة، من منطلق دنيوي أن الإنسان كائن زائل يستوجب استغلال حياته بالمتع والمنافع الشخصية، هذا الفاصل أستغله الكاتب، ووظف خبرته المسرحية ودربته الفنية لإنتاج (نص) مشحون بالتوتر، مما ترك فرصة ملائمة لتمرير رسالة شفاهيه وعيانيه لأولي الألباب، يمكننا أن نستنتج أن الكاتب يريد أن يقول علناً: (احترسوا..؟؟) فالافتراق ما بين الزوجين هو النول الذي يدير الكاتب رحى فكرته حوله، وهو عنصر التوتر الذي ينطلق منه كالبرق على حد زعم (كولن ولسن) لأن هذا الافتراق قائم أساسه على شكوك، وهذه الشكوك شحنت (مريم) الشخصية الأكثر تواجداً بالقلق، وأغرقتها في بحر وساوسها ولا إنتمائيتها، لتواجه العزلة والبحث عن بديل أو ظل يؤويها ويناسب رغباتها المتفتحة، تجد نفسها أسيرة فراغ يتسع، والفراغ الغربي يملئ بما يناسبه أو يردعه كسد نقص، هو تعويض في متناول اليد، يمكننا أن نضيف أن المسرحية هي إخبارية أيضاً، إن سمح لنا

التعبير أو أهل التخصص، إذ أن إقامة العلاقات خارج بيت الزوجية أشبه بالتسلية ومطهر تثقيفي حداثي من سأم الحياة وفراغاتها الفكرية، (مريم) تختار من يوافق مزاجها المتحرر أو المتهور لا فرق، ترتبط بمن هو مؤهل لسد الفراغ الذي تركه (دلير)، هي تريد أن تستكمل قيافتها الأنثوية ليس غير، وجدت (جلال) الغائب قرينها لتوازن من شخصيتها أو كرد اعتبار لأنثى جريحة، نستنتج هنا ونشم رائحة صدام حضاري، بين قطبين غير متآلفين، الغرب والشرق، أو اليقين والشك، تم توليفة هذا الصراع من قبل كاتب متمرس جعل من بيت أسري مسرحاً لتمرير رسالته الأخلاقية.

* * *

يوحي فاصل الاستهلال رومانسية الرحلة، (رنين الهاتف) والهاتف ــ آلة إخبارية ــ تجري الكثير من التحرشات والعلاقات المهموسة عبر ثناياه، تبدأ (مريم) بتعثر وهذا دليل ما أسلفنا من ذكر بخصوص توترية النص، مع بدء الرنين تتفاعل وتسقط في مستنقع الشكوك رغم أنها اتصلت مسبقاً برادم فجوة فراغها (جلال) وهذه الشخصية لا نعرفها عيانياً طبعاً إن رام مخرجاً إخراجها من على خشبة المسرح، بل من خلال جملة عابرة وتأتي ضمن سياق التوتر فيما بعد، نستعين بها لغرض إعادة الأشلاء لأمكنتها الصحيحة..

هي: أنا أنتظر زيارة..

هو: من..

هي: تعرفه..

هو: سمعت.. جلال.. يدعى.. جلال..؟
هي: أجل..
ينثر الكاتب لكل سؤال مطروح إجابته في ركن ما من المسرحية، وهذه الطريقة تشحن الديناميكية والتفعيل المتصاعد للفعل الدرامي، وهو ما يوازي التشويق في القصة القصيرة، لنرجع قليلاً ونتلصص أو نسترق ما تقوله (مريم) لـ(جلال) لحظة المكالمة..
/لا..لا موجب أن تكلف نفسك إلاّ إذا كان عشاؤنا لا يروق لك../..
هنا يلوح لنا أن العلاقة بين (مريم وجلال) ليست جديدة، علاقة وطيدة وجديّة، ثمة علامات على ذلك، إلصاق صفة (فيروز) بـ(مريم) خصوصاً أنها فيما بعد تعود وتغني لـ(فيروز)../يالله تنام ريما/..حتى (دلير) يتلبسه الشك أيضاً.
هو: منذ متى تعرفينه..
هي: وهل لذلك أهمية..
هو: في.. في.. أقصد خلال مدة زواجنا..
هي: (بحدة) لست المرأة التي ترتبط برجلين.. ماذا تحسبني..؟
نجد أن استخدام مفردة بـ(حدة) تعني وفق المنطق أن سراً من أسرارها قد أنكشف، وبدافع غريزتها الأنثوية العنيدة أجابت باستفزاز كوسيلة دفاع لتبديد حدة السؤال الخادش لها، هذه الفواصل الدقيقة والتنشيطية غالباً ما تأتي صياغة لابد منها لبناء المعمار الفني للنصوص الراقية، وهي وسيلة من وسائل لملمة شظايا النصوص المفككة بغية ترتيبها وإعادة تأثيثها في بيت الفن، لتكملة

القيافة المهندمة، أو إعادة أجزاء الرسم للّوحة التي أرادها الكاتب، نهتدي لمنابت الشكوك من خلال الفعل الدرامي، دون أن يجعلها الكاتب بما يرهل نصه أو يسقطها في فخ المباشرة، تناثر التفاصيل خلقت التوتر ليغدو حاضنة لملاحقة الأشلاء قبل تجميعها، كونه يستفز ويرهص الذاكرة، نرصد فاصلاً أخلاقياً لدى الكاتب حين يخبرنا معرفة (دلير) بالعلاقة بين (مريم وجلال) من خلال عدم تحميله موقفاً عدائياً أو انفعالياً، يمرر على لسانه ربما بكل تواضع مفردة (سمعت) وهذا يدل على أن الرغبة قائمة لإعادة ـ الخضرة ـ لجذور آيلة ليباس، وأنه أي (دلير) مستوعب (مريم) كامل الاستيعاب، لذلك يتجنب زيادة توترها النفسي، وهي محاولة تصالحية لانتشالها من عزلتها وإخراجها من مأزق مزاجها المثخن بأمراض محدثات تزحف لالتهام ـ مريماتنا ـ و ـ سمعت ـ يعزز من الفضاء الشكوكي للمسرحية، أو بالأحرى يحاول أن يفهما بكل أدب أن الفراق نجم عن حفنة شكوك وظنون، ويمكننا إلى أي مدى أن نتصور عجز (مريم) للتكيف أو التعويض من خلال مهاتفتها، ماضيها مشحون بصدامات، رغباتها بلا حدود، ثمة أخطبوط يبتلع (شلير)، ومن العلامات الدالة على لا أنتمائية (مريم) سرعة نسيانها زوجها، نسيانها رقم هاتف الدكتور، قلعها الأشجار، تحاول بشتى الوسائل الدفاع عن كيانها أو عرين أنوثتها رغم بلاغة جرحها، و(دلير) أيضاً يناضل بغية تنقية الأجواء أو فتح نافذة تكفي لمرور نسمة قد تسمح ضخ المياه إلى الجذوع اليابسة، دائما في المسرحيات الهادفة توجد فواصل

مفاجآت تدفع الثيمة باتجاه ضفة المستحيل، لنتمعن في بكاء (شلير) أليس يشبه جرس إنذار..؟نجد أن (مريم) تستيقظ من إستمراريتها بالتمرد، كونها على موعد مع (جلال) وحين تتناول ـ المنشفة المبللة ـ ندرك أن (شلير) مصابة بالحمى، تغني (مريم) ـ يالله تنام ريما ـ قبل أن تخفت صوتها تدريجياً، وهذا إيعاز بانتهاء ـ مشهد ـ ساده الجذب من فعل التوترات المتواصلة.

* * *

ليست ثمة مشاهد..

يشير الكاتب أن المسرحية من فصل واحد، فالخفوت الحاصل في صوت (مريم) يرافقه (رنين) يفاقم الموقف ويزيد من تأزم (مريم) ربما يريد الكاتب عدم السماح لنصه الركون لهنيهات هدوء، وجد التعبير الموسيقي المرادف للقلق والشكوك من خلال هذا الفاصل المتوازن، رنين يتصاعد على اضمحلال أو خفوت صوت، هنا لابد من وقفة تأمل لقراءة هذه اللمسة الساحرة العابرة قراءة ثانية، لنضع الرنين الأول في يميننا ـ رنين الهاتف ـ وهو جهاز منزلي أي بمعنى آخر داخلي، إشارة غير قابلة التأويل لبدأ العرض الداخلي ـ في الصالة ـ للمسرحية، أمّا الرنين الثاني نمسكه بشمالنا، جاء من خارج الصالة، تحديداً من وراء باب حديقة المنزل، إيذان غير قابل النقاش ببدء العرض أو الصراع الحقيقي، القسم الأول تستولي (مريم) على المساحة التمثيلية أي ـ مونودراما ـ تم إلحاقه بقسم درامي، صراع ممتع بين (مريم ودلير) ..

1ـ رنين الهاتف.. داخل الصالة.. (مريم).. تحاور عبر

الهاتف.. (جلال).. مونودراما..

2- رنين جرس الباب.. باب الحديقة.. خارج الصالة.. (مريم) تحاور وجهاً لوجه (دلير).. دراما..

* * *

ترتبك (مريم) تحاول أن تتزين بزي يرضي القادم (جلال)، ارتباكها يفسر ليس لصالحها، أنها شخصية لا تثق بنفسها، غالباً ما يخفق الإنسان القلق في اتخاذ قراراته، يباغتها من غير أن تحتسب (دلير) تنتابها حيرة وقلق، مرة أخرى يتواجد الكاتب لإسعاف النص بومضة من الشفرات السرية المتناثرة، برهان آخر على لا أنتمائية (مريم)، يحملها نسيان برقيتها له للمجيء، وعودة (دلير) هنا يريده الكاتب عودة الماضي، وقد تكون إحالة قصدية منه للتعبير عن التصاق الإنسان بجذوره، فـ(مريم) أرادت منه الحضور لغاية، تريده المجيء لأخذ أشياءه القديمة، وهي رغبة للتخلص من كل مخلفات ماضيها..

هي: (تتجنبها).. معك سيارة.. حمالون..

هو: (بدهشة).. سيارة؟ حمالون؟ لم؟..

هي: كيف تنقلها إذاً..؟

هو: (تشتد دهشته) أنقلها؟ أنقل ماذا؟

هذه المفاجأة سلبت إرادة (مريم)، وجدت نفسها بين ثلاثة أسهم أوهنها قاتلة..

(جلال).. قادم في الطريق../

(شلير) عليلة تشتد حمّاها../

(دلير) يباغتها في وقت غير مناسب../)

عودة (دلير) كان بمثابة القشة التي قضت على آمالها وحرمتنا من رؤية شخصية (جلال) ..وشأن الكتّاب الكبار لا يسقي (محي الدين زنكنه) الجذور دفعة واحدة، أنه (طبيب أنثر وبولوجي) يعرف كيف يداوي العلة المستعصية، يزق أو يضخ الأمل رشقاً، أنه تمرين أخلاقي لصناعة المسرحيات الهادفة، نراه يزيد من كمية الحوار، وهي طريقة علمية لتفريخ شحنات الغضب أو تطهير الذات من تكلسات الماضي، هذه الطريقة نستدل منها، تمهيد أرضية خصبة لتفجير قنابل المفاجآت الممكنة من جهة، إضافة إلى وظيفة إثراء وتكملة الفقرات أو الحلقات المفقودة للنص..

هو: قطعت كل الأشجار الباسقة..

هي: لا أظنك تعتقد بأني طلبتك.. لكي تحاسبني على أفعالي..

هو: لم تترك شجرة واحدة تعلو على الآس..

هي: شتلت بدلاً.. عنها.. الزهور.. وهي أجمل..

هو: صحيح.. ولكنها أقصر عمراً..

نلتمس من خلال هذا الحوار شيئاً من الألفة وخفوت حدة الخلاف بينهما، حوار هادئ وناعم وحزين ومثمر ومعبر وفيه أمل ممكن، ثمة حزن يعتصر قلب (دلير) حين يكتشف اقتلاع شجرة الزيتون، كونها تحتضن ذكرى أول (.....) تنبتر المفردة من وقع الغصة، ومن سياق الحوار نجد أنهما قاما بزراعتها بعد أسبوع من الزواج، نجد أن شخصية (مريم) متحررة من خلال المكاشفات المحمومة، عنيدة، تأثرت بالمستوردات والمحدثات الحياتية الزاحفة، امرأة تريد أن تتنصل من

واقعها صارت بحكم القدر امرأة لزوج متسامح، رغب أن يعيش معها في ظل ـ زيتونة ـ زرعاها معاً ذات يوم سعيد وأثمرت من بعد ليالي سعيدة فاكهة (شلير).. وضمن سياقات التحاور يعرج الكاتب وعلى لسان (مريم) صوب (سعاد) زميلة (دلير) يريد الكاتب توضيح طبيعة (مريم) بيان طبيعتها المتبجحة، شراسة أنوثتها، لا تني الاصطياد حتى في المياه العكرة، تفسير آخر لمسكونيتها بآفة المدينية الغربية، فهي لا تعرف طبعاً ـ هكذا أراد الكاتب ـ أين تضع أقدامها، مثل قطة جريحة، لا تعترف بخسارتها، تريد رد اعتبار، رغم نبرة الزوج المسالمة، تتعلل أنها بحاجة إلى تلك الغرفة، غرفة مهملة ظلّت أشياء (دلير) تجثم فيها، وفق اعتقادها، بات المنزل ملكها بعد افتراق (دلير) طبعاً، ما الذي تبغي من وراء ذلك، الفضاء المسرحي يفصح بأن القضية سيكولوجية أنثى متمردة، تريد القضاء على الجذر الأخير من ماضيها، بعدما أحدثت التغير الشامل لحياتها القادمة، اقتلعت شجرة الزيتون، رمز الحب وبداية رحلة لم تكتمل، ووضعت بلهفة حلم في أفق مستقبلها (جلال) ..

* * *

(مريم) تحاول منع (دلير) من الوصول إلى (شلير) لحظة يتناهى بكاءها، وما انتصاره سوى انتصار الماضي على كل زاحف جديد، مرض (شلير) هنا يجيء كناية عن مرض واقع (مريم) الجديد، نجدها تتخبط وسط صراع من ثلاث محاور، أسمينها ثلاثة سهام، يائسة تظل مثل غريق ينشد قشة النجاة..

* * *

انفعالية (دلير) تتفاقم لحظة اصطدامه بحرارة (شلير) من هذه اللحظة يبدأ الكاتب بحقن بذور الأمل ورشق الضوء كبداية نهاية لمسرحيته، يحصل خفوت في حدة التوتر.. وتنحدر (مريم) من أعالي أحلامها وغرورها بسرعة البرق إلى منبسط تواضعها..

[(مـــريم) عدوانيـــة.. (مـــريم) متوســـلة.. (مـــريم) مسالمة..]

مثلما يبدأ الكاتب التصعيد التدريجي للنص للكشف عن الجوانب الخفية، يبدأ بالتغير الشامل صوب النقطة الحاسمة، نقطة التنوير، هي بطبيعة الحال صحوة متعافية في جسد المسرحيات الواقعية، فالمرض كما هو معلوم لا يبلى دفعة واحدة، لابد من أجواء تنقيهية قبل اقتلاع الفيروسات المعششة في غفلة من العقل، هذه النهاية المتوقعة يذكرنا بنهاية مسرحية (الرجل الفظ) **لـ(تشيخوف).. (بوبوف) تتحول أيضاً من شخصية مجابهة إلى شخصية مساندة مع (سميرنوف) رغم أنها استنجدت بخادمها (لوكا) ..

لنتأمل هذا الحوار لنلتمس ذلك الهدوء الساحر الذي يبثه الكاتب رغم قلقية النص..

هو: لنأخذها إليه..

هي: نأخذها؟حقاً؟أنا وأنت؟..

هو: لم لا؟ما الضير..

هي: حقاً ؟ألا تعرف ما الضير..

لا يمهل الصياد الماهر طريدته الجريحة فرصة لملمة

قواها، يدفع الكاتب (دلير) لينقض ويضع على لسانه لهجة انفعالية بغية سد منافذ العودة للمجابهة بوجهها..

هو : انتظري فارسك الموعود إلى ما تشائين..

لقد أختار الكاتب هذه الجملة لتكون المطرقة التي تدق آخر مسمار في نعش الماضي، لأن (دلير) لحظة اندفاعه لحمل (شلير) يركل الحقيبة، وركل الحقيبة هو تأكيد على ركل الماضي، ركل الحياة المتنقلة مذ حصل الفراق، هنا تستجيب (مريم) وتندفع وراءه متوسلة..

هي: دلير تمهل..ريثما أغير ملابسي.. أرجوك..

سرعان ما تنسف من بالها تغير ملابسها، وتكتفي بشد روبها/ ماضيها/ وتندفع لتولد من جديد..

* * *

(جلال) يمثل رمز الحضارة العليلة، عدم مجيئه حل ملائم عن عدم تمكن المدينية الغربية من التسلل إلى بيت مقدس بماضي مشرق أساسه الحب والتسامح.. وعدم تغير (مريم) ملابسها للحاق بـ(دلير) نقطة حساسة، كون (مريم) لابد أنها أعددت ما يناسب ذوق (جلال) ذوق الحياة التي رسمتها وهو ما لا يلائم ذوق ماضيها (دلير) ..

* * *

من خلال هذه القراءة نستنتج أن الكاتب (محي الدين زنكنه) ألتقط حالة من حالات الشواذ القادم لتفكيك المواريث الاجتماعية، عالجها بنص مسرحي احتراسي، مع وضع الحلول من خلال تسامحية وعقلانية الزوج،

نجد أن (مريماً) مهما حشدت حولها من بدائل تعويضية، سقطت من جديد في بئر ماضيها (دلير)..!!

* * *

* هل تخضر الجذوع ـ مسرحية من فصل واحد ـ محي الدين زنكنه ـ مجلة البيان الكويتية ـ **1991** .
** الرجل الفظ ـ مسرحية ـ تشيخوف ـ نفس المصدر .

باب الفكر

لغة الثقافة ولغة السلطة..

تاريخ شائك بالتحديات..!!

[ما أفلحنا في تحقيقه كعرب هو الوحدة الثقافية، لقد وحدنا الكتاب والفيلم والأغنية، وهي أمور ليست في حاجة إلى ـ جامعة عربية ـ أو ـ أنظمة سياسية ـ].. (أسامة أنور عكاشة).

[السياسي هو العدو الوحيد للحقيقة]..(أرسطو).

[لا أخلاقية في السياسة، هناك فقط نفعية].. (لينين).

* * *

ربما غير مجدٍ الاستعانة بمسوغات لبرهنة ماهية الثقافة والعلاقة الجدلية المتأزمة بماهية السلطة، يبقى السؤال مطروحاً من غير الوصول إلى إجابة محددة ومقنعة حول هالتها ومكانتها في راهن وضعنا المتذبذب، يدفعنا الشك لمراجعة تراكمات التاريخ السياسي للحكومات التي تناوبت على ديمومة السلطة رغم أوجه الاختلاف بين توجهاتها ومسالك إداراتها لدفة الأمور، لبيان التصادمات الفكرية والاتهامات غير المنتهية بين الطرفين المتضادين، كون التاريخ حاضنة الوعي الكامل للوجود، فيه تخمد أوار الصراعات بشكل محايد ومستسلم إلى حدٍ ما، ما لم تتلصص أقلام ولغاية ما تحفر في الصخور للبحث عن شذرات ضوء تفيد أو تسند فكرة موضوعة، فالتاريخ كما يقول/د.قاسم عبده قاسم/أكاديمي مصري (أنه أشبه بنهر يتدفق من المنابع إلى المصب حاملاً كل التفاصيل والدقائق والمواقف والأحداث والشخصيات والظواهر)، لابد من قراءة غير تقليدية وعدم التباهي خطابياً بما تم الإعداد من وعود تعرقلت تحت تبريرات جاهزة ومقنعة بطريقة أو بأخرى، أعدت سلفاً طالما الوعي الثقافي غائب أو مهمّش ويكون العقل عائماً في فراغ يبحث عن طوق نجاة، نريد من التاريخ قراءة بيولوجية غير هاملة لأية فكرة حتى لو تقاطعت مع التوجهات الآنية لمرحلتنا الحرجة، كي يتم استنباط دروس الفلاح وإقصاء مسالك المهاوي قبل الشروع بمشروع نهضوي يوائم ويحادد باحتراس كل ما هو مطروح عبر الغزو الفكري والمعلوماتية الملغومة

بكثير من الفخاخ والمزالق، لابد أن تكون القراءة شاملة لكل المراحل الحياتية، كل الجوانب الحيوية، علمية ودينية وفلسفية، كي يتم إنتاج شجرة وارفة الظلال تلملم جراحاتنا وتنقذ ما تبقى لنا من مزايا شاعت في عصور نهضتنا، (التاريخ يعلمنا أن الأمة التي يعتريها الشعور بالتسلط والهيمنة وسراب الخلود هي أقرب ما تكون إلى التصدع والأفول) هذا ما يراه/ سالم بنحميش/ الروائي المغربي في قراءته للماضي، كون التاريخ مجموعة مآثر تشكلت منّا وفينا عبر متواليات حياتنا المنصرمة، ويجب أن نأخذ بنظر الاعتبار قوانين الحياة الثابتة وفق الدستور الجمعي السائد أن الحياة ديدنها أخذ وعطاء وكل فرد هو قبل كل شيء كائن حر له الخيار في صيرورة حياته شريطة أن يحافظ على ما هو ليس له، مثلما يبغي أخذ ما يحتاجه، فكل شيء في الوجود له منبت وأصل وما تلاه وتشظى منه مجرد فروع خادمة أفرزتها الحاجة أو تطلبها الظروف المتعاقبة من أجل ديمومة الوجود وتكملة قيافة المرحلة، ربما الحديث حول هذا المفهوم متشعب ومتعب في آن، لتعذر لملمة المصادر وأحداث توافق مبدئي يرضي أصحاب الآراء والمذاهب القائمة على أسس تماشي أمزجتها بيد أنها محض أحلام تبحث عن أزمنة موعودة، طالما الوقت الراهن غير مؤهل لاختلاط الرؤى وعدم وضوح الغايات، وربما نتيجة هذا الكم المتراكم والمتناسل من طروحات ونظريات منهجية وفلسفية ليس من اليسر لملمتها وتلخيصها في أضعف الاحتمالات، ما لم يسبقها العمل على بناء مؤسسة متخصصة بمسايرة البنية الفكرية

وطبيعة الحالة المعيشة للمجتمع، أساسها التراث كونه حاضنة نقية وولود وفيه أفياء أوان التصدعات ومنقذات حين تتوالد المآسي، لننظر ما يصرح به الكاتب البرازيلي الشهير/ باولو كويلو/ (الثقافة العربية لعبت دوراً مهماً في التراث الإنساني، فضلاً عن دورها في إثراء مخيلتي ككاتب، إنها أعطتني الكثير جداً وبصورة لا يمكن التعبير عنها بعبارات إنشائية تقال من باب رد الجميل) أن ما يهمنا الآن وضع حجر الأساس والبدء بما هو مسعف ومنقذ لمحنتنا أو يبث على أقل تقدير بعض نور لنا كي نفك الاشتباكات الخانقة لتسليط حزمة ضوء لشرخ دياجير المسالك العاطلة عن أداء أو إسداء النصح لتمكين أصحاب القرارات من وضع قطار المرحلة على سكة الخلاص، فالثقافة على حد تعبير الناقد المصري/د.عبد العزيز حمودة/هي معركة البقاء الوحيدة المعروضة أمامنا كعرب في ظل ضعفنا الاقتصادي والعسكري والسياسي) ..!!

* * *

لنا تراث نافذ..!!

أن ما يهمنا هو أيجاد فرص متكافئة للسعادة على أقل تقدير كي نجد الفرص الملائمة لخط نهجنا السليم وبناء حضارتنا المتوائمة مع المفاهيم المشاعة لثقافات الآخرين والتعايش على مبدأ المنفعة المشتركة كي لا تتعطل أية منظومة من منظومات الأطياف المتساندة داخل فرن الواقع الغامض لديمومة الحياة،

يـذهب/لوبون/(أن الشـعب الـذي يريـد الرقـي عليـه أن لا يقطـع الصـلة بماضـيه) حسـناً كيـف يمكـن التعامـل مـع الماضـي..؟؟ مـا لـم تتـوفر مناخـات تيّسـر مفـردات تفعيـل العمليـــة النهضـــوية وفـــق متطلبـــات حاضـــر الحيـــاة ومستقبلها، لابـد مـن مؤسسـات ثقافيـة مسـتقلة تنبـذ الفرقـة ولا تتعـــاطى المحاصصـــة ولا تتعكـــز علـــى أجنـــده ومسـتوردات جـاهزة تتقـاطع مـع مناهجنـا، مـن غيـر مؤسسـات فاعلـة تبـدو عمليـة النهـوض متعثـرة أو قابلـة لتجاذبـات ملّحـة تحـت تـأثيرات شـتى تلتجـئ إليهـا جهـات تترصـد الثقـوب والفراغـات لأشـغالها بطـرق إغرائيـة، وليس أمـام أيـة مؤسسـة تحمـل مشـعل التنـوير علـى عاتقهـا سوى خيـار واحـد أن تنطلـق مـن منطلـق أن الإنسـان كـائن حـر لـم يخلـق للقيـود والتجـارب البشـرية عبـر تنظيـرات سياسـية خانقـة ديـدنها تحقيـق أحـلام محـددة الأهـداف، وضـرورة اسـتلهام ماضـينا واستحضـار الـزاد المعرفـي لـلإرث المهمـل إلاّ فـوق أرفـف المكتبـات وبـين خازنـات المتـاحف، هـذا الماضـي المـأمول لـن يـأتي إلاّ مـن خـلال التمسـك بنقـي التـراث وزلالـه، بسـائر العلـوم المعرفيـة، بالتجـارب الحياتيـة التـي أفرزتهـا المراحـل المتعاقبـة علـى كافـة الأصـعدة، الأمـم تـدرك أن تراثنـا نافـذ ومتغلغـل فـي تضاعيف الأمم المتحضرة وثقافات الشعوب، ربمـا لسـبب غير وجيه/كتاب الليالي الألف/ السحر الذي رسم صـورة غيـر مرضـية لنـا عبـر العصـور لـدى مغـارب الأرض ومشـارقها، هـذا الكتـاب الـذي حامـت حولـه شـكوك غيـر منتهية بخصوص مؤلفيـه والغايـة مـن تأليفـه خصوصـاً أنـه يتنـــاول جوانـــب العبـــث والمجـــون لمرحلـــة متقدمـــة مـــن

الـوعي المتمـدن للعباسـيين، مـا طـواه كتـاب (ألـف ليلـة وليلــة)، جوانــب منافيــة لأخلاقياتنــا السـلوكية ونظرتنــا الحاسـمة تجـاه أهميــة الـزمن وسـيادة الرفاهيــة والسـلام وفق معـايير متوازنـة ومشتركة بين الشـعوب، تقـارب فـي وجهـات النظـر وتبـادل فـي المنـافع التجاريــة والفكريــة والثقافيـة والاجتماعيـة بـين الأمـم وإشـاعة روح التحضـر مـن خـلال العمـران وأهميـة العلـوم والمعـارف فـي حيـاة الإنسان، ولا ينكر أحد أننا أصحاب كنوز معرفية صارت البنيـان المتـين لكـل علـم مسـتحدث مـن أصـول الطـب والرياضـيات والكيميـاء وأسـرار الأفـلاك وسـبل التوصـل إلـى مسـارب البحـار وأصـحاب أول سـاعة أذهلـت الملـك (شـارلمان)، لقـد مـرت أمتنـا عبـر مسـالك ملتويـة حافلـة بالحروب والمجاعات وكل إشكاليات الغزو وتنوع الغزاة واختلاف مغزى غزوهم، اشتركوا معاً في السلب والنهب والنهل من كنوزنا واشتركوا من غير اتفاق ترك الخراب القـائم فـي كـل منـاحي الحيـاة، إضـافة إلـى مـا تركتـه الحكومـات الشـمولية مـن ترسـبات وعوائـق قـد تـدفعنا لسنوات ثقيلة ننهمك بمعالجة سبل التخلص من تركاتها، قبل البدء بمشروع التنمية النهضوية لرسم خرائط جديدة تسـتوعب مكنوناتنـا وأحلامنـا المؤجلـة، يقـول الروائـي السـوري/ نبيـل سـليمان/ (لقـد أوصـلتنا الدكتاتوريـة إلـى عنـق الزجاجـة كمـا أوصـلت نفسـها، وهـا هـي الآن تنـادي بالإصـلاح بعـد أن أصـبح الإصـلاح ضـرورة لهـا، بعـدما جفت دماؤها ونخرها الفساد) أليس هذا دليل قاطع وربما حاسـم علـى أن النظـرة السياسـية لأيـة سـلطة (توليتاريـة) غالبـاً مـا تكـون ضـئيلة الـزاد فـي سـفر التقـدم، وأن لغـة

السياسة بعد تجارب مريرة وخسران مبين بدأت تستلين أمام لغة الثقافة بعدما وعت أنها لغة الحياة..!!

* * *

الاعتراف بالثقافة..!!

ليس من العيب اللجوء إلى التجارب السابقة لأخذ ما يناسبنا وينقذنا من آفة الانحلال الذي بات يشغلنا بل ويلجم كل فرصة مؤهلة للنهوض، فـ(التجربة أستاذ ولكن بنفقات باهضة) على حد قول/كارميل/ مهما تكن الخسارات والتضحيات فالنتائج والحلول الشافية لعلاتنا المستعصية ستدفع أثمان الخسائر المهدورة على وتيرة متصاعدة، إذ ليس من المستحسن عزل فئة متنورة قادرة على تحمل المسؤولية والمضي إلى نهاية الشوط عن قيادة القافلة النهضوية لردم فجوة النكبات، المثقفون فئة نشطة لمّا تزل تتشبث ـ رغم حراجة المواقف وصلابتها وقلة الحيّل والتهميش المتعمد لهم ـ بالإرث المعرفي، فئة تنصهر على لهيب العوز والحرمان بغية المحافظة على الجذور الرافدة لاخضرار شجرة الحياة كي لا تجف، هذه الفئة التي يراها/سارتر/(المثقف إنسان يتدخل ويدس أنفه فيما لا يعنيه)، وقد لا نجد عيباً فيما ذهب إليه، طالما الثقافة ضوء ساحر وخطر محظور اللجوء إليه حتى في أحلك المراحل من لدن المتنفذين وصنّاع القرار، فعملية حشر المثقف أنفه في كل محفل ليس للتشميت أو التلصص بل هو مصل التعافي لكل جسد عليل يفتقر إلى معين، لا يريد المثقف من ذلك غير مراقبة الوضع لحظات التأزم ومعاينة أو تشخيص

المسببات وهو متأهب للتدخل إزاء كل انحراف يتعارض مع نهج الحياة، لقد قال/نابليون/ (الخيال يحكم العالم) أليس هذا الكلام هو اعتراف كامل بدور المثقف في قوادم السنين وأن رؤيته تستند على منهجيات دنيوية قائمة وثوابت كونية آيلة للمثول، كون المثقف هو سائح مجاز وحامل مصباح /ديوجين/ في أرض الخيال، يبحث عن كل ما هو ملائم لمناخ مرحلته طالما يجد نفسه الإنسان المثالي وصاحب رؤية ومنطق عقلاني ويستند في معالجة الأزمات على قوانين ثابتة لا تتدحرج خارج فلك الإنسانية، وليس من المعقول أن تنفرد جهة ترى نفسها متعالية الخطاب لرسم المستقبل ما لم تساندها جهات متنفذة كون كل مشروع فكري مطروح للتنفيذ لابد من راسم للفكرة، لابد من ممول لدفع وشحن روح الفكرة، لابد من حارس يقظ يقي الفكرة من عبث الرافضين مع ضرورة وجود مروّج وناشر لتلك الفكرة بغية زراعتها في كل مناحي الحياة، ولا أظن أننا قادرون الآن على توفير هذه التناصرات طالما هناك سلطات تصنع الحواجز بين الثقافات داخل البيت الواحد، ولديها رقباء أمناء تتربص بكل ما هو يتقاطع مع أفكار بيئتها، حتى (المعارض) التي تطبل وتزمر لها أبواق السلطات غالباً ما تكون لمجموعة (دور) تتعامل بحساسية مع الحقائق وكل ما يمس الكيانات، مع وجود عارض صادم أمام الباحثين عن الزاد المعرفي هو غلاء الكتب ليكون في متناول فئة مقربة كونها صاحبة أرصدة مفتوحة، بينما يدعو المثقفون إلى ضرورة إشاعة الثقافة الشعبية عبر توزيع المطبوع بطرق يسيرة غير مكلفة أو بتغيير المناهج المدرسية العقيمة وتبديلها بثقافة الصدق

الحافلة بكل إشكاليات الحرية الفكرية المنتجة..!!

* * *

دواعي اللجوء إلى الثقافة..!!

نحن الآن بالذات ننحشر في بوتقة خانقة تتهاوى علينا تراكمات أخطاء أنتجتها مؤسسات استخدمت الهمجية بدل المنهجية لتجيير الواقع وربط رقاب الناس بحبل التجهيل قبل أن تترك برازها و(تولّي)، ابتغت تحقيق غايات شوفينية لمرحلة ما قبل أن تبتلعها رياح التغيير لتنتج أو تقلب أحشاء ماضينا المتفاعل فينا أوان الضياع وتفعّل ما هو هادم ومدمر ولاغي لكل حلم دثرناه بلهيب صبرنا، نحن الآن نصطلي على لهيب متصاعد في انتظار لحظة صحو كي نحرر ذواتنا ونتخلص من الخمول المترسب قسراً فينا، هي ذي المرحلة الحاسمة بعدما نفدت الكثير من مراهنات أعداء التغيير وتصدعت آراء أصحاب العقول المنغلقة والتي غالت دونما استحياء في تهويل النتائج اللاحقة لوقف الرياح وإعادة السفينة المخطوفة من فك المتاهات ودفعها من جديد صوب آتون آخر، ربما نجد اليوم ورقة بغيضة أكثر فاعلية لإزاحة الشمس من أفقنا المأمول، تم اللجوء إليها وفق خطط مدروسة ومدعومة من جهات ما في غيّاب أصابع السلطة السحرية أو الفراغ الحاصل جراء التخبط والتناحر خارج بيت الثقافة، أعني ورقة الطائفية، التيزاب الذي لا يفرق بين معدن نبيل وآخر رخيص، ورقة التمزق وفق العرق والدين والقتل على الهوية، لا ينكر أحد أن المثقف هو الكائن الأكثر حساسية في أي

مجتمع تجاه المغالطات الحاصلة لتصادم في الآراء السياسية البحتة، لذلك نجد المثقف أول من يلقي الحجر في البركة، ينفعل ويغامر وربما يتجاوز حدود الثالوث المحرم (الدين والجنس والسياسة) وهذا دليل خالص حرصه وسلامة وعيه تجاه مجتمعه، نجده يؤهل نفسه أينما يكون موقعه لحمل مشعل التنوير لإنقاذ أو إذلال المواقف الصلبة أمام المجتمع، تقول/ مارجريت أويانك/ مؤسسة صندوق بانيبال للأدب العربي في لندن (هدفنا هو كسر الحاجز الذي بناه الغرب إزاء العالم العربي وثقافته، وموروثه الحضاري، وبالتالي فتح قنوات للحوار بين الشرق والغرب) هناك من يعترف بقوة ثقافتنا وحضورنا الذي لابد منه لإلهام الحياة بجوانب مضيئة ودافعة للسلام وتنامي المعرفة وتلاقحها بين شتى الأمم، المثقفون عقول متنورة قرأت كتاب الحياة بعين محايدة وتلصصت ببصيرة معرفية على الكنوز الحقيقية الراسخة في ضمير التاريخ، تريد للثقافة دوراً قيادياً في سلطة الحاضر لتبسيط العيش وتخليص الواقع من الأزمات، وليس من المستبعد انزلاق شريحة من مثقفينا لها ثقل واضح في راهن حياتنا الثقافية صوب أتون الطائفية، وإن كان ظاهرياً ينبذ ويستر جوهره بكلام ملغز وهارب من المجابهة العلنية، ففي النفس مناجم لا تسر وربما منابت تدفع أوان الغبرة سموم فاعلة تزيد من ضراوة المحنة وتسعير الموقف، الانزلاق مشروع قائم ما لم يتم تدارك الموقف قبل فلتان آخر خيط من يد المصير آنئذ نواري ثقافتنا ربما لدهور قاحلة، هذا الإنزياح أو الانجراف ناجم بطبيعة الحال جراء وقائع

ملموسة تعج بها أيامنا، استنادا على ما جرى ويجرى في يومنا هذا من انحيازات وأخوانيات ومجاملات وتلاسنات دفعت ثقافتنا نحو خانق الحياة، هذه المنبوذات ليست اعتباطية النمو، بل هي وليدة جهات مؤسساتية تعمل بخفاء لصالحها الخاص، تبذخ ما لديها من أموال مفتوحة لكسب ود فئة تراها رهن اليد أو غير محصنة إزاء لقمة العيش، مما تحصل فوارق وإنعزالات وتكتلات تهدم من الجدار الثقافي العام إذا أخذنا بنظر الاعتبار ثقافة البلد سلة تلتئم فيها مجموعة متناصرة من ثقافات متنوعة تنتجها أطياف جمعتهم جغرافية محددة من الطبيعة، لما تزل علاقة المثقفين فيما بينهم سواء في الندوات والدعوات وحتى في عمليتي النشر والنقد تضفي تلاوين سمجة تقلل من هيبة الكلمة الصادقة وأثرها في البناء النفسي للمجتمع، رغم أنهم يعلمون علم اليقين أن (في البدء كانت الكلمة) وهذا الانجراف أو الخضوع ناجم أمّا عن ضحالة الفكر الثقافي لدى من يخبأ في ذاته بذور التطرف والزحزحة وربما يتعذر عليهم التماس سبل التخلص من تركة بيئية قاسية وترسبات سلفية راسخة في أعماقهم جراء عدم تطهير الذات بثقافة نظيفة شاملة المعنى والغايات وتهيئة العقل لمسايرة الحياة الراكضة قدماً مع الركب الإنساني الناهض، وربما جرّاء تسلل أرهط نفعية ذات ولاءات متسترة هدفها تسعير المواقف من وراء الكواليس، هذا ما هو ملموس في يومنا ذي المسغبة، هذه الفئات يمكن أزاحتها لو تم تأسيس مؤسسة تقودها فئة نزيهة تسهر وتضحي من أجل النهوض، ويمكننا أن نستدل على ما

ذهبنا إليه من خلال تسليط نظرة على ماتبرزه هذا الكم الهائل من الصحف والمجلات وخطاباتها أحادية النظرة وإصرارها الحريص والحساس بضرورة التمسك بنهج ثابت غير قابل للنقاش، نهج لا يصالح متطلبات المرحلة الساخنة، ولا يرضي أطراف لديها وجهات نظر مغايرة، فالمثقف العراقي خاض تجارب مريرة مع مؤسسات رفعت لافتات ثقافية اجتهدت واستنجدت بكل ما كان متاح لها لكسر رقبة المعادين لنهجها سواء بالإقصاء والإغواء أو على أقل تقدير بناء حواجز أمام المتنورين من تربع على عرش ثقافي متين، ودفع البعض منهم صوب محرقة المنافي كي ينشغل بمواجيد الغربة أكثر مما ينهمك بتنمية مشروعه الفكري، فالسلطة تعادي أصحاب نظرات العمومية والثقافية الشاملة كونهم شربوا من رحيق الفكر النابع من منابع فطرة الإنسان وغائية هبوطه من الفردوس، رغم أن التاريخ يوضح أن الملوك والرؤساء والأمراء كانوا يرصدون بيت المال بغية كسب ود اللامعين من الشعراء والكتّاب عبر العصور لتخليدهم أو لتسليتهم كترف لابد منه، فبماذا نعلق عن حالة أحد رجالات بني أميّة يوم سأله أبنه سبب دفعه مالاً غير معقول مقابل بيت شعر، أجابه أن المال زائل وأن البيت الشعري الذي مدحه سيعطيه عمراً أطول، هذا ما يريده السياسي من الثقافة عبر كل الأزمنة، حتى في راهن عصرنا نجد المهرجانات الثقافية والفنية قائمة ترتكز على أرصدة ثقيلة العيار لإنجاحها، أنها مدانة من المثقفين سواء جهراً أو سراً وفق سربال الوضع والمناخ بسبب فضائحية توجهاتها من جهة ومن

جهة أخرى طبيعة ونوعية الوفود المدعوة للمشاركة فيها، لنتأمل هذا الكلام (الفن في بلادنا ليس ترفاً أنه الحياة ذاتها، وإلاّ ما الخيارات الموضوعة أمامنا، كي لا نجن) كما يقول الروائي الجزائري/ واسيني الأعرج/ ويؤيده/باولو كويلو/ (إن الإنسان يتعلم من الفن وأيضاً من البشر)، أنهم يعنون الفن النبيل والأصيل النابع من ذات الإنسانية المعذبة ليكون المطر المنهمر لديمومة الحياة، لقد ضرب البابا/جوليو الثاني/الفنان/مايكل أنجلو/بعصاه، كما قام خليفته/جوليو الرابع/بتوجيه اللوم والتقريع له كون لوحاته كانت تعج بالأجساد العارية، وكان رد فعل الفنان عنيفاً إذ دعاه للتفرغ إلى واجبه المقدس بتغيير العالم، كي يتمكن هو من تغيير الأجساد العارية في لوحاته، لقد قالها بكل وضوح أن العالم فاسد وما تنتجه العبقرية الفنية مجرد إفرازات حيّة وأسئلة فاضحة ليس إلاّ للواقع المريض..!!

* * *

إشكالية الحرية الثقافية..!!

أن المشكل الرئيس للمثقف (العراقي) هو عدم توفر نسمات حرية أو فضاءات تستوعب فلسفته الفكرية، كي ينسلخ من الأشواك العالقة بجذوره لينطلق في أداء دوره المعجزاتي إن جاز التعبير، فهو لا يريد سوى مساحة مناسبة خالية من كاميرات تلصص أو أبواق حاقنة من وراء الكواليس تبتر ما يريد قوله أو التصريح به، فضاء الحرية حاضنة خصبة لبلورة ما لدى كل مثقف من أفكار

وإبـداع وإنضـاجه قبـل حقـن مرحلتـه بمصـل الحقـائق والنقاهـة براحـة ضـمير، كـون المثقـف كمـا يـرى الروائي/سعد محمد رحيم/ (يرى ابعد وأعمق من العقائدي المتعصب والسياسي التقليدي ورجل السلطة... قادراً دوماً على اكتشاف الخلل، وعلى إنضاج تصوراته بشأن الحاضر والمستقبل ويمتلك الجرأة في أن يعترف بخطئه إذا أخطأ وأن يقول ـ لا ـ كلما وجب ذلك)، نجد حتى الذين آوتهم المنافي من مثقفين رفضوا مجافاة الحقيقة أو التخلي عن مبادئهم، نرى بعضهم وبكل أسف أنهم تعاملوا بحساسيتهم السابقة مع منجزهم الثقافي، إلاّ أسماء محددة ظلّت متسترة أو لبست لبوس التمويه وقامت بحجب ما كان يقولونه نتيجة التابوهات الملاحقة وأساليب السلطة الشيطانية لخنق المعرفة وعدم ترويجها أو حتى السماح لها عبور الحواجز بين الدول من خلال تناصرات استنزفت الكثير من المال تحت يافطة التعاون الثقافي وما شابه ذلك من مسميات كانت تؤسس لنفسها خنادق خانقة لكل صاحب قلم رشيد أو فكر مضيء، تلك التناصرات كانت تستهلك الكثير من المقدرات بين الدول الرافضة لدور الثقافة الصادقة في حياتها، هذه الحساسية المتشبثة في الذات من قبل أصحاب الرؤى أسدت لهم ما كان يبتغونه وهم خارج طوق المخالب ومقامع الحديد، لقد أنقذتهم حساسيتهم من أعين الوشاة أو على أقل تقدير مكّنتهم من دفع مخالب الشر عن أهاليهم، ناهيك أن منجزهم الثقافي لما يزل نائياً عنّا رغم زوال الخانق والمانع لعدم وجود مؤسسات ثقافية نزيهة تسوّق وتروج لكل ما هو واقع

حال أفرزتها مرحلتها، ولن يحصل هذا ما لم تتجرد الكيانات السياسية من التشبث بأهداب الثقافة لإثبات وجودها، كي تتمكن الثقافة أن تتنشق عطر العافية وتبث أريجها إلى كل نفس تائقة لنسمات الحرية أو تريد خصوصاً الخافقين منهم التكفير المنطقي عن ماضيها الملوّث، كي يخلو الضمير ويتهيأ لمرحلة جديدة خالية من ألاعيب السلطة ومسالكها الغائية، لقد خرجنا بطريقة ما قد لا تكون منطقية ومعقولة بالنسبة لنا أو مقنعة في أضعف احتمال من حالة شمولية السياسة وأحادية التوجه لنجد أنفسنا مكرهين إلى حد قد لا ينتهي في حالة غائمة ومغبرة يتعذر بيان مواطن الصحو فيها ربما لوقت غير ممكن التنبؤ به، ما لم يأتينا مطر عاصف يزيح ما هو عائق وينقي ما هو ملوّث وخابط كي نستدرك طريقنا، ثمة معضلة وخيمة تحول دون تيسير القافلة بل تخدش بوضوح كل جدار يرتفع لستر الحياة من هبوب أعاصير غامضة الاتجاهات تجتهد بشتى الوسائل والممكنات لجعل الساحة مفتوحة على كل الاحتمالات المساعدة لدوران الحياة باتجاه الظلام، معضلة سيادة التخلف وهي بطبيعة الحال ليست عسيرة المعالجة، لو أتيحت أو سمحت لعقول مؤهلة متنورة تستطيع ردم فجوات الحلكة وزراعة مصابيح النور في تضاعيفها، لمّا يزل معطف التخلف يستلقي على أكتاف ليس لديها بعض حرص لدفن ما هو خامل أو غير مجدٍ لمواكبة الحياة، ثمة من ينوء بتركة حضارة استنفدت مقومات بقاءها جراء التعكز على تماثيلها الحجرية والتي طمرتها مناخات سياسية متعاقبة بعد موت سدنتها دون

اللجوء إلى خفايا وسحر مقومات خلودها والتعامل مع روحها المتجددة لا شكلها الحجري، عندما تكون مشارب الثقافة سطحية أي غير موضوعية أنتجها مؤسسات (براغماتية) عملت بأساليب ماكرة على خلق التابوهات ومطبات الإنزياح عن حاضنات (الآخر) خشية التلاقح والتجديد في الولادات الفكرية الخلاقة والصادمة لرؤاها، لابد من تنامي فرص النكوص وتنمّر الحس المزاجي وبالتالي يحصل الشرخ الذي لن يرأب، فبدون مؤسسة ثقافية فاعلة ومنتجة لن يتمكن المثقف العراقي من بلورة آراءه واستخدامها خراطيم مياه تخمد حرائق المرحلة، المثقف العراقي ـ المستقل طبعاً كي لا ينجرف صوب الفئة التي تؤويه ـ دوره محدود بل وقابل للتحجيم في قوادم الأيام ما لم يحتضن الدستور حقوقه ويحدد واجباته، فرص عمله تستعمرها كيانات سياسية استحواذية أتت بأشباه مثقفين وأشباح موهوبين لقيادة أعلامها وحراسة ثقافاتها الخاصة، من خلال استطلاع عياني لما مطروح من خلال شاشة الفضائيات أو على صفحات الصحف والمجلات نراها لا تتعامل إلاّ وفق نظرات ضيقة بالمعنى الكامل للكلمة ولا تتجاوز خطاباتهم سوى إلقاء اللوم على البعض ومحاولة النيل من مصداقية البعض وكشف الأسرار ومن هو العمود الساند للبعض، حتى أنهم يتعاطون أو على أصح تعبير يلقون العسل على نهج الحكومات الشمولية، ما بال هذه التراكمات الثقافية الملقاة بعشوائية على الأرصفة وعارضات المكتبات ومن يقف وراء رفض كل ما هو يتقاطع مع أفكارها في وقت تشهر أعلاناً يتصدر الواجهة الذهبية للمطبوع بات يشكل نكتة سمجة متداولة

لكل مثقف، هذا المطبوع لا يخضع لجهة معينة وهي مستقلة، بيد أننا نجدها لا تنشر ما هو صريح أو لا يساير مسارها الفكري التوجهي، إذا ما أردنا أن نتجاوز الأزمات وإنقاذ سفينة البلد من الغرق لابد من تسليم (البيت الثقافي) بالكامل لأعلام الثقافة (العراقية) غير المنحازة أو (المعشعشة) في أفياء التحزبات أو التكتلات السياسية تيمناً بعزل السلطة القضائية عن الدولة كي تكون العطاءات شاملة غير خاضعة لنفوذ أو تأثيرات الفئات المتنفذة لغرض تعبئة الثقافة لصالح نهجها، أننا نجد أهل الفكر والفن في المشرق والمغرب من وطننا في ماضي الزمن وحاضره، يتفقون على أن الثقافة مصادرة مقموعة الهوية، يمكننا أن نصف ثقافتنا بسمكة أخرجوها من الماء وأجبروها العيش على اليابسة، دون أجراء أية عملية جراحية لزراعة رئتين بدلاً عن غلاصمها..!!

* * *

الفاعلية الثقافية وقوة لغتها..!!

الثقافة روح لا تموت برحيل الجسد أو تبديل الهيكل السياسي الحاكم، الثقافة الصادقة وثّابة أوان الغليانات الحياتية، الثقافة علاج نفسي بارع للمجتمع أوان العطب، مصل عطاء العافية لكل جسد محروم وعقل غائم، الثقافة كانت وما تزال مصدر قلق للساسة عبر العصور، ثمة حكمة/ تاوية/تشير (ذاك الذي يتكلم لا يعرف وذاك الذي يعرف لا يتكلم) ، نجد في راهن الحياة أن السياسي أكثر تكلماً في شتى الميادين لا يبغي سوى

إقناع أكبر شريحة ممكنة لكسب الأصوات وحشدها ليوم الانتخابات، في وقت بات المثقف يراقب ويتكلم بصمت لوجود خطوط حمر تحجم دوره، وهذا ما ينافي التعبير المنطقي الذي أطلقه/شيللر/عن الهوية الإنسانية (لا يصبح الإنسان أنساناً إلاّ عندما يلعب، لأن اللعب يعني أن الإنسان يمارس حريته فقط) ، فـ (الأيام التي تجعلنا سعداء تجعلنا أيضاً أكثر حكمة) على حد زعم/جون ماسنيلد/لقد حطمت الثقافة نفسية/ غوبلز/حتى أقضت مضجعه ودعته متأهباً لسحب مسدسه وافراغ رصاصات حقده وجهله في صدغ من يأوي في رأسه هذا البرعم المضيء، ربما حام/دكتور روزنبرغ/ وزير الثقافة النازية حول هذا النول حين عبّر بطريقة واضحة وحاسمة (أن شخصية الفنان ينبغي أن تتطور بحرية ومن دون أي تقييدات والشيء الوحيد الذي نطلبه هو الاعتراف بأيدلوجيتنا) قيد لابد منه وهذا ما يشحن الحياة ويدفعها صوب الآتون لخلق أجيال كسولة أو خاملة العقول، كي تصدق وتصفق وفق أهواء أهل القرار، وهل كان/ديغول/غير ذي حكمة حين بدأ بترسيخ حكومته/بأندريه مارلو/يوم عيّنه وزيراً للثقافة في حكومته، ألم تكن رسالته تلك صارخة للناس كي تطمئن على سلامة تراثها وهويتها الثقافية، لقد كان يدرك أن الثقافة هو خبز الناس ووسادتهم في الحياة، لذلك بدأ حكومته بالعصا السحرية الفعّالة، لقد تجاهلت السياسة دور الثقافة التعبيرية النابعة من وعاء الضمير وأقصت بكل بوقاحة دور المثقفين من الواجهة لما تحلّوا به من تواضع وتفان ونكران للذات، حتى أن مفكراً ضالعاً

مثل/لينين/خط طوق الموت حول نقاوة الفطرة والعفوية الإنسانية حين قال (لكل فنان الحق في أن يخلق بحرية ولكن علينا نحن الشوعيين أن نوجهه وفقاً لمتطلبات الخطة) أية خطة زعمها..؟؟لابد أنه رسم خطته لحجب النور من ليل الناس كي يعانق رغباته، وما الذي دعا الروائي الغواتيمالي/أوستارياس/أن يعبر بدقة عن أمراض السياسة وسلبياتها على المجتمعات المتواضعة (ليس لدينا للأسف مادة سامة تقضي على الاشتراكية مثلما يقضي السائل المبيد على حشرة أشجار الموز) لقد أدرك بثقافته النبيلة أن السياسي غالباً ما يبحث عن مسالك غير وعرة لتحقيق غاية شخصيّة ليس إلاّ، فملك من عيار/هنري الثالث/أطلق قولاً شهيراً للوصول إلى عرش فرنسا (باريس تستحق قداساً) لقد تنازل من غير استحياء عن مذهبه (البروتستانتي) لصالح مذهب الباريسيين (الكاثوليكية) ، لغرض ذاتي بحت هو التسيد على رقاب الشعب، تلك هي ثقافة السياسيين تجاه الناس، من ماضي الحياة وحتى يومنا الذي سيطول..!!

* * *

منطق الثقافة..!!

المثقف المتجرد من أنويته لن تزحزحه الأهواء ولن تغريه عسل الحكومات، فهو الرافض للحروب واللجوء إلى السلاح لمعالجة المواقف المتأزمة أو التمردات الفئوية والأقلية نتيجة سياساتها الخانقة، مبدأ القوة بكل إشكالاتها يوّلد مضاعفات وحواجز بين الأطراف

المتناحرة، لا بديل سوى الثقافة كونها الحوار المنطقي لتجنب الانشقاقات داخل الكيان الملتئم من أعراق وطوائف، الحوار هو ديدن كل عقل ترعرع في ظل ثقافة صادقة، وحوار العقل أرحم وأنفع وأفعل دوراً لتجاوز النعرات واختناقات الحياة، يرى/البير كامو/ (ليس النضال الذي يدفعنا أن نكون فنانين، بل الفن الذي يفرض علينا أن نكون مناضلين) هذا المفهوم يرينا من هو المناضل الحقيقي لحراسة الحياة من مخالب الأشرار وإنقاذ الإنسان من جائحة العوز والحرمان وانتهاك الحقوق، أن المثقف هو مناضل من طراز السوبرمان، هكذا يشعر، يريد عودة السلام وتساوي الاستحقاقات البشرية بعيداً عن المكاسب والنفعيات الذاتية وهو الرافض الوحيد للحدود والتقسيمات القاتلة لروحية الأمم وثقافاتها الإنسانية، هو يدرك أن زبد الحياة يزول وما يبقى سوى الموروث المعرفي والذي يغدو جذور تخدم وتوجه الأجيال المتعاقبة، لقد ماتت حضارات وبقت ملاحمها الثقافية تنطق الحكمة والمعرفة وتستنطق أفكارنا وستنطق الأجيال اللاحقة، ليس بوسع دولة حديثة إن أرادت أن تماشي العصر وترتكز على بنية تحتية صامدة ما لم تفعّل دور الثقافة وتطلق نورها لخرق حواجز النفوس كي تذكي جواهرها المطمورة، فالإنسان كما يقول/كولن ولسن/ (حيوان وليست خطاياه نتيجة للإرادة الحرة وإنما هي نتيجة للضغط الاجتماعي والظروف)، فلغة السياسة مهما تعسلت أو تسلفنت بالمن والسلوى تبقى لغة غنائية تلتجئ إليها المصاغي اليائسة لا العقول المتنورة، ربما اللجوء إليه هو لتكبيت

هاجس مقلق أو قتل لحظة سأم، تحت وسيلتي الترغيب والترهيب، وليس هناك تصالح ضمني ما بين السلطة والثقافة، لأن لغة السلطة سياسة، ولغة الثقافة معرفة، (السلطة تسخر كل الأشياء من أجل خدمة مصالحها، بل تسخر حتى مولود المتعة الجنسية كي يكون جندياً صالحاً لخدمتها) هكذا قرأ/رولان بارت/مفهوم السلطة، وذهب/نيتشه/أيضاً (يدرب الرجال للحروب والنساء على تسلية المقاتل وما غير ذلك حماقة)، أمّا المثقف نهجه ولغته تستند على مرجعيات معرفية وأسس متعافية لخلق الممكن من فضاءات الصحو بعيداً عن خلخلة الموازين ما بين مكونات المجتمع الواحد متعدد الأعراق والمشارب الفكرية والعقائدية، إذ ليس من المعقول أن نطلق الأقوال جزافاً في عصر التنوير التكنولوجي ووسائل المعلوماتية السريعة، فإنسان اليوم ـ خلاف ما كان قبل الثورة الصناعية الهائلة المتمثلة بعصر الإنترنت ـ لديه من الوعي ما يؤهله تخمين ما هو قابل للوقوع من خلال ذاكرة أثخنتها إفرازات المتغيرات الاجتماعية وذهاب الأحلام المؤجلة وما كانت الحكومات تطلقها من باب الوعود، حقاً أن السعادة لا تكلف كثيراً من التضحيات لو عرفنا طريقها، هذا ما تقوله/كرستينا أوناسيس/ابنة المليونير الشهير (أننا نشقى ونحن نبحث عن السعادة بينما هي قريبة منّا بأكثر مما نتصور) ، ليس من خلال الخطب الرنانة كما يحلو للبعض وصفها أو تحميل الشريحة الثقافية ما هو مكلف أو غير متوافق مع النهج الصريح والثابت لكينونة الثقافة، (شيء مؤسف ولكنها الحقيقة، فنحن ندعو إلى التمسك بالمثل

العليا أمام الناس، ولكننا نجد صعوبة أن نطبق ما ندعو إليه في حياتنا الخاصة) تعبير صادق ومتوافق على ما سلف أو ما يجري في راهن حياتنا من قبل/توماس كارليل/إذ ليس من المعقول أن نطلب من الناس السير في طريق مجهولة، ما لم نؤهله ونحقنه بموجبات السير ومجابهة المفاجآت الممكنة، وحدها الثقافة تنقي أجواء الذات من دمامل الشر وتمنح فرص متاحة لخرق أي عارض طارئ، الثقافة عبر العصور منحت عيون أخرى للجسد البشري، وأهلّته لتحمل أوزار الحياة ونبذ ما هو مفتعل ومعسول لأغراض غير نبيلة، حتى أن رساماً صوفياً هو/كاسبر ديفيد/قال العام **1740** (أغمض العين الحية وعندها تستطيع أن ترى بواسطة العين الروحية) ، أية عيون ترى حين تنطبق عليها الأجفان، لابد هي عيون العقل والتي تتبصر الأمور حين تتغذى بما هو نور أي الثقافة، (العلم نور والجهل ديجور) ، تظل الثقافة رغم أنف المتغيرات والتدخلات بكل إشكالاتها المنبر الحر والفاعل لصيرورة الحياة وليس لدينا ما نختم به هذا المقال رؤية شاعر من أمريكا اللاتينية حين عبر بكل جرأة عن دور الثقافة وفاعليتها في بناء أي مجتمع متنور صامد بوجه أعاصير المستقبل (أن شعباً بلا شعر هو شعب بلا روح، وأن أمة بلا نقد أمة عمياء) ..!!

* * *

المؤلف في سطور

تولد : 1959 ـ جلولاء ـ ديالى ـ العراق

قاص وروائي وكاتب مسرحي ومقال..

عضو اتحاد الأدباء والكتّاب/العراق منذ 1995

إصدارات :

(1) هـواجس بـلا مرافـئ (مجوعـة قصصـية) دار الشـؤون الثقافية العامة : 2001

(2) ثغرها على منديل (مجموعة قصصية) دار ناجي نعمـان ـ لبنان ـ 2008

(3) بينمـا نحن..بينمـا هـم (مجموعـة قصصـية) دار الينـابيع ـ

دمشق ـ 2010

(4) الحزن الوسيم (رواية) دار الينابيع ـ دمشق ـ 2010

(5) قفل قلبي (رواية) دار فضاءات ـ عمّان ـ 2010

(6) بقايا غبار (مجموعة قصصية) دار الرند ـ دمشق ـ 2010

(7) بعل الغجرية (رواية) دار ـ الكلمة ـ مصر ـ 2011

جوائز :

-المرتبة الثالثة عام 1991 عن قصة (كرنفال للشهيد) .

-المرتبة الأولى عام 2003 عن قصة (يوم اغتالوا الجسر) .

-جائزة الإبداع عن المجموعة القصصية (ثغرها على منديل) ضمن مسابقة ناجي نعمان الثقافية الدورة الخامسة 2007 لبنان.

-المرتبة الأولى عام 2008 عن قصة (مزرعة الرؤوس) في مسابقة (مركز النور) .

[..عضو فخري في مؤسسة ناجي نعمان/لبنان/]

Tahseen.garmyani@hotmail.com